

مَشْرُوحٌ
الْعَفِيدَةُ الْوَأَسْطِيَّةُ

لشَيْخِ الْإِسْلَامِ
أَحْمَدَ بْنَ عَبْدِ الْحَكِيمِ بْنِ عَبْدِ السَّلَامِ ابْنَ تَمِيمٍ

تَأليفُ العالمةِ
محمَّدِ خَلِيلِ مَرَّاسٍ

تَعلِيقُ العالمةِ
محمَّدِ بْنِ صَالِحِ بْنِ عُثَيْمِينَ

وَيَلِيهِ
مُدْحَقُ الْوَأَسْطِيَّةِ

حَقَّقَ الشَّيْخُ وَأَضَافَ لِلْحَقِّقِ
عَلَوِيَّ بْنَ عَبْدِ الْقَادِرِ السَّقَّافِ

الدُّرَرُ السَّنِيَّةُ

www.dorar.net

شرح
العقيدة الواسطية

ح مؤسسة الدرر السننية للنشر، ١٤٣٣ هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنفة أثناء النشر

هراس، محمد خليل

شرح العقفدة الواسطفة لشفخ الإسلام أحمد بن عبء الخلفم بن عبء السلام ابن ففمفة

وفلفه ملحق الواسطفة/ محمد خليل هراس؛ علوف بن عبء القاءر السفاف - ط٧

- الظهران، ١٤٣٣ هـ

٤٠٠ ص؛ ١٧ × ٢٤ سم

رءمك: ١-٦-٩٠٣١١-٦٠٣-٩٧٨

١- العقفدة الإسلامفة ٢- الفوففء أ. السفاف، علوف عبء القاءر

١٤٣٣/٨٦٣٥

٢٤٠ ففوف

رقم الإفءاع: ١٤٣٣/٨٦٣٥

رءمك: ١-٦-٩٠٣١١-٦٠٣-٩٧٨

ءقوق النسخ محفوظفة للناشر

الطبعة السابفة

١٤٣٤ هـ - ٢٠١٣ م

مؤسسة الدرر السننية - المملكة العربية السعودية
ص. ب ٣٩٣٦٤ الظهران ٣١٩٤٢ - جوال: ٠٥٥٦٩٨٠٢٨٠
ت: ٠٣٨٦٨٠١٢٣ / فاكس: ٠٣٨٦٨٢٨٤٨ - برفء إءروني nashr@dorar.net

الدرر السننية

www.dorar.net

شرح

العقيدة الواسطية

لشيخ الإسلام

أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام ابن تیمیة

تألیف

العلامة محمد خليل هراس

تعليق العلامة محمد بن صالح بن عثيمين

ويليه

ملحق الواسطية


حقق الشرح وأضاف الملحق

علوي بن عبد القادر السقاف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سِرِّ مَرَّ

حِكْمَتًا



المقدمة^(١)

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ؛ نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّهِ
أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضِلِّهِ فَلَا
هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا
عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

أَمَّا بَعْدُ؛ فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بَدْعَةٌ، وَكُلُّ بَدْعَةٍ
ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

ثُمَّ إِنَّ مِنْ نِعْمِ اللَّهِ عَلَيَّ هَذِهِ الْأُمَّةُ أَنْ أَكْمَلَ لَهَا دِينَهَا، وَأَتَمَّ عَلَيْهَا
نِعْمَتَهُ، وَرَضِيَ لَهَا الْإِسْلَامَ دِينًا.

وَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا قُبِضَ إِلَّا وَقَدْ تَرَكَهَا عَلَى الْمَحْجَةِ
الْبَيْضَاءِ؛ لِيَلْهَا كَنْهَارُهَا، لَا يَزِيغُ عَنْهَا إِلَّا هَالِكٌ، وَمَا تَرَكَ خَيْرًا يَقْرَبُهَا إِلَى
الْجَنَّةِ وَيُبْعِدُهَا عَنِ النَّارِ؛ إِلَّا وَدَّهَا عَلَيْهِ، وَلَا شَرًّا إِلَّا وَحَدَّرَهَا مِنْهُ؛ لِيَهْلِكَ
مَنْ هَلَكَ عَنِ بَيْتَةٍ وَيَحْيَا مِنْ حَيٍّ عَنِ بَيْتَةٍ.

وَقَدْ أَمَرْنَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ نَرْجِعَ عِنْدَ الْاِخْتِلَافِ وَتَنَحَاكَمَ عِنْدَ النِّزَاعِ
إِلَيْهِ وَإِلَى رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ: ﴿فَإِنْ نَنَزَعْتُمْ فِي

(١) كُتِبَتْ هَذِهِ الْمَقْدَمَةُ لِلطَّبْعَةِ الْأُولَى عَامَ ١٤١١ هـ، وَأُعِيدَ النَّظَرُ فِيهَا مَرَاتٍ عَدَّةً لَطَبْعَاتٍ

سَابِقَةٍ، آخِرُهَا فِي هَذِهِ الطَّبْعَةِ السَّابِعَةِ لِعَامِ ١٤٣٤ هـ.

شَيْءٍ فَرَدُّهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾ [النساء: ٥٩].

وعلى هذا النهج سار سلف هذه الأمة من الصحابة والتابعين، ومن سلك نهجهم وخطى خطاهم.

أهمية العقيدة السلفية بين العقائد الأخرى:

إن أهمية دراسة العقيدة السلفية تنبع من أهمية العقيدة نفسها، وضرورة العمل الجاد الدؤوب لإعادة الناس إليها، وذلك لأمر:

أولاً: أنه بها تتوحد صفوف المسلمين والدعاة، وعليها تجتمع كلمتهم، وبدونها تتفكك؛ ذلك أنها عقيدة الكتاب والسنة والجيل الأول من الصحابة، وكلُّ تجمُّع على غيرها مصيره الفشل والزوال.

ثانياً: أن العقيدة السلفية تجعل المسلم يعظّم نصوص الكتاب والسنة، وتعضّمه من ردّ معانيها، أو التلاعب في تفسيرها بما يوافق الهوى.

ثالثاً: أنها تربط المسلم بالسلف الصالح من الصحابة ومن تبعهم، فتزيده عزّة وإيماناً وافتخاراً، فهم سادة الأولياء، وأئمة الأتقياء، والأمر كما قال ابن مسعود رضي الله عنه: «إِنَّ اللَّهَ نَظَرَ فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ، فَوَجَدَ قَلْبَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَيْرَ قُلُوبِ الْعِبَادِ، فَاصْطَفَاهُ لِنَفْسِهِ، فَابْتَعَثَهُ بِرِسَالَتِهِ، ثُمَّ نَظَرَ فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ بَعْدَ قَلْبِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَوَجَدَ قُلُوبَ أَصْحَابِهِ خَيْرَ قُلُوبِ الْعِبَادِ، فَجَعَلَهُمْ وَرَاءَ نَبِيِّهِ، يَقَاتِلُونَ عَلَى

دينه، فما رأى المسلمون حسناً فهو عند الله حسنٌ، وما رأوه سيئاً فهو عند الله سيءٌ^(١).

أو كما رُوِيَ عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال: «مَنْ كَانَ مُسْتَنًّا؛ فليستنَّ بَمَنْ قَدْ مَاتَ، أولئك أصحاب محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ كانوا خَيْرَ هذه الأُمَّة؛ أَيْرَهَا قلوبًا، وأعمقها علمًا، وأقلها تكلفًا، قومٌ اختارهم اللهُ لصحبة نبيِّه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ونقل دينه، فتشبهوا بأخلاقهم وطرائقهم، فهم أصحاب محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كانوا على الهدى المستقيم، والله ربُّ الكعبة»^(٢).

رابعًا: تميُّزها بالوضوح؛ حيث إنَّها تتخذ الكتاب والسنة منطلقًا في التصوُّر والفهم، بعيدًا عن التأويل والتعطيل والتشبيه، وتنجي المتمسك بها من هلكة الخوض في ذات الله، وردِّ نصوص كتاب الله وسنة نبيِّه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومن ثمَّ تُكسب صاحبها الرضا والاطمئنان لقدر الله، وتقدير عِظَمِ الله، ولا تكلف العقل التَّفكير فيما لا طاقة له به من الغيبيات؛

(١) رواه أحمد في ((المسند)) (٣٧٩/١)، والبزار في ((البحر الزخار)) (٢١٢/٥)، والطبراني (١١٢/٩) (٨٥٨٢)، وأبو نعيم في ((حلية الأولياء)) (٣٧٥/١).

قال ابن تيمية في ((منهاج السنة)) (٧٧/٢): إسناده معروف، وقال ابن القيم في ((الفروسية)) (٢٩٩): ثابت عن ابن مسعود، وقال الهيثمي في ((مجمع الزوائد)) (١٨٢/١): رجاله موثقون، وحسنه ابن حجر في ((الألمالي المطلقة)) (٦٥)، وصحَّح إسناده الشيخ أحمد شاکر (رقم ٣٦٠٠)، وحسنه الألباني في ((شرح الطحاوية)) (٤٦٩).

(٢) انظر: ((الحلية)) لأبي نعيم (٣٠٥/١)، و((جامع بيان العلم وفضله)) لابن عبد البر (٩٧/٢)، و((شرح السنة)) للبخاري (٢١٤/١).

فالعقيدة السلفية سهلة ميسرة، بعيدة عن التعقيد والتعجيز.

أهمية ((العقيدة الواسطية)) بين العقائد السلفية:

إنَّ ((العقيدة الواسطية)) لشيخ الإسلام ابن تيمية من أكثر العقائد السلفية سهولة ويسرًا، مع وضوح في العبارة، وصحة في الاستدلال، واختصار في الكلمات، وقد وُضِعَ لها القبول في الأرض، فتلقفها طلاب العلم ودرسوها وتدارسوها ثمَّ درَّسوها، وحفظوها جيلاً بعد جيل، وهي بحق من أجمع وأخصر ما كُتِبَ في عقيدة أهل السنة والجماعة.

[سبب تسميتها
بالواسطية]

أمَّا لماذا سُمِّيَتْ بـ«العقيدة الواسطية»؟ فهذا سؤال يجب عليه مؤلفها وواضعها شيخ الإسلام رحمه الله، فيقول:

«قَدِمَ عَلَيَّ مِنْ أَرْضِ وَاسِطٍ بَعْضُ قِضَاةِ نَوَاحِيهَا - شَيْخٌ يُقَالُ لَهُ: رَضِيَ الدِّينَ الْوَاسِطِي، مِنْ أَصْحَابِ الشَّافِعِيِّ -، قَدِمَ عَلَيْنَا حَاجًّا، وَكَانَ مِنْ أَهْلِ الْخَيْرِ وَالِدِّينِ، وَشَكَا مَا النَّاسِ فِيهِ بِتِلْكَ الْبِلَادِ وَفِي دَوْلَةِ التُّرْكِ؛ مِنْ غَلْبَةِ الْجَهْلِ وَالظُّلْمِ، وَدُرُوسِ^(١) الدِّينِ وَالْعِلْمِ، وَسَأَلَنِي أَنْ أَكْتُبَ لَهُ عَقِيدَةً تَكُونُ عِمْدَةً لَهُ وَلِأَهْلِ بَيْتِهِ، فَاسْتَعْفَيْتُ مِنْ ذَلِكَ، وَقُلْتُ: قَدْ كَتَبَ النَّاسُ عَقَائِدَ مُتَعَدِّدَةً، فَخَذَ بَعْضُ عَقَائِدِ أُمَّةِ السُّنَّةِ. فَالْحَ فِي السُّؤَالِ، وَقَالَ: مَا أَحَبُّ إِلَّا عَقِيدَةً تَكْتُبُهَا أَنْتَ. فَكُتِبَتْ لَهُ هَذِهِ الْعَقِيدَةُ وَأَنَا قَاعِدٌ بَعْدَ الْعَصْرِ، وَقَدْ انْتَشَرَتْ بِهَا نَسْخٌ كَثِيرَةٌ؛ فِي مِصْرَ وَالْعِرَاقِ، وَغَيْرِهِمَا»^(٢).

(١) دَرَسَ الْعِلْمُ: انْحَمَى، وَزَالَتْ أَعْلَامُهُ.

(٢) «مجموع الفتاوى» (٣/١٦٤).

ومن توفيق الله وقدره أن كان هذا الرجل من واسط^(١)، فسميت العقيدة الواسطية.

وهي - أيضاً - عقيدة واسطية كما قال شيخ الإسلام في أولها: «بل هم - يعني: أهل السنة والجماعة - وسط في فرق الأمة؛ كما أن الأمة هي الوسط في الأمم، فهم وسط في باب صفات الله سبحانه وتعالى بين أهل التّعطيل الجهميّة وأهل التّمثيل المشبّهة، وهم وسط في باب أفعال الله بين الجبريّة والقدريّة وغيرهم... إلخ»؛ فهي - إذاً - واسطيّة واسطيّة.

أهمية شرح الشيخ هرّاس لـ((العقيدة الواسطيّة)) بين شروحيها:

يمتاز شرح العلامة محمّد خليل هرّاس لـ((العقيدة الواسطية)) بالوضوح والاختصار، وكما قال الشيخ عبد الرزاق عفيفي: إنّه: «من أنفس الشروح، وأوضحها بياناً، وأخصرها عبارة». اهـ

فالشيخ رحمه الله لم يترك كلمة في العقيدة إلا وشرحها ووضّحها - في الغالب الأعم -، واستشهد في مواضع كثيرة بالقرآن الكريم، وبأحاديث المصطفى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وبأقوال الصحابة والمفسرين، وبأقوال السلف؛ كالإمام أحمد، والبخاري، ونعيم بن حماد.. وغيرهم ممن جاء بعدهم واقنفي أثرهم؛ كشيخ الإسلام في مواضع أخرى من كتبه، وتلميذيه

(١) (واسط): بلدة أنشأها الحجاج بن يوسف الثقفي، عامل الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان، في موضع جنوبي العراق، يتوسط بين الكوفة والبصرة، وسميت واسطاً لتوسطها. انظر: «تاريخ واسط» لبحشل (ص ٢٢).

ابن القيم والذهبي، وبالمتأخرين؛ كالشيخ عبد الرحمن بن سعدي، ومحمد بن مانع؛ كما أنه ذكر مقالات الفرق، وردَّ على شبههم؛ كالجهمية، والقدرية، والجبرية، والمعتزلة، والأشاعرة.. وغيرهم، وبين ضلال أئمتهم في القديم؛ كغيلان الدمشقي، وبشر المريسي.. وغيرهما، ثمَّ من بعدهما؛ كالرازي، والغزالي، ثمَّ رافع راية التجهُّم في عصرنا هذا المدعو زاهد الكوثري، كل ذلك في هذا الشرح المختصر، السهل الميسر.

فحقَّ لهذا الشرح أن يكون من أنفس الشروح، وأخصرها، ولا يعرف حقيقة ذلك إلا من طالعه، ودرسه، وتدارسه، وأطلع على غيره من الشروح.

((العقيدة الواسطية)) وشروحها:

للعقيدة الواسطية - عقيدة الفرقة الناجية - طبعات عدَّة، وشروح كثيرة، فمن ذلك مثلاً:

١ - ((التبیهات اللطيفة فيما احتوت عليه الواسطية من المباحث

المنيفة))

تأليف العلامة الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي ت: (١٣٧٦هـ)، وعليها منتخبات من تقارير الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز، وقد قام بنشرها أولاً وأشرف على طبعها الأستاذان: عبد الرحمن بن رويشد، وسليمان بن حماد، وقد طبعت في (٦٤ صفحة) من الحجم المتوسط، بدون تاريخ.

ثم طبعت طبعة أخرى مضبوطة النص والأحاديث، ونُشرت بدار ابن

القيم بالدّمَام، وعدد صفحاتها (١٠٧ صفحة) من القطع الكبير، وذلك في عام (١٤١٠هـ).

٢- «التعليقات السنية على العقيدة الواسطية»

للشيخ فيصل بن عبدالعزيز المبارك، ت: (١٣٧٦هـ)، شرح مختصر يقع في (٧٦ صفحة)، وهو من أوائل شروح العقيدة الواسطية.

٣- «العقيدة الواسطية»

علّق على حواشيها وأشرف على تصحيحها فضيلة الشيخ محمد بن عبد العزيز بن مانع، ت: (١٣٨٥هـ)؛ مدير المعارف العام سابقاً؛ وهو تعليق مختصر جداً، بلغت صفحاته (٣٢ صفحة) من الحجم المتوسط، وطُبعت الطبعة: الأولى في مطبوعات سعد الراشد بالرياض، بدون تاريخ.

٤- «شرح العقيدة الواسطية»

وهو من تقارير سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ، ت: (١٣٨٩هـ)، مفتي الديار السعودية - سابقاً - كتبها ورتبها تلميذه الشيخ محمد بن عبدالرحمن بن قاسم، وأخرجها وأعدّها للطبع ابنه الشيخ عبدالمحسن بن قاسم إمام وخطيب المسجد النبوي، طُبعت الكتاب عام ١٤٢٨هـ في مجلد متوسط الحجم عدد صفحاته (٢٨٨ صفحة).

٥- «شرح العقيدة الواسطية»

للعلامة محمد خليل هراس ت: (١٣٩٥هـ) - وهو كتابنا هذا - طُبعت

في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة في (١٧٦ صفحة) من الحجم الصغير باعتناء ومراجعة الشيخ عبدالرزاق عفيفي، ثم طُبِعَ مرة أخرى طبعَةً قام بتصحيحها والتعليق عليها الشيخ إسماعيل الأنصاري، وقامت بنشرها الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلميّة والإفتاء والدعوة والإرشاد في (١٨٧ صفحة) من الحجم الصغير، وذلك عام (١٤٠٣هـ)، وهي لا تختلف عن سابقتها كثيراً؛ إلا في مواضع يسيرة، علّق عليها الشيخ إسماعيل الأنصاري.

٦- «التنبيهات السنيّة على العقيدة الواسطية»

للشيخ عبد العزيز الناصر الرشيد، ت: (١٤٠٨هـ)، وهو شرحٌ موسّع، يقع في (٣٨٨ صفحة) من الحجم الكبير، كتبه نزولاً على رغبة طلبته في المعهد العلمي، وقامت بنشره دار الرشيد للنشر والتوزيع؛ بدون تاريخ.

٧- «الروضة النديّة شرح العقيدة الواسطية»

للشيخ زيد بن عبد العزيز بن فياض ت: (١٤١٦هـ)، وهو شرح موسع جداً، طُبِعَت الطبعة الأولى منه عام (١٣٧٧هـ)، والطبعة الثانية عام (١٣٧٨هـ)، وتقع في (٥١٦ صفحة).

٨- «العقيدة الواسطية»

للعلامة الشيخ محمد بن صالح العثيمين، ت: (١٤٢١هـ)، وهو شرح مختصرٌ لبعض الكلمات صغيرٌ جداً، وتعريفٌ لبعض المصطلحات الواردة في الكتاب، ويقع في (٥٥ صفحة) من الحجم المتوسط، وقد طُبِعَت الطبعة الأولى عام (١٤٠٦هـ) في مكتبة الهدى بمدينة الثقبه في المنطقة الشرقية.

٩- «شرح الواسطية»

له أيضاً، وهو مسجل على أشرطة «كاسيت»، ثم كتبه أحد تلامذته، وتداوله طلبة العلم، وقد طُبِعَ مؤخرًا بمكتبة طبرية باعثناء الشيخ أبي محمد أشرف بن عبد المقصود، ثم طُبِعَ مرة أخرى عام (١٤١٥ هـ) بعد أن راجعها الشيخ ابن عثيمين نفسه باعثناء الأخ الشيخ سعد بن فواز الصُّمَيْل، وتقع هذه الطبعة في مجلدين عدد صفحاتهما (٨٩٤ صفحة)، نشر دار ابن الجوزي بالدمام، وهو شرح نفيس لا يُعَلَى عليه.

١٠- «الكواشف الجليّة عن معاني الواسطية»

للشيخ عبد العزيز محمد السلطان، ت: (١٤٢٢ هـ)، وهو شرح كبير، يقع في (٤٧١ صفحة)، وقد طُبِعَ عدة طبعات، وُزِّعَتْ مجاناً، آخرها الطبعة السابعة عشرة عام (١٤١٠ هـ)، وتقع في (٨٠٧ صفحة).

١١- «الأسئلة والأجوبة الأصولية على العقيدة الواسطية»

له أيضاً، وهو على طريقة السؤال والجواب، ويقع في (٣٤٠ صفحة) من الحجم الكبير، ووزّع مجاناً مراتٍ عديدة، وقد اختصره المؤلف نفسه.

١٢- «مختصر الأسئلة والأجوبة الأصولية على العقيدة الواسطية»

اختصره المؤلف نفسه، وطُبِعَ عام ١٤١٠ هـ في الرياض طبعة وقفية في غلاف متوسط عدد صفحاته (١٦٧ صفحة).

١٣- «التعليقات الزكية على العقيدة الواسطية»

للشيخ عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين، وهو شرح موسّع جدًّا، وطُبِعَت

الطبعة الأولى منه عام (١٤١٩هـ)، وتقع في مجلدين عدد صفحاتهما (٦١٨ صفحة) بدار الوطن بالرياض، باعتناء الشيخ علي بن حسين أبو لوز.

١٤ - «التعليقات المفيدة على العقيدة الواسطية»

تعليق وتخرّيج عبد الله بن عبد الرحمن بن علي الشريف، مع إحالة آياتها وتخرّيج أحاديثها تخرّيجًا مختصرًا، وبعض التعليقات المختصرة المفيدة؛ كما سمّاها صاحبها، ويقع في (٨٩ صفحة) من الحجم المتوسط، وكانت الطبعة الأولى منه في عام (١٤٠٤هـ) بدار طيبة بالرياض.

١٥ - «شرح العقيدة الواسطية»

للشيخ سعيد بن علي بن وهف القحطاني، راجعه الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين، وهو شرح مختصر وميسّر، يقع في (٨٧ صفحة) من الحجم الصغير، اعتمد فيه على من سبقه، وقد طُبِعَ في عام (١٤٠٩هـ).

١٦ - «مع عقيدة السلف» (العقيدة الواسطية)

وهو شرح مختصر عدد صفحاته (١١٢ صفحة) أعده مصطفى العالم وطُبِعَ عام ١٩٦٥م بدار الثقافة للنشر والتوزيع، وأعيد طبعه بدار المجتمع للنشر والتوزيع بجدة.

١٧ - «شرح العقيدة الواسطية من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية»

جمع وترتيب الشيخ خالد بن عبد الله المصلح، وهو جمعٌ لطيف لكلام شيخ الإسلام ابن تيمية يوضح ما اشتملت عليه العقيدة الواسطية، ويقع في

(٢١٦ صفحة)، طبعت الطبعة الأولى منه عام (١٤٢١هـ) بدار ابن الجوزي بالدمام.

١٨- «الفوائد السنية على العقيدة الواسطية»

تأليف عبد الله بن صالح القصير وهو شرح متوسط عدد صفحاته (٣٠٣ صفحة)، قدّم له مقدمة ضافية بلغت ٥٠ صفحة.

١٩- «شرح العقيدة الواسطية»

للشيخ صالح بن فوزان الفوزان، وهو شرحٌ مُيسَّرٌ ومختصرٌ؛ يقع في (٢٢٢ صفحة)، اعتمد فيه مؤلّفه على «التنبيهات السنيّة» للشيخ عبدالعزيز الرشيد، و«الروضة الندية شرح العقيدة الواسطية» للشيخ زيد بن عبد العزيز ابن قيّاض، وقد طُبِعَ في مكتبة المعارف بالرياض عدة طبعات.

٢٠- «توضيح مقاصد العقيدة الواسطية»

للعلامة الشيخ عبدالرحمن بن ناصر البراك، وأصله دروس ألقاها الشيخ عام ١٤١٤هـ في مسجد شيخ الإسلام ابن تيمية في الرياض، أعدها واعتنى بها تلميذه الشيخ عبدالرحمن بن صالح السديس وقد أذن له الشيخ في ذلك، وهو شرح متوسط، طُبِعَ في مجلد واحد عدد صفحاته (٣٣٤ صفحة) بدار التدمرية بالرياض عام ١٤٢٧هـ.

٢١- «السبائك الذهبية بشرح العقيدة الواسطية»

للشيخ العلامة عبدالله بن محمد الغنيمان، اعتنى بطباعته أحد تلامذته

وهو من أسماء: (السبائك الذهبية) وقد راجع الشيخ الشرح بنفسه، وهو شرح موسع يقع في مجلد واحد عدد صفحاته (٥١٨ صفحة)، طُبِع الطبعة الأولى عام ١٤٣٠هـ بدار ابن الجوزي بالدمام.

٢٢- «اللائئ البهية في شرح العقيدة الواسطية»

لمعالي الشيخ صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ، وأصله دروس ألقاها الشيخ بين عامي ١٤١٤هـ و ١٤١٦هـ في جامع حصة السديري بالرياض، جمعها واعتنى بها تلميذه عادل بن محمد رفاعي بعد أن استأذن منه وهو من أسماها: (اللائئ البهية)، وهو شرحٌ موسّعٌ جدًّا طُبِع في مجلدين عدد صفحاتهما (١٣٤٤ صفحة) بدار العاصمة بالرياض عام ١٤٣٠هـ.

من هنا نعلم أهمية هذه العقيدة؛ حيث قام بعض أهل العلم بضبطها، وآخرون بتخريج أحاديثها، وآخرون بالتعليق عليها، أو شرحها شرحًا مختصرًا، أو شرحًا مطوّلًا؛ كل هذا خدمة للعقيدة السلفية المتمثلة في «العقيدة الواسطية».

إلا أنني لم أجد من قام بخدمة شرح الشيخ خليل هراس - رحمه الله - لها؛ إلا ما قام به الشيخان: عبد الرزاق عفيفي، وإسماعيل الأنصاري رحمهما الله، من مراجعة وتعليقات يسيرة.

لذلك؛ فإنني رغبت في أن أحظى بشرف الاعتناء بهذا الشرح، وأسأل الله أن يكون عملاً نافعا متقبلاً عنده.

وصف النسخة الخطية للمتن:

وفقني الله عزَّ وجلَّ في ضبط متن العقيدة الواسطية على اثني عشر نسخة خطية إحداها قُرئت على شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، وقد طُبعت مفردةً، فاعتمدت على النص المحقق هناك وجعلته هو الأصل هنا الذي أحيل عليه في الهامش، وجعلت النص المطبوع مع الشرح كما هو^(١)؛ لأنَّ الشرح تابعٌ له متمشٍ معه، واكتفيتُ بالإشارة إلى الاختلافات المهمة التي قد يتغيَّر بها المعنى، وأعرضت عن كثير من الاختلافات التي لا جدوى من ذكرها، وقد يشوِّش إيرادها على القارئ^(٢).

عملي في الكتاب:

- ١- اعتمدت في ضبط نص المتن على ما تقدم بيانه، كما جعلته مجموعاً في أول الكتاب وضبطته بالشكل حتى تسهَّل قراءته وحفظه، ثمَّ متفرِّقاً حسب الشرح، ثمَّ لخصته في صفتين آخر الكتاب.
- ٢- اعتمدت في ضبط نص الشرح على الطبعة الرابعة للجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، وطبعة الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد بالسعودية عام ١٤٠٢ هـ، وتتبعُ الاختلاف بين الطبعتين - وهو قليل جداً -، ويبيِّن ذلك في مواضعه.
- ٣- أضفت تعليقات واستدراكات الشيخ العلامة محمد بن صالح

(١) إلا في حالات نادرة يكون ما في الأصل أضبظ مما هو مطبوع مع الشرح، أو لا يستقيم المعنى إلا به، فأعتمد ما في الأصل، وبخاصة إذا لم يعتمده الشارح في الشرح.

(٢) مثل التقديم والتأخير في الآيات، وصيغ الحمدلة، والصلاة على النبي، وتكرار عبارة: (وقوله).

العثيمين أثناء الشرح خلافاً للطبعات السابقة^(١).

٤- أضفت في آخر الكتاب ملحفاً لأهم مسائل العقيدة التي لم يتطرق لها شيخ الإسلام ابن تيمية في «العقيدة الواسطية»، وكذلك شارحها الشيخ محمد خليل هراس.

٥- ضبطت الألفاظ المشككة والموهمة في الشرح بالشكل؛ ليسهل على القارئ فهمها.

٦- ضبطت الآيات، وعزوتها إلى مواضعها من القرآن الكريم.

٧- خرَّجتُ جميع الأحاديث والآثار، فإن كان الحديث في البخاري ومسلم أو أحدهما؛ فقد أكتفي بالعزو إليهما، وإن كان في غيرهما؛ أذكر مَنْ صحَّح الحديث أو ضعَّفه من أئمة هذا الفن؛ من المتقدمين والمتأخرين. وقد أضطر أحياناً إلى الكلام على السند بما تقتضيه الصناعة الحديثية.

٨- أحلتُ أغلب الأقوال التي نسبها الشارح لأصحابها إلى مواضعها من كتبهم أو كتب غيرهم.

٩- ترجمتُ لأهم الأعلام الذين ورد ذكرهم ولم أترجم للمشهورين

(١) اطلع الشيخ ابن عثيمين على الطبعة الأولى من شرح الشيخ الهراس واستدرك عليه جملة من الاستدراكات كتبها عام ١٣٨٤هـ مبتدأ بقوله: ((وبعد، فهذا تعليقٌ على ما في شرح الشيخ محمد خليل الهراس على متن العقيدة الواسطية الطبعة الأولى، فإنَّ هذا الشرح جدير بال العناية به لأنه أحسن ما رأينا من شروحيها لاختصاره ووضوحه وجمعه العلم الكثير)) انتهى. وبمقابلة هذه التعليقات - وهي عندي بخط يد الشيخ ابن عثيمين - على طبعة الشرح التي اعتمدت عليها تبين لي أن الشيخ الهراس رحمه الله أخذ ببعضها وترك البعض الآخر، فرأيت أنَّ من الفائدة إلحاق المهم من هذه التعليقات التي تركها الشارح.

منهم؛ كالصحابه، وبعض التابعين والمتأخرين.

- ١٠- عرّفْتُ بجميع الفرق التي ورد ذكرها في المتن أو الشرح؛ كالجهمية، والمعتزلة، والأشاعرة.. وغيرهم.
- ١١- علّقتُ تعليقات يسيرة رأيت أنّها ضرورية.

- ١٢- وضعت عناوين لبعض الفقرات، وذلك تيسيراً على القارئ، وجعلتها خارج النص في أطراف الصفحات حتى لا أدخل شيئاً على النص.
- ١٣- وتخلّصاً من مشكلة عدم تطابق مواضع الشرح والمتمن في الطبعات السابقة للكتاب؛ فقد قسّمتُ متن العقيدة إلى أقسام متعددة؛ كل قسم منها هو فكرة كاملة في حد ذاته، وجعلته باللون الأحمر بحيث يستطيع القارئ أن يتابع شرح كل قسم من أقسام المتن بسهولة ويسرٍ ومطابقة تامّة.
- ١٤- ترجمتُ للماتن والشارح ترجمة موجزة.

- ١٥- قمتُ بعمل بعض الفهارس الفنيّة تسهيلاً للقارئ.

هذا؛ وأسأل الله العليّ الكريم ربّ العرش العظيم أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفع به إخواني طلبة العلم والمسلمين، وهو جهدٌ المقل، «فليُمنع الناظرُ فيه النظر، وليوسع العذر؛ إنّ اللبيب من عَدَرَ، ويأبى الله العصمة لكتاب غير كتابه، والمنصف من اغتفر قليل خطأ المرء في كثير صوابه»^(١).

والله أعلم، وصلى الله على نبيّنا محمّد وعلى آله وصحبه وسلّم.

(١) من كلام الحافظ ابن رجب في مقدمة «القواعد الفقهية».

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ
وَإِلَى الشَّيْخِ الْإِمَامِ الْعَالِمِ الْعَاقِلِ الرَّاهِدِ الْعَائِدِ الْوَرَعِ
شَيْخِ الْأَسْلَامِ وَقَدْحِ الْأَنْهَامِ وَمَنْ عَمَّتْ بَرَكَتُهُ أَهْلَ الْعَرَابِ
وَالشَّامِ وَنَعَى الَّذِينَ أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ بْنُ الشَّيْخِ شَهَابُ بْنُ عَبْدِ الْجَلِيمِ
ابْنُ عَبْدِ السَّلَامِ بْنِ تَمِيمَةَ الْحِمْيَرِيِّ أَعَادَ اللَّهُ مِنْ بَرَكَتِهِ عَلَى
الطَّالِبِينَ وَأَعَادَ دَرَجَتَهُ فِي عِلْمَيْنِ ⑤
أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الَّذِي اسْتَأْذَنَ رَسُولَهُ بِالْمَدِينَةِ وَدَبَّرَ الْحَقَّ لِبَطْنِهِ عَلَى الَّذِينَ كَلَّمَهُ
وَكَفَى اللَّهُ شَهِيدًا شَهِدَ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ
أَقْرَبُ الْأَقْرَبِينَ شَهِدَ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ سَلَامًا مَرِيدًا ⑤ أَعْتَقَ أَدَاةَ الْفِرْقَةِ النَّاجِيَةِ الْمَضُوعِ
بِالْقِيَامِ الْمَسَاعِدَةِ وَالْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَبِعَثِّ
عَدُوِّهِ هُوَ الْإِيمَانُ بِالْقَدِّ حَبِيبِهِ وَسُنَّتِهِ وَمِنْ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ
الْإِيمَانُ بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ فِي كِتَابِهِ وَمَا وَصَفَهُ بِهِ رَسُولُهُ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ غَيْرِ تَخْرِيفٍ وَلَا تَغْطِيلٍ وَلَا تَكْثِيفٍ وَلَا تَمْتِيلٍ
بِأَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ

الورقة الأولى من النسخة الخطية

الحمد لله رب العالمين الذي جعل في كل شيء حكما
 وعلما ويا منور من نور الله وهدى الارحام حسن الخوار والاحسان في السلي والمساكين
 وازال السيل والذوق بالموك وسوى عن الفخر والجل والشيء بواحد من طالع الخلق من او
 خبير حتى يامر ونهى بالارادى ونهون عن سفسفها ^{ان} تتولونه وبغلوته من هذا العرف فانما هي
 فانكم فيه منقول الكتاب والسنة وطرفه من دين اسلام الذي احب الله به محمدا
 صلى الله عليه وسلم لكانما اخبر النبي صلى الله عليه وسلم مستشرق علمك كوجع في قلبها
 قال لا ارا ولا اوردوه في سنة والحمد لله في حديثه انه قال هم من كان علمه اسانا
 عليه السلام وصاحبها صارا له يكون بالاسلام المحض كما لو عن النبي صلى الله عليه وسلم
 في الجمعة وفيه الصلوات والسهلا وفيهم على الهدى وصالح النوا اول المناصب
 المشورة والفضائل المبرك ونصها بهدالك وبنهم ايمانهم بالحق والصلوات
 ودرهم وهو العاقبة المصونة التي قال في خبر النبي صلى الله عليه وسلم تنزل عليه
 من امري طهرت على الخلق لانه هم من حالهم لا من حاله حتى يعقل الله عنه فقال
 الله العظيم ان يحفظنا منهم وان لا تمنع منا احدنا من ان يكون من اولادهم انه هو
 الوهاب والحمد لله وحده وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم

علمها في غير ذلك الذي انما نفع لا شئ في حرمه وكما
 قرأها من اولها الى آخرها على صحة الاسلام وبقولها ان الامام الاعلى به الجهد الذي انى
 على الله عز وجل بها الشريعة وقسمها جماعة كثيرة من منهم صاحبها الصدوق الكبير الامين
 الميرزا تقي عز الدين حسن بن محبوب بن محمد الطاهر الاصبهاني الباقدر نفعه الله بالعلم والبر
 بالحلم وذلك في كل يوم الغدق في ربيع الاول سنة خمس وعشرون مائة وثمانين
 احمد بن محمد بن مكي المشافعي بحمد الله عنده والحمد لله وحده

الورقة الأخيرة من النسخة الخطية

كبرته زين العالمين واصلن واسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه واتباعهم الذين
وبعد فهذا تعلقا على بعض ما في شرح الشيخ محمد خليل الهراس على متن العقيدة
الواسطية فان هذا الشرح جدير بالعناية به لأنه أحسن ما رأينا من شروحه
لامتنصاره ووضوحه وجمعة العلم الكثير . فمن ذلك :

أولاً : قوله ص ٥ . روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال كل كلام لا يبدأ
فيه بحماسة الخ ذكره بصيغة التعريف وهو كذلك وقد روى بعبارة الفاظ بعضها
ثانياً : قوله ص ٦ . في تعريف كرهه في لساننا بل لسان على الخيل الاختياري
فيه قصور إذ أن كرهه يكون على احسانه وما أفعال الاختيارية وعلى صفات
الذاتية اللازمة ولعل قصده كره بالنسبة الى المخلوق .

ثالثاً : قوله ص ١٤ . في تعريفنا لصحابة . انهم كل من لقى النبي صلى الله عليه وسلم
مؤمناً ومات بما ذلك مرادهم مؤمناً بالرسول صلى الله عليه وسلم لأن اطلاق الاليمان
ينصرف الى الاليمان بالرسول صلى الله عليه وسلم ولو قيد ذلك به لكان أحسن

رابعاً : قوله ص ١٩ . والمعلوم لنا من اي من الكتب التي انزلت على الانبياء
أربعة الخ الصواب انها خمسة هذه الاربعة وصحف ابراهيم وقد تنبه المؤلف
في الطبعة الثانية فقال ص ١٥ . والمعلوم لنا صحف ابراهيم الخ

خامساً : ذكر ص ١٥ بيتين في عماد الانبياء وضمن ذلك الكفل وفيه غلاد

سادساً : ذكر ص ١٦ ان النصارى ينكرون البعث الجسماني وفيه نظر
بل قد ذكر شيخ الاسلام ابن تيمية ان العماد الجسماني تنفتح عليه بين الملمير

الورقة الأولى من تعليقات الشيخ العثيمين بخط يده

الشرية على ما أثر الطعام. أخرجه البخاري ومسلم وغيرهما في حديثه. ^{الأنثى} عز وجل ابن مزيين
بن زيادة خديجة بنت خويلد.

قال ابن كثير رحمه الله ص ١٠١ ج ٢. من كتاب البداية والنهاية. بعد ذكر حديث
الشيخين وهذا لا ينبغي كمال فيهما وهذه الامة كخديجة وفاطمة رضي الله عنهما وأما
عائشة رضي أفضل من خديجة في قولها لثقة من علماء السلف والخلف والأجود
الوقف لأن قولها صلى الله عليه وسلم وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر
الطعام يحتمل أن يكون عاماً بالنسبة إلى المذكورين وغيرهم ويحتمل أن يكون عاماً
بالنسبة إلى معاينة الكوراء والاشم. م. بمناه

ومن ثم عرّف شيخ الإسلام رحمه الله بعبارة. تقتضي اشتراكهما في الفضل
على بقية زوجاته النبي صلى الله عليه وسلم من غير ترتيب بينهما وقد تبعه الشارح
في الطبعة الثانية حيث عبر بالواو وقال: وأفضلهن على الإطلاق خديجة
وعائشة رضي الله عنهما.

٣١ - ثلاثون - قوله ص ٥٥٥ لقول صلى الله عليه وسلم صلوا خلف كل بر وفاجر
هذا الحديث ضعيف لم يعلم من شرح الجامع الصغير للناوي ص ١٠١ ج ٢
وإنما علمه صلى الله عليه وسلم من رواية غيره ولم يتم ذلك ليلة ^{الانطلاق} ~~الانطلاق~~ الموافق
١٦-١٥-١٣٨٤هـ على يد الفقير إلى الله: محمد الصالح العثيمين فقير الله وولاه إليه وليه

المعلم بالأرقام الحمراء هو الذي أرسلنا صورة منه للاطلاع عليه
لنطبعا ونوزعها مع من نرى حسنا

والله قد وضع هنا يد الأصناف الدواشر، فليعلم.

الورقة الأخيرة من تعليقات الشيخ العثيمين بخط يده

ترجمة موجزة لشيخ الإسلام ابن تيمية

نسبه ومولده:

هو أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن الخضر بن محمد بن الخضر بن علي بن عبد الله ابن تيمية الحرّاني.

أمّا عن لقب (تيمية)؛ فقد قيل: إنّ جدّه الخامس محمد بن الخضر حجّ على درب تيماء، فرأى هناك طفلة، فلما رجع وجد امرأته قد ولدت له بنتاً، فقال: يا تيمية، يا تيمية؛ نسبة إلى تيماء، بلدة بالقرب من تبوك، فلُقِّبَ بذلك.

وقال ابن النجّار: «ذُكِرَ لنا أنّ جدّه محمداً كانت أمّه تسميه تيمية، وكانت واعظة، فنسب إليها، وعُرفَ بها»^(١).

ولد يوم الاثنين، العاشر من شهر ربيع الأول من سنة (٦٦١هـ) بحرّان من أرض الشام، ويلقّب بشيخ الإسلام تقي الدين، ويكنى بأبي العباس.

أسرته:

أسرة آل تيمية من الأسر العريقة بحرّان، وقد اشتهرت بالعلم والدين: - فجدّه: أبو البركات، مجد الدين، من كبار أئمة الحنابلة، ومن مؤلفاته «المنتقى من أخبار المصطفى» الذي شرحه الشوكاني في كتابه «نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار».

(١) انظر: «العقود الدرّية» لابن عبد الهادي (ص ٤).

- ووالده: شهاب الدين، عبد الحليم، أبو المحاسن، تولى المشيخة بعد والده، وعلم ولديه أبا العباس وأبا محمد.
- وأخوه: أبو محمد، شرف الدين، تفقه في المذهب الحنبلي، وبرع فيه.

شيوخه:

يقول تلميذه ابن عبد الهادي: «وشيوخه الذين سمع منهم أكثر من مئتي شيخ»^(١).

ومن أشهرهم:

- ١- شمس الدين، أبو محمد عبد الرحمن بن قدامة، المقدسي، المتوفى سنة (٦٨٢هـ).
- ٢- أمين الدين، أبو اليمن، عبد الصمد بن عساكر، الدمشقي، الشافعي، المتوفى سنة (٦٨٦هـ).
- ٣- شمس الدين، أبو عبد الله، محمد بن عبد القوي بن بدران، المرداوي، المتوفى سنة (٧٠٣هـ).

تلاميذه:

كان شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله وما زال مدرسة عريقة، تتلمذ فيها في عصره كثير من العلماء، ولا يزال يتلمذ عليها إلى يومنا هذا عبر مؤلفاته الجمة الغفير من العلماء وطلبة العلم.

(١) «العقود الدرّية» (ص ٤).

ومن أشهر من تتلمذ على يده:

- ١- الحافظ يوسف بن عبدالرحمن المزني، صاحب كتاب ((تهذيب الكمال))، المتوفى سنة (٧٤٢هـ).
- ٢- شمس الدين ابن عبد الهادي المقدسي، صاحب كتاب ((المحرر))، و((الصارم المنكي))، المتوفى سنة (٧٤٤هـ).
- ٣- شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، المتوفى سنة (٧٤٨هـ).
- ٤- شمس الدين إبراهيم بن محمد ابن قيم الجوزية، المتوفى سنة (٧٥١هـ).
- ٥- شمس الدين محمد ابن مفلح، صاحب كتاب ((الفروع))، و((الآداب الشرعية))، المتوفى سنة (٧٦٣هـ).
- ٦- عماد الدين إسماعيل بن عمر ابن كثير، صاحب ((التفسير))، المتوفى سنة (٧٧٤هـ).

مذهبه:

نشأ حنبلياً، ثم صار ((لا يفتي بمذهب معين؛ بل بما قام الدليل عليه عنده، ولقد نصر السنة المحضة، والطريقة السلفية، واحتج لها ببراهين ومقدمات وأمور لم يُسبق إليها، وأطلق عباراتٍ أحجم عنها الأولون والآخرون وهابوا، وجسر هو عليها))^(١).

(١) انظر: ((الرد الوافر)) (ص: ٧).

عقيدته:

يجيبنا هو عن عقيدته بقصيدة نظمها، فقال:

يا سَائِلِي عَن مَذْهَبِي وَعَقِيدَتِي
 اسْمِعْ كَلَامَ مُحَقِّقٍ فِي قَوْلِهِ
 حُبُّ الصَّحَابَةِ كُلِّهِمْ لِي مَذْهَبٌ
 وَلِكُلِّهِمْ قَدْرٌ عَلا وَفَضَائِلُ
 وَأَقُولُ فِي الْقُرْآنِ مَا جَاءَتْ بِهِ
 وَجَمِيعُ آيَاتِ الصِّفَاتِ أَمْرُهَا
 وَأَرُدُّ عَنْهَا إِلَى نِقَالِهَا
 فُبِحْ لِمَنْ نَبَذَ الْقُرْآنَ وَرَاءَهُ
 وَالْمُؤْمِنُونَ يَرَوْنَ حَقًّا رَبَّهُمْ
 وَأَقْرُّ بِالْمِيزَانِ وَالْحَوْضِ الَّذِي
 وَكَذَا الصِّرَاطُ يَمُدُّ فَوْقَ جَهَنَّمَ
 وَالنَّارُ يَصْلَاهَا الشَّقِيُّ بِحِكْمَةٍ
 وَلِكُلِّ حَيٍّ عَاقِلٍ فِي قَبْرِهِ
 هَذَا اعْتِقَادُ الشَّافِعِيِّ وَمَالِكٍ
 فَإِنِ اتَّبَعْتَ سَبِيلَهُمْ فَمَوْفُوقٌ
 رَزَقَ الْهُدَى مَنْ لِلْهُدَايَةِ يَسْأَلُ
 لَا يَنْشِي عَنَّهُ وَلَا يَتَبَدَّلُ
 وَمَوَدَّةُ الثُّرَيِّ بِهَا أَتَوَسَّلُ
 لَكِنَّمَا الصِّدِّيقُ مِنْهُمْ أَفْضَلُ
 آيَاتُهُ فَهُوَ الْكَرِيمُ الْمُنَزَّلُ
 حَقًّا كَمَا نَقَلَ الطَّرَازُ الْأَوَّلُ
 وَأَصُونُهَا عَن كُلِّ مَا يُتَخَيَّلُ
 وَإِذَا اسْتَدَلَّ يَقُولُ قَالَ الْأَخْطَلُ
 وَإِلَى السَّمَاءِ بِعَيْرِ كَيْفٍ يَنْزِلُ
 أَرْجُو بِأَيِّ مِنْهُ رَبِّيَا أَنَّهُ لُ
 فَمَسَلَّمُ نَاجٍ وَأَخْرُ مُهْمَلُ
 وَكَذَا النَّبِيُّ إِلَى الْجِنَانِ سَيَدْخُلُ
 عَمَلٌ يُقَارِنُهُ هُنَاكَ وَيُسْأَلُ
 وَأَبِي حَنِيفَةَ ثُمَّ أَحْمَدَ يُنْقَلُ
 وَإِنِ ابْتَدَعْتَ فَمَا عَلَيْكَ مَعْوَلٌ^(١)

(١) انظر: ((جلاء العينين في محاكمة الأحمدين)) (ص ٥٨).

مؤلفاته:

وعن مصنّفاته يقول الذهبي: «جمعتُ مصنّفات شيخ الإسلام تقي الدين أبي العباس أحمد ابن تيمية رضي الله عنه، فوجدته ألفَ مصنّفٍ، ثم رأيتُ له أيضاً مصنّفات أُخرى»^(١).

وقد صنّف تلميذه أبو عبدالله ابن رُشَيْق المالكي (ت: ٧٤٩) كتابًا سماه: ((أسماء مؤلّفات شيخ الإسلام ابن تيمية))^(٢).

وكانت له اليد الطولى في حسن التّصنيف، وجوّدَة العبارة، والترتيب، والتقسيم، والتبيين؛ شهد له بذلك خصمه ابن الرّمْلَكاني^(٣).

وكان يعرف اللغة العبريّة (اليهودية)، ويُفهم ذلك من قوله: ((والألفاظ العبرية تقارب العربية بعض المقاربة، كما تتقارب الأسماء في الاشتقاق الأكبر، وقد سمعتُ ألفاظ التوراة بالعبرية من مسلمة أهل الكتاب، فوجدتُ اللغتين متقاربتين غاية التقارب، حتى صرّثُ أفهم كثيرًا من كلامهم العبري بمجرد المعرفة بالعربية))^(٤).

صفاته الخُلُقِيَّة والخُلُقِيَّة:

أمّا صفاته الخُلُقِيَّة؛ فقد كانَ ذا كرم، محبوبًا عليه، لا يتصنّعه، وكان

(١) انظر: «الرد الوافر» (ص ٧٢).

(٢) انظر: «الجامع لسيرة شيخ الإسلام ابن تيمية» (ص ٢٨٢)..

(٣) انظر: «الرد الوافر» (ص ١٠٥).

(٤) «نقض المنطق» (ص ٩٣)..

شجاعاً، زاهداً في الدنيا، لا يتعلّق منها بشيء، وكان يترك كثيراً من المباحات خشية الوقوع في المحرّمات.

وأما صفاته الخلقية؛ فقد كان أبيض اللون، أسود شعر الرأس واللحية، قليل الشيب، شعره إلى شحمتي إذنيه، عيناه لسانان ناطقان، ربعة من الرجال، بعيد ما بين المنكبين، جهوري الصوت فصيحاً، سريع القراءة، تعتريه حدّة، لكنّه يقهرها بالحلم^(١).

جهادُه:

جاهد رحمه الله بلسانه وقلمه ويده، وحارب التتار، وحرّض المسلمين ضدّهم، وتقدّم الصفوف في وقعة (شقحب) سنة (٧٠٢هـ)، وصمد ضدّهم في يوم (مرج الصُفّر)، ودخل على ملك التتار قازان، وكلمه كلاماً أثار دهشة الحاضرين لجرأته؛ كما هدّد سلطان مصر لما كاد يسلم بلاد المسلمين للتتار.

ثناءُ العلماء عليه^(٢):

أثنى على شيخ الإسلام أعداؤه وأقرانه قبل أصدقائه وتلامذته، حتى عدّ ابنُ ناصر الدين الدمشقي أكثر من ثمانين عالماً من معاصريه أثنوا عليه، وأفرد لذلك كتابه الشهير «الرد الوافر»؛ يرد فيه على محمد بن محمد العجمي الشهير بالعلاء البخاري المتوفّي سنة (٨٤١هـ) الذي زعم أنّ من قال عن

(١) انظر: «الدرر الكامنة» لابن حجر (١/١٥١) نقلاً عن الذهبي.

(٢) أطلت الكلام هنا إيفاء بحق هذا الإمام، وردّاً على شبه المغرضين.

ابن تيمية: شيخ الإسلام؛ فهو كافر!!

ومن هذا الكتاب استخرجتُ أقوال أشهر مشاهير علماء عصره وعصر المؤلف ابن ناصر الدين، ولم أورد ثناء تلامذته له؛ أمثال: ابن القيم، وابن كثير، وابن عبد الهادي؛ لأنها كثيرة ومعروفة.

فممن أثنى عليه خيرًا، ويبن منزلته من الإسلام:

١- ابن سيّد الناس، صاحب «عيون الأثر في المغازي والشمائل والسير»، (ت ٧٣٤هـ)؛ قال رحمه الله:

«ألفيته ممن أدرك من العلوم حظًا، وكاد أن يستوعب السنن والآثار حفظًا، إن تكلم في التفسير؛ فهو حامل رايته، أو أفتى في الفقه؛ فهو مدرك غايته، أو ذكّر في الحديث؛ فهو صاحب علمه وذو روايته، أو حاضر بالملل والنحل؛ لم يُرَ أوسع من نحلته في ذلك، ولا أرفع من درايته، برز في كل فنّ على أبناء جنسه، ولم تر عينٌ من رآه مثله، ولا رأيت عينه مثل نفسه».

٢- شمس الدين الذهبي الشافعي المذهب، صاحب كتاب: «سير أعلام النبلاء»، (ت ٧٤٨هـ)؛ قال رحمه الله:

«هو أكبر من أن يُنبّه مثلي على نعوته، فلو حُلفُ بين الركن والمقام؛ لحلفتُ: أني ما رأيت بعيني مثله، ولا والله ما رأى هو مثل نفسه في العلم».

وقال في موضعٍ آخر: «قرأ القرآن والفقه، وناظر واستدلّ وهو دون البلوغ، برع في العلم والتفسير، وأفتى ودرّس وله نحو العشرين، وصنّف

التصانيف، وصار من أكابر العلماء في حياة شيوخه، وله المصنّفات الكبار التي سارت بها الركبان، ولعلّ تصانيفه في هذا الوقت تكون أربعة آلاف كراس وأكثر، وفسّر كتاب الله تعالى مدّة سنين من صدره في أيام الجُمع، وكان يتوقّد ذكاء، وسماعاته من الحديث كثيرة، وشيوخه أكثر من مئتي شيخ، ومعرفته بالتفسير إليها المنتهى، وحفظه للحديث ورجاله وصحته وسقمه، فما يلحق فيه، وأمّا نقله للفقه، ومذاهب الصحابة والتابعين - فضلاً عن المذاهب الأربعة - فليس له فيه نظير، وأمّا معرفته بالملل والنحل، والأصول والكلام؛ فلا أعلم له فيه نظيراً، ويدري جملة صالحة من اللغة، وعربيته قويّة جداً، ومعرفته بالتاريخ والسّير فعجب عجيب، وأمّا شجاعته وجهاده وإقدامه؛ فأمر يتجاوز الوصف، ويفوق النُّعوت، وهو أحد الأجواد الأسخياء الذين يُضرب بهم المثل، وفيه زهدٌ وقناعةٌ باليسير في المأكل والملبس).

٣- تقي الدين السُّبكي الشافعي: بيّن رحمه الله أنّ ابن تيمية يتحقق

فيه: ((كبر قدره، وزخارة بحره، وتوسعه في العلوم الشرعية والعقلية، وفرط ذكائه واجتهاده، وبلوغه في كلّ من ذلك المبلغ الذي يتجاوز الوصف...)).

إلى أن قال: ((وقدره في نفسي أعظم من ذلك وأجل، مع ما جمع الله له من الزّهادة، والورع، والديانة، ونصرة الحق والقيام فيه لا لغرض سواه، وجريه على سنن السلف، وأخذه من ذلك بالأخذ الأوفى، وغرابة مثله في هذا الزمان، بل من أزمان)) ١.هـ.

٤- السُّبكي، محمد بن عبد البر الشافعي، (ت ٧٧٧هـ)؛ قال رحمه الله:

«ما يُبغض ابن تيمية إلا جاهل أو صاحب هوى، فالجاهل لا يدري ما يقول، وصاحب الهوى يصدُّه هواه عن الحق بعد معرفته به».

٥- كمال الدين ابن الزمكاني الشافعي، وكان من خصومه،

(ت٧٢٧هـ)؛ قال رحمه الله عن شيخ الإسلام:

«كان إذا سُئِلَ عن فن من العلم؛ ظنَّ الرائي والسامع أنَّه لا يعرف غير ذلك الفن، وحكم أنَّ أحدًا لا يعرف مثله، وكان الفقهاء من سائر الطوائف إذا جلسوا معه؛ استفادوا في مذاهبهم منه ما لم يكونوا عرفوه قبل ذلك، ولا يُعرف أنَّه ناظر أحدًا فانقطع معه، ولا تكلم في علم من العلوم - سواء كان من علوم الشرع أم غيرها - إلا فاق فيه أهله والمنسوبين إليه، لم ير من خمس مئة سنة أحفظ منه».

٦- ابن دقيق العيد، القشيري المالكي ثمَّ الشافعي، (ت٧٠٢هـ)؛

قال عنه رحمه الله:

«لما اجتمعتُ بابن تيمية؛ رأيت رجلاً العلوم كلها بين عينيه، يأخذ منها ما يريد، ويدع ما يريد».

٧- البرزالي، أبو محمد، القاسم بن محمد، الإشبيلي الأصل،

الدمشقي، (ت٧٣٨هـ)؛ قال عنه:

«كان إمامًا لا يُلحَقُ غُبارُه في كل شيء، وبلغ رتبة الاجتهاد، واجتمعت فيه شروط المجتهدين، وكان إذا ذكر التفسير؛ أبحت الناس من كثرة محفظه، وحسن إيراده، وإعطائه كل قول ما يستحقُّه من التَّرحيح

والتضعيف والإبطال وخوضه في كل علم، كان الحاضرون يقضون منه العجب، هذا مع انقطاعه إلى الزهد والعبادة والاشتغال بالله تعالى والتجرّد من أسباب الدنيا ودعاء الخلق إلى الله تعالى)).

٨- أبو الحجاج المزّي، الدمشقي الشافعي، صاحب ((تهذيب

الكمال))، (ت ٧٤٢هـ)؛ قال عن شيخ الإسلام:

((ما رأيت مثله، ولا رأى هو مثل نفسه، وما رأيت أحدًا أعلم بكتاب الله وسنة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولا أتبع لهما منه)).

وقال مرة: ((لم ير مثله منذ أربع مئة عام)).

٩- ابن حجر العسقلاني الشافعي، صاحب ((فتح الباري))،

(ت ٨٥٢هـ)؛ قال عنه:

((ومن أعجب العجب أنّ هذا الرجل كان أعظم الناس قيامًا على أهل البدع؛ من الروافض، والحلولية، والأثناوية، وتصانيفه في ذلك كثيرة شهيرة، وفتاويه فيهم لا تدخل تحت حصر)).

وقال أيضًا: ((ولو لم يكن للشيخ تقي الدين من المناقب إلا تلميذه

الشهير الشيخ شمس الدين ابن قيم الجوزية، صاحب التصانيف السائرة، التي انتفع بها الموافق والمخالف؛ لكان غاية في الدلالة على عظم منزلته، فكيف وقد شهد له بالتقدم في العلوم والتميز في المنطوق والمفهوم أئمة عصره من الشافعية وغيرهم؛ فضلًا عن الحنابلة)).

١٠- بدر الدين العيني، الحنفي، صاحب ((عمدة القاري شرح

صحيح البخاري)) (ت ٨٥٥هـ)؛ قال عن الشيخ:

«هو الإمام الفاضل البارع، التقى النقي الورع، الفارس في علمي الحديث والتفسير، والفقه والأصوليين بالتقرير والتحريير، والسيف الصارم على المبتدعين، والخبِر القائم بأمر الدين، والأَمَّار بالمعروف والنَهَاء عن المنكر، ذو هَمَّة وشجاعة وإقدام فيما يروع ويزجر، كثير الذكر والصوم والصلاة والعبادة، خشن العيش والقناعة من دون طلب الزيادة، وكانت له المواعيد الحسن السنيَّة، والأوقات الطيِّبة البهيَّة، مع كَفِّه عن حطام الدنيا الدنيَّة، وله المصنفات المشهورة المقبولة، والفتاوى القاطعة غير المعلولة».

وقال منافحًا، وذائبًا عنه، ذامًّا مَنْ نال من عِرْضِهِ: «ليس هو إلا كالجُعَل؛ باشتمام الورد يموت حتف أنفه، وكالحفَّاش يتأدَّى ببهور سناء الضوء لسوء بصره وضعفه، وليس لهم سحِّيَّة نقَّادة، ولا رويَّة وقَّادة، وما هم إلا صلقع بلقع سلقع، والمكفر منهم صلمعة بن قلمعة، وهيان بن بيان، وهي بن بيِّ، وضل بن ضل، وضلال بن التَّلَّال^(١).

ومن الشائع المستفيض أنَّ الشيخ الإمام العالم العلامة تقي الدين ابن تيمية من شُمَّ عرَّانين الأفاضل، ومن جمِّ براهين الأماثل، الذي كان له من الأدب مادب تغدِّي الأرواح، ومن نخب الكلام له سلافة تهرُّ الأعطاف المراح، ومن يانع ثمار أفكار ذوي البراعة، طبعه المفلق في الصناعة الخالية عن وصمة الفجاجة والبشاعة، وهو الكاشف عن وجوه مخدَّرات المعاني نقابها،

(١) هذه الألفاظ مثل قولهم: «هو طامر بن طامر»؛ أي: لا يُدرى من هو؟ ولا من أبوه؟

والمفترع عرائس المباني بكشف جلبابها، وهو الذابُّ عن الدين طَعَنَ الزنادقة والملحدين، والناقد للمرويات عن النبي سيّد المرسلين، وللمأثورات من الصحابة والتابعين)). اهـ

الافتراءات عليه:

كثرت الافتراءات على شيخ الإسلام من أعدائه المعاصرين له؛ من الصوفيّة، وأهل الكلام، والمبتدعة، ومن بعد عصره أيضاً إلى يومنا هذا، ولكن أعجب هذه الافتراءات - والتي اتّكأ عليها المبتدعة الخصوم - افتراء ابن بطوطة الرّحال في كتابه المشهور والمعروف بـ «رحلة ابن بطوطة»، المسماة: «تحفة الأنظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار»؛ قال - عليه من الله ما يستحق -: «وصلتُ يوم الخميس، التاسع من شهر رمضان المعظّم، عام ستة وعشرين إلى مدينة دمشق الشام...».

إلى أن قال: «... وكان بدمشق من كبار فقهاء الحنابلة تقي الدين ابن تيمية، كبير الشام، يتكلّم في الفنون؛ إلا أنّ في عقله شيئاً، وكان أهل دمشق يعظّمونه أشدّ التعظيم، ويعظّمهم على المنبر...».

إلى أن قال: «... فحضرته يوم الجمعة وهو يعظ الناس على منبر الجامع، ويذكّرهم، فكان من جملة كلامه أن قال: إنّ الله ينزل إلى السماء الدُّنيا كنزولي هذا. ونزل درجة من درج المنبر، فعارضه فقيه مالكيّ يُعرف بابن الزهراء، وأنكر ما تكلم به، فقامت العامّة إلى هذا الفقيه، وضربوه بالأيدي

والنعال ضربًا كثيرًا، حتى سقطت عمامته...» إلى آخر كذبه وافتراءه^(١).

هذا كلامه، وهذا افتراؤه، لذلك لما أورد هذا الكلام الشيخ أحمد بن إبراهيم بن عيسى في «شرحه للقصيدة النونية»^(٢)؛ أعقبه بقوله: «... واغوثاه بالله من هذا الكذب الذي لم يخف الله كاذبه، ولم يستحي مفتره، وفي الحديث: «إذا لم تستحي؛ فاصنع ما شئت»^(٣).

ووضوح هذا الكذب أظهر من أن يحتاج إلى بيان، والله حسيب هذا المفتري الكذاب؛ فإنه ذكر أنه دخل دمشق في التاسع من شهر رمضان سنة ٧٢٦هـ، وشيخ الإسلام ابن تيمية إذ ذاك قد حُبس في القلعة؛ كما ذكر ذلك العلماء الثقات؛ كتلميذه الحافظ محمد بن أحمد بن عبد الهادي، والحافظ أبي الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب في «طبقات الحنابلة»؛ قال في ترجمة الشيخ من «طبقاته» المذكور: «مكث الشيخ في القلعة من شعبان سنة ست وعشرين، إلى ذي القعدة سنة ثمانٍ وعشرين»^(٤).
وزاد ابن عبد الهادي أنه دخلها في سادس شعبان^(٥).

(١) انظر: «الرحلة» (١/١٠٢، ١٠٩، ١١٠)، تحقيق الدكتور علي المنتصر الكتاني، طبع مؤسسة الرسالة.

(٢) انظر: «الشرح» (١/٤٩٧).

(٣) رواه البخاري (٣٤٨٣)، وأوله:

«إن مما أدرك الناس من كلام النبوة...» الحديث.

(٤) انظر: «الذيل على طبقات الحنابلة» (٢/٤٠٥).

(٥) انظر: «العقود الدرّية» لابن عبد الهادي (ص: ٢١٨).

فانظر إلى هذا المفتري، يذكر أنه حضره وهو يعظ الناس على منبر الجامع، فيا ليت شعري! هل انتقل منبر الجامع إلى داخل قلعة دمشق؟! والحال أن الشيخ رحمه الله لمَّا دخل القلعة المذكورة في التاريخ المذكور لم يخرج منها إلا على النعش، وكذا ذكر الحافظ عماد الدين ابن كثير في «تاريخه»^(١). انتهى المقصود منه.

ومما يدلُّ على أنَّ ابن بطوطة كثير الكذب ما نقله في رحلته من حكايات عجيبة، حتى قال ابن خلدون بعد أن ذكر شيئاً منها: «...وأكثر ما كان يحدث دولة صاحب الهند، ويأتي من أحواله بما يستغربه السامعون... أمثال هذه الحكايات، فتناجى الناس بتكذيبه، ولقيت أيامئذ وزير السلطان فارس بن وردار البعيد الصيت، ففاوضته في هذا الشأن، وأريته إنكار أخبار ذلك الرجل لما استفاض الناس من تكذيبه..»^(٢).

فابن خلدون إذًا يشكك في صدق ابن بطوطة بسبب غرائب أخباره التي يرويها، ولا أعرب مما نقله عن ابن تيمية.

وتمَّ غريبةٌ أخرى في رحلته عند زيارته للهند، فقال: «ووصلنا إلى جبل

(١) انظر: «البداية» (١٢٣/١٤). والذي ذكره ابن كثير - نقلاً عن البرزالي - هو دخوله سادس عشر شعبان يوم الاثنين بعد العصر؛ مطابقاً لما ذكره ابن رجب. وأياً ما كان؛ فهو قطعاً قبل أن يدخلها هذا الرحالة الكذاب، وذلك في التاسع من رمضان، فعلى ما ذكره البرزالي وابن كثير - نقلاً - عنه؛ فإنه يكون بين دخول ابن تيمية سجن القلعة ودخول ابن بطوطة دمشق (٢٣ يوماً)، وعلى ما ذكر ابن عبد الهادي يكون بينهما (٣٣ يوماً).

(٢) انظر: «مقدمة ابن خلدون» (٥٦٥/٢)، تحقيق: علي عبد الواحد وافي.

بشاي، وبه زاوية الشيخ الصالح أطا أولياء، ... وهم يذكرون أنّ عمره ثلاث مئة وخمسون عامًا، ولهم فيه اعتقاد حسن ... ودخلنا إليه، فسلمتُ عليه، وعانقني، وجسمه رطبٌ، لم أرَ ألين منه، ويظن رائيهِ أنّ عمره خمسون سنة، وذكر لي أنّه في كل مئة سنة ينبت له الشعر والأسنان...)) إلى آخر غرائبهِ^(١).

فالله أعلم كم في هذه الرحلة من اختلاق وكذب وافتراء، ورحم الله ابن تيمية رحمة واسعة، وما كيد الظالمين إلا في تباب.

محنّته ووفاته:

كان خصوم ابن تيمية في كثير من المحن هم من يتولى القضاء في شأنه؛ من الفقهاء الذين كُبر عليهم مخالفته لهم في فتاويهم وآرائهم، ومن الصوفية وأهل الكلام.

وقد سُجن مرّاتٍ عديدة؛ منها (سنة ٧٠٥هـ في يوم الجمعة ٢٦ رمضان)، وفي ليلة العيد نُقل إلى مكان آخر بالجلب، وظلّ حبيسًا به عامًا كاملاً، ثمّ خرج من السجن في (يوم ٢٣ ربيع أول سنة ٧٠٧هـ).

ثم حبس مرة أخرى بسبب دعاوى بعض الصوفية، ثمّ خرج (عام ٧٠٩هـ يوم عيد الفطر).

ثم امتحن مرة أخرى (عام ٧٢٦هـ)، ومُنع من الإفتاء، واعتقل، وكان

(١) انظر: «الرحلة» (١/٤٦٦).

ذلك (يوم الجمعة ١٠ شعبان)، وظل في سجنه سنتين وأشهرًا، ومات فيه ليلة الاثنين، لعشرين من ذي القعدة، سنة (٧٢٨هـ)، وشهد جنازته من الخلائق ما لا يحصره عدُّ، وكانت مثلًا واضحًا لقول الإمام أحمد: ((قولوا لأهل البدع: بيننا وبينكم شهود الجنائز)).

وهكذا مات وعمره ٦٧ سنة، وكانت حياته حافلة بالدعوة، والجهاد، والتدريس، والفتوى، والتأليف، والمناظرة، والدفاع عن منهج السلف، ولم يتزوّج، ولم يتسرَّ، ولم يخلف مالا.

رحم الله شيخ الإسلام رحمة واسعة، وأسكنه فسيح جنانه، وجزاه الله عنّا وعن الإسلام والمسلمين خير الجزاء.

تاريخ كتابة العقيدة الواسطية:

وُلِدَ شيخ الإسلام ابن تيمية كما أسلفت سنة (٦٦١هـ)، وكتب العقيدة الواسطية قبل سنة (٦٩٩هـ)^(١) أي أنّ عمره كان آنذاك لا يتجاوز ٣٨ سنة، وسبب كتابتها أنّ قاضيًا من واسط طلب منه كتابة عقيدة له^(٢)،

(١) قال شيخ الإسلام: (كتبتها من نحو سبع سنين قبل مجيء التتار إلى الشام) ((مجموع الفتاوى)) (٣/١٩٤)، ومجئ التتار كان عام ٦٩٩هـ.

(٢) قال شيخ الإسلام: (كان سبب كتابتها أنه قدم علي من أرض واسطٍ بعضُ قضاة نواحيها -شيخٌ يقال له: رضي الدين الواسطي، من أصحاب الشافعي-، قديم علينا حاجًا، وكان من أهل الخير والدين، وشكا ما الناس فيه بتلك البلاد وفي دولة التتار؛ من غلبة الجهل والظلم، ودُروس الدين والعلم، وسألني أن أكتب له عقيدة تكون عمدةً له ولأهل بيته، فاستعفيتُ من ذلك، وقلت: قد كتب الناس عقائد متعدّدة، فخذ بعض عقائد أئمة السُنّة. فألحّ في

وخلال سبع سنوات انتشرت، ونُسخت منها نسخٌ كثيرة^(١)، ولم تكن آنذاك قد اشتهرت بهذا الاسم، بل كانت معروفة بـ (اعتقاد الفرقة الناجية) أو (اعتقاد الفرقة الناجية المنصورة)، لأنَّ شيخ الإسلام بدأها بقوله: (هذا اعتقاد الفرقة الناجية المنصورة إلى قيام الساعة)، ثمَّ حصل أن امتُحِنَ فيها وناظر علماء عصره أمام نائب السلطان الأفرم، وكان ذلك عام (٧٠٦) على وجه التقريب^(٢)، وقد أطلق عليها شيخ الإسلام في المناظرة اسم ((العقيدة الواسطية))^(٣)، ومن ذلك الحين عُرفت بهذا الاسم، فانتشرت بأسماء متعددة، ولا يُعرف مكان للأصل الذي كتبه شيخ الإسلام بيده، إلا أنَّ هناك نسخة نفيسة قرئت عليه عام ٧١٥ أي بعد كتابتها بـ ١٦ عامًا^(٤) وهي أوثق نسخة للعقيدة الواسطية أمكن الحصول عليها حتى الآن وتُحَقَّق لأول مرة، حيث إنَّ أقرب نسخة قوبلت وطبعت قبل هذه النسخة هي

السؤال، وقال: ما أحبُّ إلا عقيدة تكتبها أنت. فكتبت له هذه العقيدة وأنا قاعدٌ بعد العصر). ((مجموع الفتاوى)) (١٦٤/٣)

(١) قال شيخ الإسلام: (كتبتها من نحو سبع سنين ... وقد انتشرت بها نسخٌ كثيرة؛ في مصر والعراق، وغيرهما). ((مجموع الفتاوى)) (١٦٤/٣)

(٢) وذلك لأنَّ شيخ الإسلام قال في مناظرته لهم كما تقدم: (هذه كتبها من نحو سبع سنين قبل مجيء التتار إلى الشام) ومجيء التتار كان عام ٦٩٩ فتكون المناظرة على وجه التقريب عام ٧٠٦.

(٣) قال رحمه الله: (أرسلت من أحضرها ومعها كراريس بخطي من المنزل فحضرت ((العقيدة الواسطية)) وقلت لهم: هذه كتبها من نحو سبع سنين). ((مجموع الفتاوى)) (١٦٤/٣).

(٤) سبق الحديث عنها.

نسخة دار الكتب الظاهرية^(١)، وقد نُسخت عام ٧٣٦هـ أي بعد أكثر من ٣٦ سنة من كتابتها، وبعد ٨ سنوات من وفاة شيخ الإسلام ابن تيمية، وقد كانت وفاته رحمه الله عام ٧٢٨هـ.

مواطن ترجمته^(٢):

أ - كتبٌ عامّة:

- ١ - «البداية والنهاية»؛ لابن كثير (٤/١٤، ٧-٢٣، ٣٦-٣٩، ٤٤، ٤٨، ٥٣-٥٥، ٦٧، ٩٧، ١٢٣، ١٣٥-١٤٠، ١٤٣).
- ٢ - «الدرر الكامنة» لابن حجر (١/١٤٤).
- ٣ - «البدر الطالع» للشوكاني (١/٦٣).
- ٤ - «تذكرة الحفاظ» للذهبي (٤/١٤٩٦).
- ٥ - «الذيل على طبقات الحنابلة» لابن رجب (٢/٣٨٧).
- ٦ - «طبقات المفسرين» (١/٤٥).
- ٧ - «طبقات الحفاظ» للسيوطي (ص ٥٢٠).
- ٨ - «فوات الوفيات» للكنتي (١/٧٤).
- ٩ - «الإعلان بالتويخ لمن ذمّ التاريخ» للسخاوي، تحقيق رونثال،

(١) وقد حقق الشيخ أشرف عبدالمقصود العقيدة الواسطية تحقيقًا متقنًا معتمدًا على هذه النسخة، ومعها ثلاث نسخ أخرى، فجزاه الله خيرًا.

(٢) هذه أهم مواطن ترجمته، سطرًا حثًا لطلبة العلم على دراسة حياة شيخ الإسلام، وتسهيلًا لهم.

إشراف: صالح العلي، (ص ١١١، ١٣٦، ١٣٧، ٢٩٤، ٣٠٧، ٣٥٢).

١٠- «التاج المكمل» لصديق حسن خان (ص ٤٢٠-٤٣١).

ب- كتب خاصة:

وقد أُفردت له تراجم خاصة قديماً وحديثاً، ومن أهم ذلك:

- ١- «الرد الوافر» لابن ناصر الدين الدمشقي.
- ٢- «العقود الدرّية في مناقب ابن تيمية» لابن عبد الهادي.
- ٣- «الكواكب الدرّية في مناقب ابن تيمية» لمرعي الكرمي.
- ٤- «الشهادة الزكية في ثناء الأئمة على ابن تيمية» لمرعي الكرمي.
- ٥- «ابن تيمية بطل الإصلاح الديني» لمحمود مهدي الاستانبولي.
- ٦- «ابن تيمية؛ حياته وعصره» لمحمد أبو زهرة.
- ٧- «من رجال الفكر» خاص ب حياة ابن تيمية، لأبي الحسن الندوي.
- ٨- «لمحات من حياة شيخ الإسلام ابن تيمية» لعبدالرحمن عبدالخالق.
- ٩- «من أعلام مجددّين شيخ الإسلام ابن تيمية» لصالح الفوزان.
- ١٠- «أوراق مجموعة من حياة شيخ الإسلام ابن تيمية» للشيباني.
- ١١- «الجامع لسيرة شيخ الإسلام ابن تيمية خلال سبعة قرون»^(١) للشيخين الفاضلين: محمد عزيز شمس وعلي بن محمد العمران.

(١) وقد صدر عن عالم الفوائد، وهو بحق جامع لسيرته، يغني عن غيره ولا يغني غيره عنه.

ترجمة موجزة للشيخ محمد خليل هراس^(١)

- هو العلامة، السلفي، المحقق، محمد خليل هراس.
- من محافظة الغربية بجمهورية مصر العربية.
- ولد بطنطا عام (١٩١٦م)، وتخرّج من الأزهر في الأربعينات من كلية أصول الدين، وحاز على الشهادة العالمية العالية (الدكتوراه) في التوحيد والمنطق.
- عمل أستاذًا بكلية أصول الدين في جامعة الأزهر.
- أُعير إلى المملكة العربية السعودية، ودُرّس في جامعة الإمام محمد ابن سعود الإسلامية بالرياض، ثم أُعير مرّةً أخرى، وأصبح رئيسًا لشعبة العقيدة في قسم الدراسات العليا في (كلية الشريعة سابقًا / جامعة أم القرى حاليًا) بمكة المكرمة.
- عاد إلى مصر، وشغل منصب نائب الرئيس العام لجماعة أنصار السنة المحمدية، ثمّ الرئيس العام لها بالقاهرة.
- وفي عام (١٩٧٣م) - قبل وفاته بسنتين - اشترك مع الدكتور عبدالفتاح سلامة في تأسيس جماعة الدعوة الإسلامية في محافظة الغربية، وكان أول رئيس لها.
- توفي رحمه الله تعالى عام (١٩٧٥م) عن عُمر يناهز الستين.

(١) أفادي بها الشيخان السلفيان عبد الرزاق عفيفي، وعبد الفتاح سلامة، وهما من معاصريه.

- كان رحمه الله سلفي المعتقد، شديداً في الحق، قويّ الحجّة والبيان، أفنى حياته في التعليم والتأليف ونشر السنة وعقيدة أهل السنّة والجماعة.
- له مؤلفات عدة؛ منها:
- ١- تحقيق كتاب «المغني» لابن قدامة، وقد طُبع لأول مرة في مطبعة الإمام بمصر.
 - ٢- تحقيق وتعليق على كتاب «التوحيد» لابن خزيمة.
 - ٣- تحقيق وتعليق على كتاب «الأموال» لأبي عُبيد القاسم بن سلام.
 - ٤- تحقيق ونقد كتاب «الخصائص الكبرى» للسيوطي.
 - ٥- تحقيق وتعليق على كتاب «السيرة النبوية» لابن هشام.
 - ٦- شرح «القصيدة النونية» لابن القيم في مجلدين.
 - ٧- تأليف كتاب «ابن تيمية ونقده لمسالك المتكلمين في مسائل الإلهيات».
 - ٨- شرح «العقيدة الواسطية» لابن تيمية، وهو كتابنا هذا.

علوي بن عبدالقادر السَّقَّاف

المشرف العام على مؤسسة الدرر السنية

saggaf@dorar.net

١٤٣٤/١/١ هـ

الظهران

متن العقيدة الواسطية

١١/ الحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيداً.

وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له إقراراً به وتوحيداً.
وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم تسليماً مزيداً.
اعتقاد الفرقة الناجية المنصورة إلى قيام الساعة.

هو الإيمان بالله وملائكته، وكتبه، ورسوله، والبعث بعد الموت، والإيمان بالقدر خيره وشره.

ومن الإيمان بالله: الإيمان بما وصف به نفسه في كتابه، وبما وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم؛ من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل.

بل يؤمنون بأن الله سبحانه وتعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ

٢/ البصير﴾.

فلا ينفون عنه ما وصف به نفسه، ولا يحرفون الكلم عن مواضعه، ولا يلحدون في أسماء الله تعالى وآياته، (ولا يكيفون) ولا يمثّلون صفاته بصفات خلقه.

لأنه سبحانه وتعالى: لا سمّي له، ولا كُفّ له، ولا ندّ له.

ولا يُقاسُ بخلقِه فإنه سبحانه أعلم بنفسه وبغيره، وأصدق قِيلاً، وأحسنُ حَدِيثًا من خلقه. ثمّ رُسُلُه صَادِقُونَ مُصَدِّقُونَ؛ بِخِلَافِ الَّذِينَ يَقُولُونَ عَلَيْهِ مَا لَا يَعْلَمُونَ.

وَهَذَا قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَّمَ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨٢﴾﴾. فَسَبَّحَ نَفْسَهُ عَمَّا وَصَفَهُ بِهِ الْمُخَالِفُونَ لِلرُّسُلِ، وَسَلَّمَ عَلَى الْمُرْسَلِينَ؛ لِسَلَامَةِ مَا قَالُوهُ مِنَ النَّقْصِ وَالْعَيْبِ.

وَهُوَ سُبْحَانَهُ قَدْ جَمَعَ فِيهَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ بَيْنَ النَّفْيِ وَالْإِثْبَاتِ. فَلَا عُذُولَ لِأَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ عَمَّا جَاءَتْ بِهِ الْمُرْسَلُونَ؛ فَإِنَّهُ الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ، صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ.

وَقَدْ دَخَلَ فِي هَذِهِ الْجُمْلَةِ مَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ فِي سُورَةِ الْإِخْلَاصِ الَّتِي تَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ، حَيْثُ يَقُولُ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾﴾.

وَمَا / ق/ ٣ / وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ فِي أَعْظَمِ آيَةٍ فِي كِتَابِهِ؛ حَيْثُ يَقُولُ: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ۗ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۗ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ ۗ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ ۗ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا ۗ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾﴾، (أي: لا يُكْرَهُهُ وَلَا يُثْقَلُهُ).

وَهَذَا كَانَ مَنْ قَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ فِي لَيْلَةٍ لَمْ يَزَلْ عَلَيْهِ مِنَ اللَّهِ حَافِظٌ وَلَا يَفْرُئُهُ شَيْطَانٌ حَتَّى يُصْبِحَ.

وَقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ﴾.

وَقَوْلِهِ: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

وَقَوْلِهِ: ﴿وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ (٢)، وَهُوَ ﴿الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ﴾ ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾، ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنَ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلْمَتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ (٥٩)، ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا يَعْلَمُهَا﴾، وَقَوْلِهِ: ﴿لِنَعْلَمَنَّ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَمَّا﴾ (١٢).

وَقَوْلِهِ: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ (٥٨).

وَقَوْلِهِ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ / ق ٤ / وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١١﴾، ﴿إِنَّ اللَّهَ نِعْمًا يَعِظُكُمْ بِهِ﴾ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾.

وَقَوْلِهِ: ﴿وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾، وَقَوْلِهِ: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنْ اخْتَلَفُوا فِيهِمْ مَنْ ءَامَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ (١٣٠)، وَقَوْلِهِ: ﴿أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرِ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾، وَقَوْلِهِ: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعْدُ فِي السَّمَاءِ﴾.

وَقَوْلِهِ: ﴿وَاحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٦٥﴾﴾، ﴿وَأَقْسَطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ
 الْمُقْسِطِينَ ﴿١﴾﴾، ﴿فَمَا اسْتَقْتُمُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ
 الْمُتَّقِينَ ﴿٧﴾﴾، ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾﴾، ﴿سَوْفَ يَأْتِي
 اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُمْ﴾، ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقْتَلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا
 كَانَهُمْ بَيْنَ مَرَّصُونَ ﴿٤﴾﴾، ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ
 ذُنُوبَكُمْ﴾.

وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾، وَقَوْلِهِ: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾
 ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا﴾، ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا
 ﴿٤٣﴾﴾، وَقَالَ: /ق ٥/ ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾، ﴿وَهُوَ الْغَفُورُ
 الرَّحِيمُ﴾، ﴿فَاللَّهُ خَيْرٌ حَفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّحِيمِينَ ﴿٦٤﴾﴾.

وَقَوْلِهِ: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا
 وَعَظِمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ﴾، وَقَوْلِهِ: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا آسَخَطَ اللَّهُ
 وَكَرَهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾، وَقَوْلِهِ: ﴿فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ
 فَأَعْرَفْنَاهُمْ﴾، وَقَوْلِهِ: ﴿وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ ابْتِغَاءَهُمْ فَنَبَطْهُمْ﴾، وَقَوْلِهِ:
 ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾﴾.

وَقَوْلِهِ: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ
 وَقُضِيَ الْأَمْرُ﴾، ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ
 آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا﴾، ﴿كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا

دَكَآ (١١) وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًا صَفًا (٢٢) ، ﴿ وَيَوْمَ تَشَقُّقُ السَّمَاءُ بِالْعَنَمِ وَنِزَالِ الْمَلَائِكَةِ نَزِيرًا (٢٥) ﴾ .

وَقَوْلِهِ: ﴿ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ (٢٧) ﴾ ، ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾ .

وَقَوْلِهِ: ﴿ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتَ بِيَدَيَّ ﴾ ، ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ ﴾ .

وَقَوْلِهِ: ﴿ وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾ ، وَقَوْلِهِ: ﴿ وَحَمَلْنَاهُ عَلَىٰ ق/٦ ذَاتِ الْوَجْهِ وَدُسِرَ (١٣) تَجْرَىٰ بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفِرَ (١٤) ﴾ ، ﴿ وَلِصْنَعِ عَلَىٰ عَيْنِي ﴾ .

وَقَوْلِهِ: ﴿ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ خَائِرًا ﴾ ، ﴿ لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا ﴾ ، ﴿ إِنِّي مَعَكُمْ مَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ (٤٦) ﴾ ، ﴿ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَىٰ وَرُسُلْنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ (٨٠) ﴾ ، وَقَوْلِهِ: ﴿ أَلَمْ نَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ (١٤) ﴾ ، ﴿ الَّذِي يَرِنَكَ حِينَ تَقُومُ (٢١٨) وَتَقْلَبُكَ فِي السَّجْدَيْنِ (٢١٩) ﴾ ، ﴿ وَقُلِ أَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ﴾ .

وَقَوْلِهِ: ﴿ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ (١٣) ﴾ ، وَقَوْلِهِ: ﴿ وَمَكْرُؤًا مَكَرًا وَمَكْرًا مَكْرًا وَمَكْرًا مَكْرًا ﴾ ، وَقَوْلِهِ: ﴿ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا (١٥) وَأَكِيدُ كَيْدًا (١٦) ﴾ .

وَقَوْلِهِ: ﴿إِنْ بُدُوا خَيْرًا أَوْ تُخَفُّوهُ أَوْ تَعْفُوا عَنْ سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا﴾ (١٤٩)، وَقَوْلُهُ: ﴿وَلِيَعْفُوا وَلِيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (٢٢).

وَقَوْلِهِ: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ﴾، ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأَعُوذَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (٨٢).

وَقَوْلِهِ: ﴿بِنُورِكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ (٧٨).

وَقَوْلِهِ: ﴿فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ (٦٥)، ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ (٤)، ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أُنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (٢٢)، ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ / ق٧ / أُنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾، ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمَلِكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وِليٌّ مِنَ الذَّلِيلِ وَكَبْرَهُ تَكْبِيرًا﴾ (١١١)، وَقَوْلِهِ: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (١)، وَقَوْلِهِ: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ (١) الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ نَقْدِيرًا﴾ (٢)، وَقَوْلِهِ: ﴿مَا آتَخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَمَّا لَبِثُوا لِبَعْضٍ عَلَى سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ﴾ (١١) عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَلَّى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (١٢)، وَقَوْلِهِ: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (٧٤)، وَقَوْلِهِ: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْأْتِمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (٣٣).

وَقَوْلِهِ: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴿٥﴾﴾ ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ ﴿في ستة مواضع﴾.

وَقَوْلِهِ: ﴿يَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَرَافِعَكَ إِلَى﴾، ﴿بَل رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾، وَقَوْلِهِ: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الْقَائِلُ﴾ ﴿٨﴾ الصَّلِحُ يَرْفَعُهُ﴾، وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَهْتَمُنُ ابْنُ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَجْلُعُ الْأَسَدَبِ ﴿٣١﴾﴾ أَسَدَبَ السَّمَوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لِأَظُنُّهُ كَذِبًا﴾، وَقَوْلِهِ: ﴿ءَأَمِنْتُمْ مَن فِي السَّمَاءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ﴿١٦﴾﴾ أَمْ أَمِنْتُمْ مَن فِي السَّمَاءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْمَلُونَ كَيْفَ نَذِيرٍ ﴿١٧﴾﴾.

وَقَوْلِهِ: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾﴾، وَقَوْلُهُ: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا آدَنِي مِّنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرُ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾﴾، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّا اللَّهُ مَعْنَا﴾، وَقَوْلُهُ: ﴿إِنِّي مَعَكُمْ أَسْمَعُ وَأَرَى ﴿٤٦﴾﴾، وَقَوْلُهُ: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾﴾، ﴿وَأَصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾، وَقَوْلُهُ: ﴿كَم مِّن فِتْنَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِتْنَةٌ كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾.

وَقَوْلِهِ: ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا ﴾ ﴿٨٧﴾ ، ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا ﴾ ﴿١٢٢﴾ ، وَقَوْلِهِ: ﴿ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ﴾ ، وَقَوْلِهِ: ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ / ق ٩ / صِدْقًا وَعَدْلًا ﴾ ﴿ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ﴾ ﴿١٦٤﴾ ، ﴿ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ ﴾ ، ﴿ وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ ﴾ ، ﴿ وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا ﴾ ، وَقَوْلِهِ: ﴿ وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى أَنْ أَنْتَ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ ﴿١٠﴾ ، ﴿ وَنَادَيْنَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ ، وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾ ﴿٦٢﴾ ﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ ﴾ ﴿٦٥﴾ .

وَقَوْلِهِ: ﴿ وَإِن أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ ﴾ ، ﴿ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ ، وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلِمَ اللَّهِ فِئْلَن تَتَّبِعُونَ ﴾ ، وَقَوْلِهِ: ﴿ وَأَتْلُ مَا أُوْحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ ﴾ ، وَقَوْلِهِ: ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَفُضُّ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ ، وَقَوْلِهِ: ﴿ وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ ﴾ ، وَقَوْلِهِ: ﴿ لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ﴾ ، ﴿ وَإِذَا بَدَلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ ﴿١١٠﴾ قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ / ق ١٠ / لِيُنذِرَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهُدًى

وَبَشَّرَ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٢﴾ وَلَقَدْ نَعَلِمَ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ ﴿١٠٣﴾

وَقَوْلِهِ: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ ، ﴿عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ ﴿٢٤﴾﴾ ، وَقَوْلِهِ: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴿٢٥﴾﴾ ، وَهَذَا الْبَابُ فِي كِتَابِ اللَّهِ كَثِيرٌ. مَنْ تَدَبَّرَ الْقُرْآنَ طَالِبَ الْهُدَىٰ مِنْهُ؛ تَبَيَّنَ لَهُ طَرِيقُ الْحَقِّ.

ثُمَّ سُنَّةُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، تُفَسِّرُ الْقُرْآنَ، وَتُبَيِّنُهُ، وَتَدُلُّ عَلَيْهِ، وَتُعَبِّرُ عَنْهُ. وَمَا وَصَفَ الرَّسُولُ بِهِ رَبَّهُ مِنَ الْأَحَادِيثِ الصَّحِيحِ الَّتِي تَلَقَّاهَا أَهْلُ الْمَعْرِفَةِ بِالْقَبُولِ؛ وَجِبَ الْإِيمَانُ بِهَا كَذَلِكَ.

مِثْلُ قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((يَنْزِلُ رَبُّنَا إِلَىٰ سَمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَىٰ ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرِ، فَيَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، مَنْ يَسْتَعْفِرُنِي فَأَعْفِرَ لَهُ؟)).

وَقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((لِللَّهِ أَشَدُّ فَرْحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ مِنْ أَحَدِكُمْ بِرَاحِلَتِهِ)) الْحَدِيثُ.

وَقَوْلِهِ: ((يَضْحَكُ اللَّهُ إِلَىٰ رَجُلَيْنِ يَقْتُلُ أَحَدُهُمَا الْآخَرَ؛ يَدْخُلَانِ الْجَنَّةَ)).
وَقَوْلِهِ: ((عَجِبَ رَبُّنَا مِنْ قُنُوطِ عِبَادِهِ وَقُرْبِ غَيْرِهِ، يَنْظُرُ إِلَيْكُمْ أَرْلِينَ فَنَظِيرًا، فَيُظَلُّ يَضْحَكُ يَعْلَمُ أَنَّ فَرْجَكُمْ قَرِيبٌ)).

وَقَوْلِهِ: ((لا تَزَالُ / ق ١١ / جَهَنَّمَ يُلْقَى فِيهَا، وَتَقُولُ: هَلْ مِنْ مَزِيدٍ؟ حَتَّى يَضَعَ رَبُّ الْعِزَّةِ فِيهَا قَدَمَهُ، وَفِي رِوَايَةٍ: عَلَيْهَا قَدَمُهُ، فَيَنْزَوِي بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ، وَتَقُولُ: قَطُّ قَطُّ)).

وَقَوْلِهِ: ((يَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لِأَدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: يَا آدَمُ! فَيَقُولُ: لَبَيْكَ وَسَعْدَيْكَ. فَيُنَادِي بِصَوْتٍ: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تُخْرَجَ مِنْ دُرَّتَيْكَ بَعَثًا إِلَى النَّارِ)). وَقَوْلُهُ: ((مَا مِنْ أَحَدٍ إِلَّا سَيَكَلِّمُهُ رَبُّهُ، لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ حَاجِبٌ وَلَا تَرْجُمَانٌ)).

وَقَوْلِهِ فِي رُفْيَةِ الْمَرِيضِ: ((رَبَّنَا اللهُ الَّذِي فِي السَّمَاءِ، أَمْرُكَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، كَمَا رَحِمْتَكِ فِي السَّمَاءِ: اجْعَلْ رَحْمَتَكَ فِي الْأَرْضِ، اغْفِرْ لَنَا حُوبَنَا وَخَطَايَانَا، أَنْتَ رَبُّ الطَّيِّبِينَ، أَنْزِلْ رَحْمَةً مِنْ رَحْمَتِكَ، وَشِفَاءً مِنْ شِفَائِكَ عَلَى هَذَا الْوَجْعِ، فَيَبْرَأُ)). وَقَوْلُهُ: ((أَلَا تَأْمُنُونِي وَأَنَا أَمِينٌ مَنْ فِي السَّمَاءِ)). وَقَوْلُهُ: ((وَالْعَرْشُ فَوْقَ ذَلِكَ، وَاللَّهُ فَوْقَ عَرْشِهِ، وَهُوَ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ)). وَقَوْلُهُ لِلْحَارِيَّةِ: ((أَيْنَ اللهُ؟)). قَالَتْ: فِي السَّمَاءِ. قَالَ: ((مَنْ أَنَا؟)). قَالَتْ: أَنْتَ رَسُولُ اللهِ. قَالَ: ((أَعْتَقَهَا فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ)). وَقَوْلُهُ: ((إِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ إِلَى الصَّلَاةِ؛ فَإِنَّ اللَّهَ قَبْلَ وَجْهِهِ، فَلَا يَبْصُقَنَّ قَبْلَ وَجْهِهِ، وَلَا عَنْ يَمِينِهِ؛ وَلَكِنْ عَنْ يَسَارِهِ، أَوْ تَحْتَ قَدَمِهِ)). وَقَوْلُهُ: ((اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ (وَرَبَّ الْأَرْضِ) وَرَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، رَبَّنَا وَرَبَّ كُلِّ شَيْءٍ، فَالِقَ الْحَبِّ وَالنَّوَى، مُنْزِلَ التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْفُرْقَانِ، أَعُوذُ بِكَ / ق ١٢ / مِنْ شَرِّ كُلِّ دَابَّةٍ أَنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيَّتِهَا، أَنْتَ الْأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ

شَيْءٌ، وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ البَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ؛
 اقْضِ عَنِّي الدَّيْنَ، وَأَغْنِنِي مِنَ الْفَقْرِ)). وَقَوْلِهِ لَمَّا رَفَعَ أَصْحَابُهُ أَصْوَاتَهُمْ
 بِالذِّكْرِ: ((أَيُّهَا النَّاسُ! ارْبِعُوا عَلَيَّ أَنْفُسِكُمْ؛ فَإِنَّكُمْ لَا تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلَا
 غَائِبًا، إِنَّمَا تَدْعُونَ سَمِيعًا قَرِيبًا. إِنَّ الَّذِي تَدْعُونَهُ أَقْرَبُ إِلَيَّ أَحَدِكُمْ مِنْ عُنُقِي
 رَاحِلَتِهِ)).

وَقَوْلِهِ: ((إِنَّكُمْ سَتَرُونَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرُونَ الْقَمَرَ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، لَا تُضَامُونَ فِي
 رُؤْيَيْهِ، فَإِنْ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لَا تُعْلَبُوا عَلَى صَلَاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَصَلَاةٍ قَبْلَ
 غُرُوبِهَا؛ فَافْعَلُوا)).

إِلَى أَمْثَالِ هَذِهِ الْأَحَادِيثِ الَّتِي يُخْبِرُ فِيهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
 عَنْ رَبِّهِ بِمَا يُخْبِرُ بِهِ؛ فَإِنَّ الْفِرْقَةَ النَّاجِيَةَ أَهْلَ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ يُؤْمِنُونَ بِذَلِكَ؛
 كَمَا يُؤْمِنُونَ بِمَا أَخْبَرَ اللَّهُ بِهِ فِي كِتَابِهِ؛ مِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ وَلَا تَعْطِيلٍ، وَمَنْ غَيَّرَ
 تَكْيِيفٍ وَلَا تَمَثِيلٍ؛ بَلْ هُمْ الْوَسْطُ فِي فِرْقِ الْأُمَّةِ؛ كَمَا أَنَّ الْأُمَّةَ هِيَ الْوَسْطُ
 فِي الْأُمَّمِ.

فَهُمْ وَسْطٌ فِي بَابِ صِفَاتِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بَيْنَ أَهْلِ التَّعْطِيلِ
 الْجَهْمِيَّةِ، وَبَيْنَ أَهْلِ التَّمَثِيلِ الْمُشَبَّهَةِ.

وَهُمْ وَسْطٌ فِي بَابِ أَفْعَالِ اللَّهِ بَيْنَ الْقَدَرِيَّةِ وَالْجُحْرِيَّةِ.

وَفِي بَابِ وَعِيدِ اللَّهِ بَيْنَ الْمُرْجئةِ وَبَيْنَ الْوَعِيدِيَّةِ مِنَ الْقَدَرِيَّةِ وَغَيْرِهِمْ.

وَفِي بَابِ الْإِيمَانِ وَالذِّينِ بَيْنَ الْحُرُورِيَّةِ وَالْمُعْتَرِلةِ، وَبَيْنَ الْمُرْجئةِ وَالْجَهْمِيَّةِ.

وَفِي أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ الرَّوَافِضِ /ق ١٣/ وَبَيْنَ
الْحَوَاجِجِ.

وَقَدْ دَخَلَ فِيهَا ذِكْرُنَا مِنْ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ الْإِيمَانُ بِمَا أَحْبَرَ اللَّهُ بِهِ فِي كِتَابِهِ،
وَتَوَاتَرَ عَنِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَجْمَعَ عَلَيْهِ سَلَفُ الْأُمَّةِ؛ مِنْ أَنَّهُ
سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فَوْقَ سَمَاوَاتِهِ، عَلَى عَرْشِهِ، عَلِيٌّ عَلَى خَلْقِهِ، وَهُوَ سُبْحَانَهُ
مَعَهُمْ أَيَّمَا كَانُوا، يَعْلَمُ مَا هُمْ عَامِلُونَ؛ كَمَا جَمَعَ بَيْنَ ذَلِكَ فِي قَوْلِهِ: ﴿هُوَ
الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا
يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾
وَلَيْسَ مَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾ أَنَّهُ مُخْتَلِطٌ بِالْخَلْقِ؛ فَإِنَّ هَذَا لَا تُوجِبُهُ اللَّغَةُ،
وَهُوَ خِلَافٌ مَا أَجْمَعَ عَلَيْهِ سَلَفُ الْأُمَّةِ، وَخِلَافٌ مَا فَطَرَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْخَلْقَ، بَلِ
الْقَمَرُ آيَةٌ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ مِنْ أَصْعَرِ مَخْلُوقَاتِهِ، ثُمَّ هُوَ مَوْضُوعٌ فِي السَّمَاءِ، وَهُوَ
مَعَ الْمُسَافِرِ أَيَّمَا كَانَ. وَهُوَ سُبْحَانَهُ فَوْقَ الْعَرْشِ، رَقِيبٌ عَلَى خَلْقِهِ،
مُهَيِّمٌ عَلَيْهِمْ، مُطَّلِعٌ إِلَيْهِمْ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ مَعَايِنِ الرُّبُوبِيَّةِ. وَكُلُّ هَذَا
الْكَلَامُ الَّذِي ذَكَرَهُ - مِنْ أَنَّهُ فَوْقَ الْعَرْشِ وَأَنَّهُ مَعَنَا - حَقٌّ عَلَى حَقِيقَتِهِ، لَا
يَحْتَاجُ إِلَى تَحْرِيفٍ، وَلَكِنْ يُصَانُ عَنِ الظُّنُونِ الْكَاذِبَةِ.

وَدَخَلَ فِي ذَلِكَ الْإِيمَانُ بِأَنَّهُ قَرِيبٌ مِنْ خَلْقِهِ، كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى:
/ق ١٤/ ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾،
وَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((إِنَّ الَّذِي تَدْعُونَهُ أَقْرَبُ إِلَيَّ أَحَدِكُمْ مِّنْ
عُنُقِ رَاحِلَتِهِ)). وَمَا ذُكِرَ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ مِنْ قُرْبِهِ وَمَعِيَّتِهِ لَا يُنَافِي مَا

(ذَكَرَ) مِنْ عُلُوِّهِ وَفَوْقِيَّتِهِ؛ فَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ فِي جَمِيعِ نُعُوتِهِ، وَهُوَ عَلَيَّ فِي ذُنُوبِهِ، قَرِيبٌ فِي عُلُوِّهِ.

وَمِنَ الْإِيمَانِ بِهِ وَبِكُتُبِهِ الْإِيمَانُ بِأَنَّ الْقُرْآنَ كَلَامُ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، (مُنزَّلٌ)، غَيْرُ مَخْلُوقٍ، مِنْهُ بَدَأَ، وَإِلَيْهِ يَعُودُ، وَأَنَّ اللَّهَ تَكَلَّمَ بِهِ حَقِيقَةً، وَأَنَّ هَذَا الْقُرْآنَ الَّذِي أَنْزَلَهُ اللَّهُ عَلَى نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هُوَ كَلَامُ اللَّهِ حَقِيقَةً، لَا كَلَامَ غَيْرِهِ. وَلَا يَجُوزُ إِطْلَاقُ الْقَوْلِ بِأَنَّهُ حِكَايَةٌ عَنِ كَلَامِ اللَّهِ، أَوْ عِبَارَةٌ عَنْهُ؛ بَلْ إِذَا قَرَأَهُ النَّاسُ أَوْ كَتَبُوهُ فِي الْمَصَاحِفِ؛ لَمْ يَخْرُجْ بِذَلِكَ عَنْ أَنْ يَكُونَ كَلَامَ اللَّهِ حَقِيقَةً، فَإِنَّ الْكَلَامَ إِذَا يَضَافُ حَقِيقَةً إِلَى مَنْ (تَكَلَّمَ بِهِ) مُبْتَدِئًا، لَا إِلَى مَنْ قَالَهُ مُبَلِّغًا مُؤَدِّيًا.

وَقَدْ دَخَلَ أَيْضًا فِيمَا ذَكَرْنَاهُ مِنَ الْإِيمَانِ بِكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ: الْإِيمَانُ بِأَنَّ الْمُؤْمِنِينَ يَرَوْنَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَيْنًا بِأَبْصَارِهِمْ، كَمَا يَرَوْنَ الشَّمْسَ صَحْوًا لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ، وَكَمَا يَرَوْنَ الْقَمَرَ لَيْلَةَ الْبَدْرِ لَا يُضَامُونَ فِي رُؤْيَيْهِ. يَرَوْنَهُ سُبْحَانَهُ /ق ١٥/ وَهُمْ فِي عَرَصَاتِ الْقِيَامَةِ، ثُمَّ يَرَوْنَهُ بَعْدَ دُخُولِ الْجَنَّةِ؛ كَمَا يَشَاءُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

وَمِنَ الْإِيمَانِ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ الْإِيمَانُ بِكُلِّ مَا أَخْبَرَ بِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِمَّا يَكُونُ بَعْدَ الْمَوْتِ، فَيُؤْمِنُونَ بِفِتْنَةِ الْقَبْرِ، وَبِعَذَابِ الْقَبْرِ وَنَعِيمِهِ. فَأَمَّا الْفِتْنَةُ؛ فَإِنَّ النَّاسَ يُفْتَنُونَ فِي قُبُورِهِمْ، فَيُقَالُ لِلرَّجُلِ: مَنْ رَبُّكَ؟ وَمَا دِينُكَ؟ وَمَنْ نَبِيُّكَ؟ فَيُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ، فَيَقُولُ الْمُؤْمِنُ: اللَّهُ رَبِّي، وَالْإِسْلَامُ دِينِي، وَمُحَمَّدٌ نَبِيِّي. وَأَمَّا الْمُرْتَابُ؛ فَيَقُولُ: آه آه، لَا أَدْرِي،

سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ شَيْئًا فَقُلْتُ، فَيُضْرَبُ بِمِرْزَبَةٍ مِنْ حَدِيدٍ، فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهَا كُلُّ شَيْءٍ؛ إِلَّا الْإِنْسَانَ، وَلَوْ سَمِعَهَا الْإِنْسَانُ؛ لَصَعِقَ. ثُمَّ بَعْدَ هَذِهِ الْفِتْنَةِ إِمَّا نَعِيمٌ وَإِمَّا عَذَابٌ، إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ الْكُبْرَى، فَتُعَادُ الْأَرْوَاحُ إِلَى الْأَجْسَادِ.

وَتَقُومُ الْقِيَامَةُ الَّتِي أَخْبَرَ اللَّهُ بِهَا فِي كِتَابِهِ، وَعَلَى لِسَانِ رَسُولِهِ، وَأَجْمَعَ عَلَيْهَا الْمُسْلِمُونَ. فَيَقُومُ النَّاسُ مِنْ قُبُورِهِمْ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ حُفَاءً عُرَاءً غُرْلًا، وَتَدْنُو مِنْهُمْ الشَّمْسُ، وَيُلْجِمُهُمُ الْعَرَقُ، وَتُنْصَبُ الْمَوَازِينُ، فَيُوزَنُ فِيهَا أَعْمَالُ الْعِبَادِ، ﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ، فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (١٠٢) وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ، فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ﴾ (١٠٣). وَتُنَشَّرُ الدَّوَابُّ، وَهِيَ صَحَائِفُ الْأَعْمَالِ، فَأَحِذْ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ، وَأَحِذْ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ (أَوْ) مِنْ وَرَاءِ ظَهْرِهِ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: /ق/ ١٦ ﴿وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْمَنَّا طَعْنَهُ فِي عُنُقِهِ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا﴾ (١٢) أَقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ (١٤).

وَيُحَاسِبُ اللَّهُ الْخَلْقَ، وَيَخْلُو بِعَبْدِهِ الْمُؤْمِنِ، فَيَقْرُرُهُ بِذُنُوبِهِ؛ كَمَا وَصِفَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَنِ. وَأَمَّا الْكُفَّارُ؛ فَلَا يُحَاسِبُونَ مُحَاسِبَةً مَنْ تَوَزَّنَ حَسَنَاتُهُ بِسَيِّئَاتِهِ؛ فَإِنَّهُمْ لَا حَسَنَاتٍ لَهُمْ، وَلَكِنْ تُعَدَّدُ أَعْمَالُهُمْ، وَتُحْصَى، فَيُوقَفُونَ عَلَيْهَا وَيُقَرَّرُونَ بِهَا، وَيُجَزَّوْنَ بِهَا.

وَفِي عَرَصَةِ الْقِيَامَةِ الْحَوْضُ الْمَوْزُودُ لِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مَاؤُهُ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ، وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ، طُولُهُ شَهْرٌ، وَعَرْضُهُ شَهْرٌ، وَأَنْبَتُهُ عَدَدُ بُحُومِ السَّمَاءِ، فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ شَرْبَةً؛ لَمْ يَظْمَأْ بَعْدَهَا أَبَدًا.

وَالصِّرَاطُ مَنْصُوبٌ عَلَى مَثْنِ جَهَنَّمَ، وَهُوَ الْجِسْرُ الَّذِي بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، يَمُرُّ النَّاسُ عَلَيْهِ عَلَى قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ عَلَيْهِ كَلَمَحِ الْبَصْرِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَالْبَرْقِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَالرَّيْحِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَالْفَرَسِ الْجَوَادِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَرِكَابِ الْإِبِلِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَعْدُو عَدْوًا، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي مَشْيًا، وَمِنْهُمْ مَنْ يَزْحَفُ زَحْفًا، وَمِنْهُمْ مَنْ يُخْطَفُ فَيُلْقَى فِي جَهَنَّمَ؛ فَإِنَّ الْجِسْرَ عَلَيْهِ كَاللَّيْبِ تَخْطِفُ النَّاسَ بِأَعْمَالِهِمْ، فَمَنْ مَرَّ عَلَى الصِّرَاطِ؛ دَخَلَ الْجَنَّةَ. فَإِذَا عَبَرُوا عَلَيْهِ؛ وَقَفُوا عَلَى قَنْطَرَةٍ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، فَيُقْتَصُّ لِبَعْضِهِمْ مِنْ بَعْضٍ، فَإِذَا هَدُّبُوا وَنُقُوا؛ أُذِنَ لَهُمْ فِي دُخُولِ الْجَنَّةِ.

وَأَوَّلُ مَنْ يَسْتَفْتَحُ بَابَ الْجَنَّةِ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنَ الْأُمَّمِ أُمَّتُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَلَهُ فِي الْقِيَامَةِ ثَلَاثُ شَفَاعَاتٍ: أَمَّا الشَّفَاعَةُ الْأُولَى؛ فَيَشْفَعُ لِأَهْلِ الْمَوْقِفِ حَتَّى يُقْضَى بَيْنَهُمْ بَعْدَ أَنْ يَتَرَاجَعَ الْأَنْبِيَاءُ: آدَمُ، وَنُوحٌ، وَإِبْرَاهِيمُ، وَمُوسَى، وَعِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ -عَلَيْهِمْ مِنَ اللَّهِ السَّلَامُ- الشَّفَاعَةُ حَتَّى تَنْتَهِيَ إِلَيْهِ. وَأَمَّا الشَّفَاعَةُ /ق١٧/ الثَّانِيَةُ؛ فَيَشْفَعُ فِي أَهْلِ الْجَنَّةِ أَنْ يَدْخُلُوا الْجَنَّةَ. وَهَاتَانِ الشَّفَاعَتَانِ خَاصَّتَانِ لَهُ. وَأَمَّا الشَّفَاعَةُ الثَّلَاثَةُ؛ فَيَشْفَعُ فِي مَنْ اسْتَحَقَّ النَّارَ، وَهَذِهِ الشَّفَاعَةُ لَهُ وَلِسَائِرِ النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ وَغَيْرِهِمْ، يَشْفَعُ فِي مَنْ

اسْتَحَقَّ النَّارَ أَلَّا يَدْخُلَهَا، وَيَشْفَعُ فِيْمَنْ دَخَلَهَا أَنْ يُخْرِجَ مِنْهَا. وَيُخْرِجُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ أَقْوَامًا بغيرِ شَفَاعَةٍ؛ بَلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ، وَيَبْتَقَى فِي الْجَنَّةِ فَضْلًا عَمَّنْ دَخَلَ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا، فَيُنشِئُ اللَّهُ لَهَا أَقْوَامًا فَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ.

وَأَصْنَافُ مَا تَتَضَمَّنُهُ الدَّارُ الْآخِرَةُ مِنَ الْحِسَابِ وَالتَّوَابِ وَالْعِقَابِ وَالْجَنَّةِ وَالنَّارِ وَتَفَاصِيلُ ذَلِكَ مَدْكُورَةٌ فِي الكُتُبِ الْمُنَزَّلَةِ مِنَ السَّمَاءِ، وَ الْأَنْتَارَةِ مِنَ الْعِلْمِ الْمَأْتُورَةِ عَنِ الْأَنْبِيَاءِ، وَفِي الْعِلْمِ الْمَوْزُوثِ عَنِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ ذَلِكَ مَا يَشْفِي وَيَكْفِي، فَمَنْ ابْتَعَاهُ وَجَدَهُ.

وَتُؤْمِنُ الْفِرْقَةُ النَّاجِيَةُ أَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ بِالْقَدْرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ. وَالْإِيمَانُ بِالْقَدْرِ عَلَى دَرَجَتَيْنِ؛ كُلُّ دَرَجَةٍ تَتَضَمَّنُ شَيْئَيْنِ. فَالِدَّرَجَةُ الْأُولَى: الْإِيمَانُ بِأَنَّ اللَّهَ عِلْمَ مَا الْخَلْقُ عَامِلُونَ بِعِلْمِهِ الْقَدِيمِ الَّذِي هُوَ مَوْصُوفٌ بِهِ أَرْلًا وَأَبَدًا، وَعِلْمِ جَمِيعِ أَحْوَالِهِمْ مِّنَ الطَّاعَاتِ وَالْمَعَاصِي وَالْأَزْرَاقِ وَالْآجَالِ، ثُمَّ كَتَبَ اللَّهُ فِي اللُّوحِ الْمَحْفُوظِ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ. فَأَوَّلُ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْقَلَمَ فَقَالَ لَهُ: اكْتُبْ. فَقَالَ: مَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: اكْتُبْ مَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ. فَمَا أَصَابَ الْإِنْسَانَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئْهُ، وَمَا أَخْطَأَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبْهُ، جَعَلَتْ الْأَقْلَامُ، وَطُوِبَتِ الصُّحُفُ؛ كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿الْمَرْتَعَلَمَ أَبَّ اللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ (٧٠)، وَقَالَ: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا

إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ (٢٢) ﴿ وَهَذَا التَّقْدِيرُ التَّابِعُ لِعِلْمِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى /ق١٨/ يَكُونُ فِي مَوَاضِعَ جُمْلَةً وَتَفْصِيلًا: فَقَدْ كَتَبَ فِي اللُّوحِ الْمَحْفُوظِ مَا

شَاءَ. وَإِذَا خَلَقَ جَسَدَ الْجَنِينِ قَبْلَ نَفْخِ الرُّوحِ فِيهِ؛ بَعَثَ إِلَيْهِ مَلَكًا، فَيُؤَمِّرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ، (بِكْتَبِ) رِزْقِهِ، وَأَجَلِهِ، وَعَمَلِهِ، وَشَقِيٍّ أَوْ سَعِيدٍ... وَنَحْوِ ذَلِكَ. فَهَذَا الْقَدَرُ قَدْ كَانَ يُنَكِّرُهُ عُلاَهُ الْقَدَرِيَّةُ قَدِيمًا، وَمُنَكِّرُهُ الْيَوْمَ قَلِيلًا.

وَأَمَّا الدَّرَجَةُ الثَّانِيَةُ؛ فَهِيَ مَشِيئَةُ اللَّهِ النَّافِذَةُ، وَقُدْرَتُهُ الشَّامِلَةُ، وَهُوَ: الْإِيمَانُ بِأَنَّ مَا شَاءَ اللَّهُ كَانَ، (وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ)، وَأَنَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ مِنْ حَرَكَةٍ وَلَا سُكُونٍ؛ إِلَّا بِمَشِيئَةِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، لَا يَكُونُ فِي مُلْكِهِ إِلَّا مَا يُرِيدُ، وَأَنَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ مِنْ الْمَوْجُودَاتِ وَالْمَعْدُومَاتِ، فَمَا مِنْ مَخْلُوقٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِلَّا اللَّهُ خَالِقُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، لَا خَالِقَ غَيْرُهُ، وَلَا رَبَّ سِوَاهُ. وَمَعَ ذَلِكَ فَقَدْ أَمَرَ اللَّهُ الْعِبَادَ بِطَاعَتِهِ وَطَاعَةِ رُسُلِهِ، وَنَهَاهُمْ عَنِ مَعْصِيَتِهِ. وَهُوَ سُبْحَانَهُ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ وَالْمُحْسِنِينَ وَالْمُقْسِطِينَ، وَيَرْضَى عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ، وَلَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ، وَلَا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ، وَلَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ، وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ، وَلَا يُحِبُّ الْفُسَادَ.

وَالْعِبَادُ فَاعِلُونَ حَقِيقَةً، وَاللَّهُ خَالِقُ أَعْمَالِهِمْ. وَالْعَبْدُ هُوَ: الْمُؤْمِنُ، وَالْكَافِرُ، وَالْبُرُّ، وَالْفَاجِرُ، وَالْمُصَلِّي، وَالصَّائِمُ. وَلِلْعِبَادِ قُدْرَةٌ عَلَى أَعْمَالِهِمْ، وَهُمْ إِرَادَةٌ، وَاللَّهُ خَالِقُهُمْ وَخَالِقُ قُدْرَتِهِمْ وَإِرَادَتِهِمْ؛ كَمَا قَالَ: ﴿لَمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ﴾ (٢٨) وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٩﴾.

وَهَذِهِ الدَّرَجَةُ مِنَ القَدْرِ يُكَدِّبُ بِهَا عَامَّةُ القَدَرِيَّةِ الَّذِينَ سَمَّاهُمْ
 (السَّلْفُ): بِجُوسِ هَذِهِ الأُمَّةِ، وَيَعْلُو فِيهَا قَوْمٌ مِنْ أَهْلِ الإِثْبَاتِ، حَتَّى يَسْتَبُوا
 العَبْدَ قُدْرَتَهُ وَاخْتِيَارَهُ، وَيُخْرِجُونَ عَنِ أَفْعَالِ اللَّهِ وَأَحْكَامِهِ حِكْمَهَا وَمَصَالِحَهَا.
 وَمِنْ أَصُولِ الفِرْقَةِ النَّاجِيَةِ أَنَّ الدِّينَ وَالإِيمَانَ قَوْلٌ وَعَمَلٌ، قَوْلُ القَلْبِ
 /ق ١٩/ وَاللِّسَانِ، وَعَمَلُ القَلْبِ وَاللِّسَانِ وَالْجَوَارِحِ. وَأَنَّ الإِيمَانَ يَرِيدُ بِالطَّاعَةِ،
 وَيَنْقُصُ بِالمَعْصِيَةِ.

وَهُمْ مَعَ ذَلِكَ لَا يُكْفِرُونَ أَهْلَ القِبْلَةِ بِمُطَلَقِ المَعَاصِي وَالْكَبَائِرِ؛ كَمَا
 يَفْعَلُهُ الخَوَارِجُ بِلِ الأُخُوَّةِ الإِيمَانِيَّةِ ثَابِتَةً مَعَ المَعَاصِي؛ كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ: فِي
 آيَةِ القِصَاصِ ﴿فَمَنْ عَفَى لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَإِنْبَاعٌ بِالمَعْرُوفِ﴾، وَقَالَ: ﴿وَإِن
 طَافْنَا مِنْ المُؤْمِنِينَ أَفْتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَت إِحْدَاهُمَا عَلَى الأُخْرَى فَقْتُلُوا الَّتِي
 تَبَغَى حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ
 المُقْسِطِينَ ﴿١﴾ إِنَّمَا المُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾.

وَلَا يَسْلُبُونَ الفَاسِقَ المَلِيَّ اسْمَ الإِيمَانِ بِالكُلِّيَّةِ، وَلَا يُحْلِدُونَهُ فِي النَّارِ؛
 كَمَا تَقُولُهُ المُعْتَرِلَةُ. بَلِ الفَاسِقُ يَدْخُلُ فِي اسْمِ الإِيمَانِ؛ فِي مِثْلِ قَوْلِهِ تَعَالَى:
 ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ﴾، وَقَدْ لَا يَدْخُلُ فِي اسْمِ الإِيمَانِ المُطْلَقِ؛ كَمَا فِي
 قَوْلِهِ: ﴿إِنَّمَا المُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ﴾، وَقَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى
 اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((لَا يَزِينِي الزَّانِي حِينَ يَزِينِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَسْرِقُ السَّارِقُ
 حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَشْرَبُ الخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا
 يَنْتَهَبُ نُهْبَةً ذَاتَ شَرَفٍ يَرْفَعُ النَّاسُ إِلَيْهِ فِيهَا أَبْصَارَهُمْ حِينَ يَنْتَهَبُهَا وَهُوَ

مُؤْمِنٌ)) وَيَقُولُونَ: هُوَ مُؤْمِنٌ نَاقِصُ الْإِيمَانِ، أَوْ مُؤْمِنٌ بِإِيمَانِهِ فَاسِقٌ بِكِبِيرَتِهِ، فَلَا يُعْطَى الْإِسْمَ الْمُطْلَقَ، وَلَا يُسَلَّبُ الْمُطْلَقَ الْإِسْمَ.

وَمِنْ أَصُولِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ: سَلَامَةُ قُلُوبِهِمْ وَالسَّنْتَةُ لِأَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كَمَا وَصَفَهُمُ اللَّهُ بِهِ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ (١٠)، وَطَاعَةُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي قَوْلِهِ: ((لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدًّا أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ)). وَيَقْبَلُونَ مَا جَاءَ بِهِ الْكِتَابُ أَوْ السُّنَّةُ أَوْ الْإِجْمَاعُ مِنْ فَضَائِلِهِمْ / ق ٢٠ / وَمَرَاتِبِهِمْ. فَيُفَضِّلُونَ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ - وَهُوَ صَلْحُ الْحُدَيْبِيَّةِ - وَقَاتَلَ، عَلَى مَنْ أَنْفَقَ مِنْ بَعْدِهِ وَقَاتَلَ. وَيُقَدِّمُونَ الْمُهَاجِرِينَ عَلَى الْأَنْصَارِ. وَيُؤْمِنُونَ بِأَنَّ اللَّهَ قَالَ لِأَهْلِ بَدْرٍ - وَكَانُوا ثَلَاثَ مِائَةٍ وَبِضْعَةَ عَشَرَ: ((اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ)). وَبِأَنَّهُ ((لَا يَدْخُلُ النَّارَ أَحَدٌ بَايَعَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ))؛ كَمَا أَخْبَرَ بِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَلْ قَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ، وَكَانُوا أَكْثَرَ مِنْ أَلْفٍ وَأَرْبَعِ مِائَةٍ. وَيَشْهَدُونَ بِالْجَنَّةِ لِمَنْ شَهِدَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كَالْعَشْرَةِ، وَكُنَابِتِ بْنِ قَيْسِ بْنِ شِمَاسٍ، وَغَيْرِهِمْ مِنَ الصَّحَابَةِ.

وَيَقْرُونَ بِمَا تَوَاتَرَ بِهِ النَّقْلُ عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَغَيْرِهِ؛ مِنْ أَنَّ خَيْرَ هَذِهِ الْأُمَّةِ بَعْدَ نَبِيِّهَا: أَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ عُمَرُ.

وَيُنْتَلُونَ بِعُثْمَانَ، وَيُرْتَعُونَ بِعَلِيٍّ؛ كَمَا دَلَّتْ عَلَيْهِ الْآثَارُ، وَكَمَا أَجْمَعَتْ
الصَّحَابَةُ عَلَى تَقْدِيمِ عُثْمَانَ فِي الْبَيْعَةِ. مَعَ أَنَّ بَعْضَ أَهْلِ السُّنَّةِ كَانُوا قَدْ
اخْتَلَفُوا فِي عُثْمَانَ وَعَلِيٍّ بَعْدَ اتِّفَاقِهِمْ عَلَى تَقْدِيمِ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ، أَيُّهُمَا
أَفْضَلُ؟ فَقَدَّمَ قَوْمٌ عُثْمَانَ: وَسَكَتُوا، أَوْ رَتَعُوا بِعَلِيٍّ، وَقَدَّمَ قَوْمٌ عَلِيًّا، وَقَوْمٌ
تَوَقَّفُوا. لَكِنْ اسْتَقَرَّ أَمْرُ أَهْلِ السُّنَّةِ عَلَى تَقْدِيمِ عُثْمَانَ، (ثُمَّ عَلِيٍّ). وَإِنْ
كَانَتْ هَذِهِ الْمَسْأَلَةُ - مَسْأَلَةُ عُثْمَانَ وَعَلِيٍّ - لَيْسَتْ مِنَ الْأُصُولِ الَّتِي
يُضَلَّلُ الْمُخَالِفُ فِيهَا عِنْدَ جُمْهُورِ أَهْلِ السُّنَّةِ. لَكِنَّ الْمَسْأَلَةَ الَّتِي يُضَلَّلُ
الْمُخَالِفُ فِيهَا: مَسْأَلَةُ الْخِلَافَةِ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ يُؤْمِنُونَ أَنَّ الْخَلِيفَةَ بَعْدَ رَسُولِ
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ عُمَرُ، ثُمَّ عُثْمَانُ، ثُمَّ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ
عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ. وَمَنْ طَعَنَ فِي خِلَافَةِ أَحَدٍ مِّنْ هَؤُلَاءِ؛ فَهُوَ أَضَلُّ مِنْ حِمَارِ
أَهْلِهِ.

وَيُجِبُونَ أَهْلَ بَيْتِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَيَتَوَلَّوْنَهُمْ، وَيَحْفَظُونَ
فِيهِمْ وَصِيَّةَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حَيْثُ قَالَ يَوْمَ غَدِيرِ خُمٍّ:
((أَدَّكْرُكُمْ اللَّهُ فِي أَهْلِ بَيْتِي، أَدَّكْرُكُمْ اللَّهُ فِي أَهْلِ بَيْتِي)). وَقَدْ قَالَ أَيْضًا
لِلْعَبَّاسِ عَمَّهُ - وَقَدْ شَكَى إِلَيْهِ أَنَّ بَعْضَ قُرَيْشٍ يَجْفُو بَنِي هَاشِمٍ - فَقَالَ:
((وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ؛ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُجْبُوكُمْ؛ اللَّهُ وَلِقْرَابَتِي)). وَقَالَ: ((إِنَّ
اللَّهَ اصْطَفَى /ق ٢١/ إِسْمَاعِيلَ، وَاصْطَفَى مِنْ بَنِي إِسْمَاعِيلِ كِنَانَةَ، وَاصْطَفَى
مِنْ كِنَانَةَ قُرَيْشًا، وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي
هَاشِمٍ)).

وَيَتَوَلَّوْنَ أَزْوَاجَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ، وَيُقَرَّبُونَ بِأَنْهَهُنَّ أَزْوَاجُهُ فِي الآخِرَةِ: خُصُوصًا خَدِيجَةَ أُمَّ أَكْثَرِ أَوْلَادِهِ، وَأَوَّلَ مَنْ آمَنَ بِهِ (وَعَاضِدُهُ) عَلَى أَمْرِهِ، وَكَانَ لَهَا مِنْهُ الْمَنْزِلَةُ الْعَالِيَةُ. وَالصَّديقَةُ بِنْتُ الصَّديقِ، الَّتِي قَالَ فِيهَا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((فَضْلُ عَائِشَةَ عَلَى النَّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ)).

(وَيَتَبَرَّوْنَ) مِنْ طَرِيقَةِ الرِّوَاغِضِ الَّذِينَ يُبْغِضُونَ الصَّحَابَةَ وَيَسُبُّونَهُمْ، وَطَرِيقَةِ التَّوَاصِبِ الَّذِينَ يُؤَدُّونَ أَهْلَ الْبَيْتِ بِقَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ. وَيُمْسِكُونَ عَمَّا شَجَرَ بَيْنَ الصَّحَابَةِ، وَيَقُولُونَ: إِنَّ هَذِهِ الْآثَارَ الْمَرْوِيَّةَ فِي مَسَاوِيهِمْ مِنْهَا مَا هُوَ كَذِبٌ، وَمِنْهَا مَا قَدْ زِيدَ فِيهِ وَنُقِصَ وَعُيِّرَ عَنَ وَجْهِهِ، وَ (عَامَّةً) الصَّحِيحِ مِنْهُ هُمْ فِيهِ مَعْدُورُونَ: إِمَّا مُجْتَهِدُونَ مُصِيبُونَ، وَإِمَّا مُجْتَهِدُونَ مُخْطِئُونَ. وَهُمْ مَعَ ذَلِكَ لَا يَعْتَقِدُونَ أَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنَ الصَّحَابَةِ مَعْصُومٌ عَنَ كَبَائِرِ الْإِثْمِ وَصَعَائِرِهِ؛ بَلْ تَجُوزُ عَلَيْهِمُ الذُّنُوبُ فِي الْجُمْلَةِ. وَهُمْ مِّنَ السَّوَابِقِ وَالْفَضَائِلِ مَا يُوجِبُ مَغْفِرَةَ مَا يَصْدُرُ مِنْهُمْ -إِنْ صَدَرَ-، حَتَّى إِنَّهُ يُغْفَرُ لَهُمْ مِّنَ السَّيِّئَاتِ مَا لَا يُغْفَرُ لِمَنْ بَعْدَهُمْ؛ لِأَنَّ لَهُمْ مِّنَ الْحَسَنَاتِ الَّتِي تَمْحُو السَّيِّئَاتِ مَا لَيْسَ لِمَنْ بَعْدَهُمْ. وَقَدْ ثَبَتَ بِقَوْلِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُمْ خَيْرُ الْقُرُونِ، وَأَنَّ الْمُدَّ مِنْ أَحَدِهِمْ إِذَا تَصَدَّقَ بِهِ كَانَ أَفْضَلَ مِنْ جَبَلِ أُحُدٍ ذَهَبًا مِمَّنْ بَعْدَهُمْ.

ثُمَّ إِذَا كَانَ قَدْ صَدَرَ عَنَ أَحَدِهِمْ ذَنْبٌ؛ فَيَكُونُ قَدْ تَابَ مِنْهُ، أَوْ أَتَى بِحَسَنَاتٍ تَمْحُوهُ، أَوْ عُفِرَ لَهُ؛ بِفَضْلِ سَابِقَتِهِ، أَوْ بِشَفَاعَةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ الَّذِينَ هُمْ أَحَقُّ النَّاسِ بِشَفَاعَتِهِ، أَوْ ابْتِلَىٰ بِبَلَاءٍ فِي الدُّنْيَا كُفِّرَ بِهِ عَنْهُ. فَإِذَا كَانَ هَذَا فِي الدُّنُوبِ الْمُحَقَّقَةِ؛ فَكَيْفَ فِي الْأُمُورِ الَّتِي كَانُوا فِيهَا مُجْتَهِدِينَ: إِنْ أَصَابُوا؛ فَلَهُمْ أَجْرَانِ، وَإِنْ أَخْطَوْا؛ فَلَهُمْ أَجْرٌ وَاحِدٌ، وَالْخُطَأُ مَعْفُورٌ. ثُمَّ الْقَدْرُ الَّذِي يُنْكَرُ مِنْ فِعْلِ بَعْضِهِمْ قَلِيلٌ نَزَرَ مَعْمُورٌ فِي جَنْبِ فَضَائِلِ الْقَوْمِ وَمَحَاسِنِهِمْ؛ مِنَ الْإِيمَانِ / ق ٢٢ / بِاللَّهِ، وَرَسُولِهِ، وَالْجِهَادِ فِي سَبِيلِهِ، وَالْهَجْرَةِ، وَالنُّصْرَةِ، وَالْعِلْمِ النَّافِعِ، وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ. وَمَنْ نَظَرَ فِي سِيرَةِ الْقَوْمِ بِعِلْمٍ (وَعَدَلٍ) وَبَصِيرَةٍ، وَمَا مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ بِهِ مِنْ الْفَضَائِلِ؛ عَلِمَ يَقِينًا أَنََّّهُمْ خَيْرُ الْخَلْقِ بَعْدَ الْأَنْبِيَاءِ؛ لَا كَانَ، وَلَا يَكُونُ مِثْلُهُمْ، وَأَنََّّهُمْ هُمْ الصَّفْوَةُ مِنْ قُرُونِ هَذِهِ الْأُمَّةِ الَّتِي هِيَ خَيْرُ الْأُمَّةِ وَأَكْرَمُهَا عَلَى اللَّهِ.

ثُمَّ مِنْ طَرِيقِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ اتَّبَاعِ آثَارِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَاطِنًا وَظَاهِرًا، وَاتَّبَاعِ سَبِيلِ السَّابِقِينَ الْأَوَّلِينَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، وَاتَّبَاعِ وَصِيَّةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حَيْثُ قَالَ: ((عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمُهْتَدِينَ مِنْ بَعْدِي، تَمَسَّكُوا بِهَا، وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِدِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحَدَّثَاتِ الْأُمُورِ؛ فَإِنَّ كُلَّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ)). وَيَعْلَمُونَ أَنَّ أَصْدَقَ الْكَلَامِ كَلَامُ اللَّهِ، وَخَيْرَ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَيُؤَثِّرُونَ كَلَامَ اللَّهِ عَلَى غَيْرِهِ مِنْ كَلَامِ أَصْنَافِ النَّاسِ، وَيُقَدِّمُونَ هُدَى مُحَمَّدٍ عَلَى هُدَى كُلِّ أَحَدٍ. وَهَذَا سُمُّوا أَهْلَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَسُمُّوا أَهْلَ الْجَمَاعَةِ؛ لِأَنَّ الْجَمَاعَةَ هِيَ الْاجْتِمَاعُ، وَضِدُّهَا الْفُرْقَةُ، وَإِنْ كَانَ لَفْظُ الْجَمَاعَةِ قَدْ صَارَ اسْمًا لِنَفْسِ الْقَوْمِ الْمُجْتَمِعِينَ. (وَالْإِجْمَاعُ) هُوَ الْأَصْلُ

الثَّالِثُ الَّذِي يُعْتَمَدُ عَلَيْهِ فِي الْعِلْمِ وَالِدِينِ. فَهُمْ يَرْتُونَ بِهَذِهِ الْأُصُولِ الثَّلَاثَةِ جَمِيعَ مَا عَلَيْهِ النَّاسُ مِنْ أَقْوَالٍ وَأَعْمَالٍ بَاطِنَةٍ وَظَاهِرَةٍ مِمَّا لَهُ تَعَلُّقٌ بِالِدِينِ. (وَالِإِجْمَاعِ) الَّذِي يَنْضَبِطُ هُوَ مَا كَانَ عَلَيْهِ السَّلْفُ الصَّالِحُ؛ إِذْ بَعْدَهُمْ كَثُرَ الْاِخْتِلَافُ، وَانْتَشَرَتِ الْأُمَّةُ.

ثُمَّ هُمْ مَعَ هَذِهِ الْأُصُولِ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ، وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ عَلَى مَا تُوجِبُهُ الشَّرِيعَةُ: وَيَرُونَ إِقَامَةَ الْحُجِّ وَالْجِهَادِ وَالْجَمْعِ وَالْأَعْيَادِ مَعَ الْأَمْرَاءِ أَبْرَارًا كَانُوا أَوْ فُجَّارًا، وَيَحْفَظُونَ عَلَى الْجَمَاعَاتِ، وَيَدِينُونَ بِالنَّصِيحَةِ لِلْأُمَّةِ، وَيَعْتَقِدُونَ مَعْنَى قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ؛ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا، وَشَبَكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ)). وَقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ كَمَثَلِ الْجَسَدِ الْوَاحِدِ؛ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عَضْوٌ؛ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالْحُمَّى وَالسَّهْرِ)). وَيَأْمُرُونَ بِالصَّبْرِ عَلَى الْبَلَاءِ، وَالشُّكْرِ عِنْدَ الرَّخَاءِ، وَالرِّضَا بِمُرِّ الْقَضَاءِ. وَيَدْعُونَ إِلَى مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ، وَمَحَاسِنِ الْأَعْمَالِ، وَيَعْتَقِدُونَ مَعْنَى قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: /ق ٢٣/ ((أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا)). وَيَنْدُبُونَ إِلَى أَنْ تَصِلَ مَنْ قَطَعَكَ، وَتُعْطِيَ مَنْ حَرَمَكَ، وَتَعْفُوَ عَمَّنْ ظَلَمَكَ. وَيَأْمُرُونَ بِرِّ الْوَالِدَيْنِ، وَصِلَةِ الْأَرْحَامِ، وَحُسْنِ الْجَوَارِ، وَالْإِحْسَانِ إِلَى الْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ، وَالرِّفْقِ بِالْمَمْلُوكِ. وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْفَخْرِ، وَالْحِيَلَاءِ، وَالْبَغْيِ، وَالْاِسْتِطَالَةِ عَلَى الْخَلْقِ بِحَقِّ أَوْ بَعِيرِ حَقِّ. وَيَأْمُرُونَ بِمَعَالِي الْأَخْلَاقِ، وَيَنْهَوْنَ عَنِ سَفْسَافِهَا. وَكُلُّ مَا يَقُولُونَهُ وَيَفْعَلُونَهُ مِنْ هَذَا أَوْ غَيْرِهِ؛ فَإِنَّمَا هُمْ

فِيهِ مُتَّبِعُونَ لِلْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، (وَطَرِيفُهُمْ) هِيَ دِينُ الْإِسْلَامِ الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ بِهِ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

لَكِنْ لَمَّا أَحْبَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ أُمَّتَهُ سَتَفْتَرِقُ عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً؛ كُلُّهَا فِي النَّارِ؛ إِلَّا وَاحِدَةً، وَهِيَ السُّنَّةُ وَالْجَمَاعَةُ، (صَارَ الْمُتَمَسِّكُونَ بِالْإِسْلَامِ الْمَحْضِ الْخَالِصِ عَنِ الشُّبُوبِ هُمْ أَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ)، وَفِي حَدِيثٍ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: ((هُمْ مَنْ كَانَ عَلَى مِثْلِ مَا أَنَا عَلَيْهِ (الْيَوْمَ) وَأَصْحَابِي)).

وَفِيهِمُ الصَّادِقُونَ، وَالشُّهَدَاءُ، وَالصَّالِحُونَ، وَفِيهِمْ أَعْلَامُ الْهُدَى، وَمَصَابِيحُ الدُّجَى، أُولُو الْمَنَاقِبِ الْمَأْتُورَةِ، وَالْفَضَائِلِ الْمَذْكُورَةِ، وَفِيهِمُ الْأَبْدَالُ (وَمِنْهُمْ أئِمَّةُ الدِّينِ) (الَّذِينَ) أَجْمَعَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى هِدَايَتِهِمْ وَدِرَائَتِهِمْ، وَهُمْ الطَّائِفَةُ الْمَنْصُورَةُ الَّتِي قَالَ فِيهِمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ، وَلَا مَنْ خَذَهُمْ؛ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ))، فَتَسْأَلُ اللَّهُ الْعَظِيمَ أَنْ يَجْعَلَنَا مِنْهُمْ، وَالْأَلَّا يُزَيِّعَ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا، وَيَهَبَ لَنَا مِنْ لَدُنْهُ رَحْمَةً إِنَّهُ هُوَ الْوَهَّابُ.



شرح العقيدة الواسطية

مقدمة الشارح

الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، نبينا محمدٍ، عبد الله ورسوله، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

أمَّا بعد:

فلما كانت ((العقيدة الواسطية)) لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله من أجمع ما كُتِبَ في عقيدة أهل السُّنَّة والجماعة، مع اختصارٍ في اللفظة، ودقَّة في العبارة، وكانت تحتاج في كثير من مواضعها إلى شرحٍ يجلِّي غوامضها، ويزيح الستار عن مكنون جواهرها، ويكون مع ذلك شرحًا بعيدًا عن الإسهاب والتطويل والإملال بكثرة التُّقُول، حتى يلائم مدارك الناشئين، ويعطيهم زبدة الموضوع في سهولة ويسر؛ فقد استخرتُ الله تبارك وتعالى، وأقدمتُ على هذا العمل؛ رغم كثرة الشواغل، وزحمة الصوارف؛ سائلًا الله عزَّ وجلَّ أن ينفع به كل من قرأه، وأن يجعله خالصًا لوجهه؛ إنَّه قريبٌ مجيبٌ.

محمد خليل هراس

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)^(١)

[البسمة] اختلف العلماء في البسمة؛ هل هي آية من كل سورة افتتحت بها؟ أو هي آية مستقلة أنزلت للفصل بها بين السور وللتبرُّك بالابتداء بها^(٢)؟ والمختار: القول الثاني.

وأنفقوا على أنَّها جزء آية من سورة النمل، وعلى تركها في أول سورة براءة؛ لأنَّها جُعِلت هي والأنفال كسورة واحدة.

والباء في ((بِسْمِ)) للاستعانة، وهي متعلقة بمحذوف، قدَّره بعضهم فعلاً، وقدَّره بعضهم اسمًا، والقولان متقاربان، وبكلٍّ ورد في القرآن؛ قال تعالى: ﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾ [العلق: ١]. وقال: ﴿بِسْمِ اللَّهِ جَعَبْرِنَهَا وَمُرْسِنَهَا﴾ [هود: ٤١].

ويحسن جعل المقدَّر متأخرًا؛ ((لأنَّ الاسم أحق بالتقديم، ولأنَّ تقديم الجار والمحرور يفيد اختصاص الاسم الكريم بكونه متبرِّكًا به، والاسم هو اللفظ الموضوع لمعنى تعيينًا له أو تمييزًا)).

واختُلِفَ في أصل اشتقاقه، فقيل: إنَّه من السِّمة؛ بمعنى: العلامة. وقيل: من السمو. وهو المختار.

وهمزته همزة وصل.

(١) زيادة ليست في الأصل.

(٢) حرَّر هذه المسألة الشيخ أحمد شاکر تحریرًا مطوَّلًا في ((الجامع الصحيح)) للترمذي

(٢٥-١٦/٢)؛ خلص فيه إلى أن البسمة آية من كل سورة سوى براءة.

وليس الاسم نفس المسمّى؛ كما زعم بعضهم، فإنّ الاسم هو اللفظ الدالُّ، والمسمّى هو المعنى المدلول عليه بذلك الاسم.

وليس هو كذلك نفس التسمية؛ فإنّها فعل المسمّى؛ يقال: سميتُ ولدي محمداً؛ مثلاً.

وقول بعضهم: إنّ لفظ الاسم هنا مُفحَمٌ؛ لأنّ الاستعانة إنّما تكون بالله عزّ وجلّ لا باسمه. ليس بشيء؛ لأنّ المراد ذكر الاسم الكريم باللسان؛ كما في قوله: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ [الأعلى: ١].

أي: سبّحهُ ناطقاً باسم ربك، متكلّماً به، فالمراد التبرُّك بالابتداء بذكر اسمه تعالى.

[اسم: الله]

واسم الجلالة؛ قيل: إنّ اسم جامدٌ غير مشتقٍّ؛ لأنّ الاشتقاق يستلزم مادة يُشتقُّ منها، واسمه تعالى قديم، والقديم لا مادّة له، فهو كسائر الأعلام المحضّة، التي لا تتضمّن صفاتٍ تقوم بمسمّياتها. والصحيح أنّه مشتقٌّ.

واختلّف في مبدأ اشتقاقه، فقيل: من أله يألوه ألوهاً وإلهةً وألوهيةً؛ بمعنى: عبدَ عبادةً.

وقيل: من أله - بكسر اللام - يألوه - بفتحها - ألهأ؛ إذا تحير.

والصحيح الأوّل، فهو إله؛ بمعنى مألوه؛ أي: معبود. ولهذا قال ابن عباس رضي الله عنهما: «اللَّهُ ذُو الْإِلَهِيَّةِ وَالْعُبُودِيَّةِ عَلَى خَلْقِهِ أَجْمَعِينَ»^(١).

(١) روى هذا الأثر ابن جرير في تفسير البسملة، وقال الشيخ أحمد شاکر: «إسناد هذا الخبر

ضعيف». انظر: «تفسير الطبري»، تحقيق: أحمد شاکر (١/٢٢٣).

وعلى القول بالاشتقاق يكون وصفاً في الأصل، ولكن غَلَبَتْ عليه العَلَمِيَّة، فتجري عليه بقية الأسماء أخباراً وأوصافاً؛ يقال: الله رحمنٌ رحيمٌ سميعٌ عليمٌ؛ كما يقال: الله الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ... إلخ.

[الرحمن الرحيم] و ((الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ)): اسمان كريمان من أسمائه الحسنی، دالَّان على اتَّصافه تعالى بصفة الرحمة، وهي صفة حَقِيقِيَّة له سبحانه، على ما يليق بجلاله، ولا يجوز القول بأنَّ المراد بها لازمها؛ كإرادة الإحسان ونحوه؛ كما يزعم المعطلة، وسيأتي مزيد بيان لذلك إن شاء الله.

واختلِفَ في الجمع بينهما:

فقيل: المراد بـ ((الرَّحْمَنُ)) الذي وسعت رحمته كلَّ شيء في الدنيا؛ لأنَّ صيغة (فَعْلان) تدلُّ على الامتلاء والكثرة، و ((الرَّحِيمُ)) الذي يختصُّ برحمته المؤمنين في الآخرة.

وقيل العكس.

وقد ذهب العلامة ابن القيم رحمه الله إلى أنَّ (الرحمن) دالٌّ على الصفة القائمة بالذات، و(الرحيم) دالٌّ على تعلُّقها بالمرحوم، ولهذا لم يجرى الاسم الرحمن متعدِّياً في القرآن؛ قال تعالى: ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ ﴿٤٣﴾ [الأحزاب: ٤٣]. ولم يقل: رحماناً.

وهذا أحسن ما قيل في الفرق بينهما.

وروي عن ابن عباس أنَّه قال: ((هما اسمان رقيقان؛ أحدهما أرقُّ من

الآخر^(١).

ومنع بعضهم كون (الرحمن) في البسملة نعتًا لاسم الجلالة؛ لأنه عَلِمَ آخر لا يُطلق على غيره، والأعلام لا يُنعتُ بها.

والصحيح أنه نعتٌ له باعتبار ما فيه من معنى الوصفية، ف(الرحمن) اسمه تعالى ووصفه، ولا تُنافي اسميَّته وصفيَّته، فمن حيث هو صفةٌ جرى تابعًا على اسم الله، ومن حيث هو اسمٌ ورد في القرآن غير تابع، بل ورود الاسم العلم؛ كقوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ ۝١ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ۝٢﴾ [الرحمن: ١-٢].

(الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَىٰ الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا).

(١) (موضوع). رواه البيهقي في «الأسماء والصفات» (ص ٧١)، وهو مسلسلٌ بالكذابين، فقد رواه محمد بن مروان عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس به. قال الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» (٣٧١/١٣): (لا يثبت، لأنه من رواية الكلبي عن أبي صالح عنه والكلبي متروك الحديث وكذلك مقاتل)، وقال السيوطي في «الإتقان» (٢٤٢/٢): «وأوهى طرقه - يعني: تفسير ابن عباس - طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس، فإذا انضمَّ إلى ذلك رواية محمد بن مروان السُّدِّي الصغير؛ فهي سلسلة الكذب».

وروى البيهقي في «الجامع لشعب الإيمان» (٢٩٩/٥) عن مقاتل بن سليمان عن الضحاک عن ابن عباس مرفوعًا: «... فإذا قال العبد: بسم الله الرحمن الرحيم؛ قال الله عزَّ وجلَّ: عبدي دعاني باسمين رقيقين؛ أحدهما أرقُّ من الآخر، فالرحيم أرق من الرحمن، وكلاهما رقيقان». قال البيهقي: «وقوله: (رقيقان)؛ قيل: هذا تصحيف وقع في الأصل، وإنما هما: (رقيقان)، والرقيق من أسماء الله تعالى». ومقاتل بن سليمان متهم بالكذب، والضحاک لم يسمع من ابن عباس.

((الْحَمْدُ لِلَّهِ)): روي^(١) عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «كُلُّ كَلَامٍ لَا يُبْدَأُ فِيهِ بِحَمْدِ اللهِ وَالصَّلَاةِ عَلَيَّ؛ فَهُوَ أَقْطَعُ، أَبْتَرُ، مَمْحُوقُ الْبِرْكَةِ»^(٢).

وورد مثل ذلك في البسمة.

ولهذا جمع المؤلف بينهما عملاً بالروايتين، ولا تعارض بينهما؛ فإنَّ الابتداء قسماً: حقيقي وإضافي، والحمد ضدُّ الدَّمِّ. يُقال: حمدتُ الرجلَ أَحْمَدُهُ حمداً ومَحْمَداً ومَحْمَدَةً، فهو محمودٌ وحميدٌ.

ويقال: حمَّد اللهُ - بالتشديد - : أثنى عليه المرة بعد الأخرى، وقال: الحمد لله.

[الفرق بين
الحمد والشكر]

والحمد: هو الثناء باللسان على الجميل الاختياري، نعمة كان أو

(١) ذكره بصيغة التمريض وهو كذلك، وقد روي بعدة ألفاظ بعضها حسن. (ابن عثيمين)

(٢) رواه بهذا اللفظ الديلمي في «مسند الفردوس» (٢٤٦/٣) (٤٧٢٦)، وضعفه: ابن حجر في «نتائج الأفكار» (٢٨١/٣)، والسخاوي في «الأجوبة المرضية» (٢٠٣/١)، والألباني في «ضعيف الجامع» (٤٢١٨)، وأورده بلفظ: «محموق من كل بركة» في «السلسلة الضعيفة»، وقال عنه: (موضوع).

ورواه بلفظ: (كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه بالحمد أقطع) أو قريباً منه: أحمد في «المسند» (٨٧١)، وأبو داود في «السنن» (٤٨٤٠)، وابن ماجه في «السنن» (١٨٩٤)، وغيرهم. وحسنه جمع من العلماء منهم: النووي في «الأذكار» رقم (٣٣٩)، وابن حجر في «الفتوحات الربانية» (٢٨٦/٣)، وابن الملقن في «شرح البخاري» (١٢١/٢)، وضعفه آخرون، قال الشيخ ابن باز في «مجموع فتاوى ومقاولات» (١٣٥/٢٥): (ضعفه بعض أهل العلم والأقرب أنه من باب الحسن لغيره).

غيرها؛ يقال: حمدت الرجل على إنعامه، وحمدته على شجاعته^(١).
وأما الشكر؛ فعلى النعمة خاصة، ويكون بالقلب واللسان والجوارح؛
قال الشاعر:

أَفَادَتْكُمْ النَّعْمَاءُ مِثِّي ثَلَاثَةً يَدِي وَلِسَانِي وَالضَّمِيرَ الْمَحَجَّبَا

وعلى هذا؛ فبين الحمد والشكر عمومٌ وخصوصٌ من وجه، يجتمعان
في الثناء باللسان على النعمة، وينفردُ الحمد في الثناء باللسان على ما ليس
بنعمة من الجميل الاختياري، وينفردُ الشكر بالثناء بالقلب والجوارح على
خصوص النعمة.

فالحمد أعظمُ متعلِّقًا، وأخصُّ آله، والشكر بالعكس.

وأما الفرق بين الحمد والمدح؛ فقد قال ابن القيم: «إنَّ الحمدَ إخبارٌ
عن محاسن المحمود، مع حبه، وتعظيمه، فلا بدَّ فيه من اقتزان الإرادة
بالخير؛ بخلاف المدح؛ فإنَّه إخبارٌ مجردٌ»^(٢).

ولذلك كان المدح أوسعَ تناولًا؛ لأنَّه يكون للحَيِّ والميِّت وللجماد
أيضًا.

و((ال)) في الحمد للاستغراق؛ ليتناول كل أفراد الحمد المحقَّقة

(١) (فيه قصور إذ إن الحمد لله يكون على إحسانه وعلى أفعاله الاختيارية وعلى صفاته الذاتية

اللازمة ولعل قصده الحمد بالنسبة إلى المخلوق). (ابن عثيمين)

(٢) ((بدائع الفوائد)) (٩٣/٢).

والمقدّرة، وقيل: للجنس، ومعناه^(١): «أَنَّ الحمد الكامل ثابتٌ لله، وهذا يقتضي ثبوت كُلِّ ما يُحمَدُ عليه من صفات كماله ونعوت جماله؛ إذ مَنْ عَدِمَ صفات الكمال؛ فليس بمحمود على الإطلاق، ولكن غايته [أنَّه محمودٌ من وجهٍ دون وجهٍ، ولا]^(٢) يكون محمودًا من كل وجه وبكل اعتبار بجميع أنواع الحمد؛ إلا مَنْ حاز صفات الكمال جميعها، [فلو عَدِمَ منها صفة واحدة؛ لنقص من حمده بسببها]^(٣)».

الرسول في اللغة هو مَنْ بُعثَ بالرسالة؛ يقال: أرسله بكذا؛ إذا طلب إليه تأديته وتبليغه. وجمعه: رُسل - بسكون السين - ورُسل، بضمها.

وفي لسان الشرع: إنسانٌ، ذكرٌ، حرٌّ، أُوحِيَ إليه بشرعٍ، وأُمِرَ بتبليغه. فإن أُوحِيَ إليه، ولم يؤمر بالتبليغ؛ فهو نبيٌّ. فكلُّ رسولٍ نبيٌّ، ولا عكس، فقد يكون نبيًّا غير رسول^(٤).

[الفرق بين
الرسول والنبي]

والمراد بالرسول المضاف إلى ضمير الرب هنا محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

(١) الكلام من قوله: ((ومعناه...)) لابن القيم من كتابه «مدارج السالكين» (٦٤/١).

(٢) زيادة يقتضيها السياق، سقطت من نقل الشارح لها من كتاب «مدارج السالكين».

(٣) تنمة كلام الحافظ ابن القيم.

(٤) هذا هو القول المشهور عند العلماء، وهناك أقوال أخرى: قيل: إنَّ الرسول الذي أُرسِلَ إلى الخلق بإرسال جبريل إليه عيانًا ومحاورته شفاهًا، والنبيُّ الذي يكون إلهامًا أو منامًا، وقيل: إنَّ الرسول من بُعثَ بشرعٍ جديد، والنبي من بعث لتقرير شرع من قبله، وقيل: إنَّ النبي من أُرسِلَ إلى المؤمنين يجدد رسالة رسولٍ قبله، والرسول من أُرسِلَ إلى الكفار بشريعة جديدة، وهذا فرعٌ عن الذي قبله.

و((الهُدَى)) في اللغة: البيان والدلالة؛ كما في قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ﴾ [فصلت: ١٧]. فَإِنَّ الْمَعْنَى: بَيْنًا لَهُمْ. وكما في قوله: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ ﴿٢﴾ [الإنسان: ٣].

والهُدَى بهذا المعنى عامٌ لجميع الناس، ولهذا يوصفُ به القرآن؛ كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩]. ويوصف به الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ كما في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: ٥٢].

وقد يأتي الهُدَى بمعنى التوفيق والإلهام، فيكون خاصًّا بمن يشاء الله هدايته؛ قال تعالى: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ﴾ [الأنعام: ١٢٥]. ولهذا نفاه اللهُ عن رسوله؛ قال تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ [القصص: ٥٦].

والمراد بالهُدَى هنا: كلُّ ما جاء به النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الإخبارات الصادقة، والإيمان الصحيح، والعلم النافع، والعمل الصالح. والدِّين يأتي لعدة معانٍ:

منها: الجزء؛ كما في قوله تعالى: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ ﴿٤﴾ [الفاتحة: ٤]. ومنه قولهم: كما يَدِينُ الفَتَى يُدَانُ.

ومنها: الخضوع والانقياد؛ يقال: دان له؛ بمعنى: ذلّ وخضع، ويقال: دانَ الله بكذا، أو كذا؛ بمعنى اتَّخذه دينًا يعبد به.

والمراد بالدين هنا: جميع ما أرسل الله به رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الأحكام والشرائع؛ اعتقادية كانت، أم قولية، أم فعلية.

وإضافته إلى الحق من إضافة الموصوف إلى صفته؛ أي: الدين الحق.

والحقُّ: مصدرٌ حَقٌّ يَحِقُّ إذا ثبت ووجب. فالمراد به: الثابت، الواقع. ويقابله: الباطل الذي لا حقيقة له.

اللام في قوله: ((لِيُظْهِرَهُ)) لام التعليل، وهي متعلقة بـ (أرسل)، وهو من الظهور؛ بمعنى: العلوّ والغلبة؛ أي: ليجعله عاليًا على الأديان كلها بالحجة والبرهان.

و(ال) في ((الدين)) للجنس، فيدخل فيه كل دين باطل، وهو ما عدا الإسلام.

والشاهد: فعيلٌ، وهو مبالغةٌ من شهد، وهو إمّا من الشهادة؛ بمعنى الإخبار والإعلام، أو من الشهادة؛ بمعنى الحضور. والمعنى: وكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا مَخْبِرًا بصدق رسوله، أو حاضرًا مَطَّلِعًا لا يغيب عنه شيءٌ.

والمعنى الإجمالي لما تقدم أنّ جميع أوصاف الكمال ثابتةٌ لله على أكمل الوجوه وأتمّها.

ومما يُحْمَدُ عليه سبحانه نعمه على عباده، التي لا يحصي أحدٌ من الخلق

عدها، وأعظمها إرساله محمداً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالهدى ودين الحق رحمةً للعالمين، وبشرى للمتقين؛ ليظهره على جميع الأديان بالحجة والبرهان، والعز والتمكين والسلطان، وكفى بالله شهيداً على صدق رسوله، وحقيقة ما جاء به.

وشهادته سبحانه تكون بقوله وفعله وتأييده لرسوله بالنصر والمعجزات والبراهين المتنوعة على أن ما جاء به هو الحق المبين.

(وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ إِقْرَارًا بِهِ وَتَوْحِيدًا).

(الشهادة): الإخبار بالشيء عن علم به، واعتقاد لصحته وثبوته، ولا [معنى الشهادة] تعتبر الشهادة إلا إذا كانت مصحوبة بالإقرار والإذعان، وواطأ القلب عليها اللسان؛ فإنَّ الله قد كَذَّبَ المنافقين في قولهم: ﴿تَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ﴾، مع أنَّهم قالوا بألسنتهم^(١).

و((**لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ**)): هي كلمة التوحيد، التي اتَّفقت عليها كلمة الرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين؛ بل هي خلاصة دعواتهم وزبدة رسالاتهم، وما من رسول منهم إلا جعلها مفتتح أمره، وقطب رحاه؛ كما قال نبيُّنا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((أُمِرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَإِذَا قَالُوهَا؛ فَقَدْ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا، وَحَسَابُهُمْ

(١) يعني الشارح تكذيب الله لهم في الآية الأولى من سورة المنافقون في قوله: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾.

على الله عزَّ وجلَّ^(١).

ودلالة هذه الكلمة على التوحيد باعتبار اشتغالها على النفي والإثبات المقتضي للحصر، وهو أبلغ من الإثبات المجرد؛ كقولنا: الله واحد. مثلاً فهي تدلُّ بصدرها على نفي الإلهية عمَّا سوى الله تعالى، وتدلُّ بعجزها على إثبات الإلهية له وحده. ولا بدَّ فيها من إضمار خبرٍ تقديره: لا معبود بحقٍّ - موجودٌ^(٢) - إلا الله.

وأما قوله: **((وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ))**؛ فهو تأكيد لما دلَّت عليه كلمة التوحيد.

وقوله: **((إِقْرَارًا بِهِ))** مصدرٌ مؤكِّدٌ لمعنى الفعل: ((أشهد))، والمراد: إقرار القلب واللسان.

وقوله: **((تَوْحِيدًا))**؛ أي: إخلاصًا لله عزَّ وجلَّ في العبادة، فالمراد به التوحيد الإرادي الطلي المبني على توحيد المعرفة والإثبات.

(١) رواه السبعة: البخاري (٦٩٢٤)، ومسلم (٢٠)، وأحمد (١١/١) (٦٧)، وأبو داود (٢٦٤٠)، والترمذي (٢٦٠٦)، والنسائي (٣٩٧٠)، وابن ماجه (٣١٨٧) واللفظ له. من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

والحديث بنحوه روي من طرق عن أبي بكر الصديق، وعمر بن الخطاب، وجابر بن عبد الله رضي الله عنهم جميعاً.

(٢) يعني الشارح أن هذه الكلمة تقدير لخبرٍ مستتر؛ ل (لا) النافية للجنس.

(وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ
وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا مَزِيدًا)^(١).

وجعل الشهادة للرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالرسالة والعبودية مقروناً
بالشهادة لله بالتوحيد؛ للإشارة إلى أنه لا بد من كل منهما، فلا تُعني
إحداهما عن الأخرى، ولهذا قرن بينهما في الأذان، وفي التشهد.

وقال بعضهم في تفسير قوله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ [الشرح: ٤]:
(«يعني: لا أُذْكَرُ إِلَّا ذُكِرْتَ معي»)^(٢).

وإنما جمع له بين وصفي الرسالة والعبودية؛ لأنهما أعلى ما يوصف به
العبد.

والعبادة: هي الحكمة التي خَلَقَ اللَّهُ الخَلْقَ لأجلها؛ كما قال تعالى:

﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

[معنى العبادة]

فكمال المخلوق في تحقيق تلك الغاية، وكلما ازداد العبد تحقيقاً
للعبودية؛ ازداد كماله، وعلت درجته.

(١) ليس في الأصل الصلاة على الآل والصحب.

(٢) صح عن مجاهد أنه قال في تفسير هذه الآية: «لا أُذْكَرُ إِلَّا ذُكِرْتَ معي: أشهد ألا إله إلا
الله، أشهد أن محمداً رسول الله». وقال الألباني في «فضل الصلاة على النبي» لابن إسحاق
القاضي (ص ٨٦): «إسناده مرسل صحيح، فهو حديث قدسي مرسل». وروى أبو يعلى
في «المسنَد» (٥٢٢/٢) بإسناد ضعيف، من حديث أبي سعيد الخدري رفعه: «إذا ذُكِرْتُ
ذُكِرْتَ معي». وانظر: «الدُّرُ المُنْتَوَر» (٥٤٩/٨).

ولهذا ذكر الله نبيّه بلقب العبد في أسمى أحواله وأشرف مقاماته؛ كالإسراء به، وقيامه بالدعوة إلى الله، والإيحاء إليه، والتحدّي بالذي أنزل عليه.

ونبّه بوصف العبودية أيضًا إلى الرد على أهل الغلوّ الذين قد يتجاوزون بالرسول قدره، ويرفعونه إلى مرتبة الألوهية؛ كما يفعل ضلال الصوفية قبّحهم الله، وقد صحّ عنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: ((لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، إنما أنا عبدٌ، فقولوا عبدُ الله ورسوله))^(١).

والمقصود أن هذه الشهادة تتضمن اعتراف العبد بكمال عبوديته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لربه، وكمال رسالته، وأنه فاق جميع البشر في كلِّ خصلةٍ كماله.

ولا تتم هذه الشهادة حتى يصدقه العبد في كل ما أخبر به، ويطيعه في كل ما أمر به، وينتهي عما نهى عنه.

الصلاة في اللغة: الدعاء؛ قال تعالى: ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ﴾ [التوبة: ١٠٣].

وأصحُّ ما قيل في صلاة الله على رسوله هو ما ذكره البخاري في ((صحيحه)) عن أبي العالية؛ قال: ((صلاة الله على رسوله: ثناؤه عليه عند الملائكة))^(٢).

(١) رواه البخاري (٣٤٤٥) من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

(٢) رواه البخاري معلقًا بصيغة الجزم في التفسير، (١٢٠/٦)، ووصله ابن إسحاق القاضي في كتابه ((فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم)) (ص: ٨٢)، وقال الألباني: ((إسناده موقوف حسن)).

والمشهور أنَّ الصلاة من الملائكة الاستغفار؛ كما في الحديث الصحيح: ((والملائكة يصلُّون على أحدكم ما دام في مجلسه الذي صلَّى فيه؛ يقولون: اللهم اغفر له، اللهم ارحمه))^(١).

ومن الآدميين: التضرُّع والدُّعاء.

وآل الشخص هم من يمتُّون إليه بصلة وثيقة من قرابة ونحوها.

وآله صلَّى الله عليه وسلَّم يُراد بهم أحياناً مَنْ حُرِّمَتْ عليهم الصدقة، وهم بنو هاشم وبنو المطلب، ويراد بهم أحياناً كل مَنْ تبعه على دينه.

وأصل (آل): أهل، أُبْدِلَتْ الهاء همزة، فتوالت همزتان، فقلِّبَتِ الثانية منهما ألفاً، ويصغر على أهيل أو أوَّيل، ولا يستعمل إلا فيما شرف غالباً، فلا يقال: آل الإسكاف وآل الحجام.

والمراد بالصحب أصحابه صلَّى الله عليه وسلَّم، وهم كل من لقيه حال حياته مؤمناً^(٢)، ومات على ذلك.

[معنى السلام]

والسلام: اسم مصدر من سلَّم تسليمًا عليه؛ بمعنى طلب له السلامة من كل مكروه، وهو اسم من أسمائه تعالى، ومعناه: البراءة والخلاص من النقائص والعيوب، أو الذي يسلم على عباده المؤمنين في الآخرة.

(١) جزء من حديث رواه البخاري (٤٧٧)، ومسلم (٦٤٩)، ورواه أيضًا: أبو داود، والترمذي، والنسائي، وأحمد في ((المسند))، ومالك في ((الموطأ))؛ بألفاظ متقاربة.

(٢) (مراده مؤمناً بالرسول صلَّى الله عليه وسلَّم لأن إطلاق الإيمان ينصرف إلى الإيمان بالرسول صلَّى الله عليه وسلَّم ولو قيد ذلك به لكان أحسن) (ابن عثيمين).

و((مزيِّداً)) صفةٌ لـ ((تَسْلِيماً))، وهو اسم مفعول من (زاد) المتعدِّي،
والتقدير: مزيِّداً فيه.

**(أَمَّا بَعْدُ؛ فَهَذَا اعْتِقَادُ الْفِرْقَةِ النَّاجِيَةِ الْمَنْصُورَةِ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ:
أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ)^(١).**

((أَمَّا بَعْدُ)): كلمة يُؤْتَى بها للدلالة على الشروع في المقصود، وكان
النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يستعملها كثيراً في خطبه وكتبه، وتقديرها عند
النحويين: مهما يكن من شيء بعد.

والإشارة بقوله: ((هَذَا)) إلى ما تضمَّنه هذا المؤلف من العقائد
الإيمانية التي أجمَلها في قوله: ((وهو الإيمان بالله...)).

والاعتقاد: مصدر اعتقد كذا؛ إذا اتَّخَذَه عقيدة له؛ بمعنى عقد عليه
الضمير والقلب، ودان لله به، وأصله من (عقد الحبل)، ثمَّ اسْتُعْمِلَ في
التصميم والاعتقاد الجازم.

[الفرقة الناجية] ((الْفِرْقَةُ)) - بكسر الفاء - الطائفة من الناس.

ووصفها بأَمَّا ((النَّاجِيَةِ الْمَنْصُورَةِ)) أخذاً من قوله - عليه السلام -:
((لا تزال طائفةٌ من أُمَّتِي على الحقِّ منصورَةً، لا يضرُّهم من خَذَلهم، حتى
يَأْتِي أمرُ اللهِ))^(٢).

(١) في الأصل: ((اعْتِقَادُ الْفِرْقَةِ النَّاجِيَةِ الْمَنْصُورَةِ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ)).

(٢) رواه البخاري (٣٦٤١)، ومسلم (١٩٢٠) من حديث معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه،
ورواه الترمذي وابن ماجه من حديث معاوية بن قره عن أبيه رضي الله عنه.

ومن قوله في الحديث الآخر: ((ستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة: كلهم في النار إلى واحدة، وهي من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي))^(١).

وقوله: **((أهل السنة والجماعة))**^(٢)؛ بدل من الفرقة.

[أهل السنة
والجماعة]

(١) حديث الافتراق رواه بألفاظ مختلفة: أحمد (١٢٤٧٩)، والترمذي (٢٦٤٠)، وأبو داود (٤٥٩٧)، وابن ماجه (١٣٢٢)، والدارمي (٣١٤/٢)، والحاكم (٢١٨/١)، وغيرهم. وقد حسنه الترمذي، وقال الحاكم عن أسانيده: ((هذه أسانيد تقام بها الحجة في تصحيح هذا الحديث))، ووافقه الذهبي، وقال العراقي في ((تخريج الإحياء)) (٢٣٠/٣): ((حديث افتراق الأمة أسانيداً جيداً)) اهـ. وحسن إسناده ابن كثير في ((تهذيب البداية والنهاية)) (٢٧/١) وابن حجر في ((تخريج الكشاف)) (١٠٨).

(٢) قال الشيخ ابن عثيمين في شرحه لـ «الواسطية» (٥٣/١): ((عُلِمَ من كلام المؤلف رحمه الله أنه لا يدخل فيهم من خالفهم في طريقتهم، فالأشاعرة مثلاً والماتريدية لا يُعدُّون من أهل السنة والجماعة في هذا الباب؛ لأنهم مخالفون لما كان عليه النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه في إجراء صفات الله سبحانه وتعالى على حقيقتها، ولهذا يخطئ من يقول: إن أهل السنة والجماعة ثلاثة: سلفيون، وأشعريون، وماتريدون، فهذا خطأ؛ نقول: كيف يكون الجميع أهل سنة وهم مختلفون؟! فماذا بعد الحقِّ إلا الضلال؟! وكيف يكونون أهل سنة وكلُّ واحدٍ منهم يردُّ على الآخر، هذا لا يمكن؛ إلا إذا أمكن الجمع بين الصِّدِّين؛ فنعم! وإلا؛ فلا شك أن أحدهم وحده هو صاحب السنة، فمن هو؟ الأشعرية أم الماتريدية أم السِّلَفِيَّة؟ نقول من وافق السُّنة؛ فهو صاحب السنة، ومن خالف السنة؛ فليس صاحب سنة، فنحن نقول: السِّلَف هم أهل السنة والجماعة، ولا يصدق الوصف على غيرهم أبداً، والكلمات تعتبر بمعانيها، لننظر كيف نسمي من خالف السنة أهل سنة؟ لا يمكن! وكيف يمكن أن نقول عن ثلاث طوائف مختلفة، إنهم مجتمعون؟ فأين الاجتماع؟ فأهل السنة والجماعة هم السِّلَف معتقداً، حتى المتأخر إلى يوم القيامة إذا كان على طريقة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه؛ فإنه سلفي)) اهـ.

والمراد بالسنة: الطريقة التي كان عليها رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه قبل ظهور البدع والمقالات.

والجماعة في الأصل: القوم المجتمعون، والمراد بهم هنا سلف هذه الأمة من الصحابة والتابعين، الذين اجتمعوا على الحق الصريح من كتاب الله تعالى وسنة رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

(وَهُوَ الْإِيمَانُ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْبَعْثُ بَعْدَ الْمَوْتِ، وَالْإِيمَانُ بِالْقَدْرِ خَيْرُهُ وَشَرُّهُ).

[أركان الإيمان

الستة]

هذه الأمور الستة هي أركان الإيمان، فلا يتم إيمان أحدٍ إلا إذا آمن بها جميعاً على الوجه الصحيح الذي دلَّ عليه الكتاب والسنة، فمن جحد شيئاً منها أو آمن به على غير هذا الوجه؛ فقد كفر.

وقد ذُكرت كلها في حديث جبريل المشهور، حين جاء إلى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في صورة أعرابي يسأله عن الإسلام والإيمان والإحسان؟ فقال: ((أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، وتؤمن بالبعث بعد الموت، وبالقدر خيره وشره))^(١)؛ حلوه ومره من الله تعالى.

(١) هذا جزءٌ من حديث جبريل المشهور؛ رواه مسلم، بلفظ: ((أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر . وتؤمن بالقدر خيره وشره)) وهو أول حديث يفتح به الصحيح. ورواه بنحوه أيضاً: أحمد (٢٨/١) (١٩١)، وأبو داود (٤٦٩٥)، والترمذي (٢٦١٠)، والنسائي، كلهم من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه. كما رواه البخاري، ومسلم، وأبو داود، وابن ماجه؛ من حديث أبي هريرة وأبي ذر رضي الله عنهما.

والملائكة: جمع مَلَك، وأصله مَأَلَك؛ من الألوكة، وهي الرسالة، وهم نوعٌ من خلق الله عزَّ وجلَّ، أسكنهم سماواته، ووكّلهم بشؤون خلقه، ووصفهم في كتابه بأنَّهم لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، وأنَّهم يسبّحون له بالليل والنهار لا يفترون.

فيجب علينا الإيمان بما ورد في حقهم من صفات وأعمال في الكتاب والسنة، والإمساك عمّا وراء ذلك؛ فإنَّ هذا من شؤون الغيب التي لا نعلم منها إلا ما علّمنا الله ورسوله.

والكُتُب: جمع كتاب، وهو من الكُتِب؛ بمعنى: الجمع والضم، والمراد بها الكتب المنزّلة من السماء على الرسل عليهم الصلاة والسلام.

والمعلوم لنا منها: صحف إبراهيم، والتوراة التي أنزلت على موسى في الألواح، والإنجيل الذي أنزل على عيسى، والزبور الذي أنزل على داود، والقرآن الكريم الذي هو آخرها نزولاً، وهو المصدّق لها، والمهيمن عليها، وما عداها يجب الإيمان به إجمالاً.

والرسل: جمع رسول، وقد تقدم أنّه من أوحى الله إليه بشرع وأمره بتبليغه.

وعلينا أن نؤمن تفصيلاً بمن سمّى الله في كتابه منهم، وهم خمسة وعشرون، ذكرهم الشاعر في قوله:

[الإيمان بالملائكة]

[الإيمان بالكتب]

[الإيمان بالرسل]

فِي ﴿تِلْكَ حُجَّتُنَا﴾ ^(١) مِنْهُمْ ثَمَانِيَةٌ مِنْ بَعْدِ عَشْرِ وَيَبْقَى سَبْعَةٌ وَهُمْ
إِدْرِيسُ هُوْدُ شُعَيْبٌ صَالِحٌ وَكَذَا ذُو الْكِفْلِ آدَمُ بِالْمُخْتَارِ قَدْ خُتِمُوا ^(٢)

وَأَمَّا مَنْ عَدَا هَؤُلَاءِ مِنَ الرُّسُلِ وَالْأَنْبِيَاءِ؛ فَنُؤْمِنُ بِهِمْ إِجْمَالًا عَلَى مَعْنَى
الاعتقاد بنبوتهم ورسالتهم، دون أن نكلّف أنفسنا البحث عن عدتهم
وأسمائهم، فإنّ ذلك مما اختصّ الله بعلمه؛ قال تعالى: ﴿وَرُسُلًا قَدْ
قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ﴾ [النساء: ١٦٤].

ويجب الإيمان بأنهم بلّغوا جميع ما أرسلوا به على ما أمرهم الله عزّ
وجلّ، ويثبته بياناً لا يسع أحداً ممن أرسلوا إليه جهله، وأنهم معصومون من
الكذب والخيانة، والكتمان والبلادة.

وَأَنَّ أَفْضَلَهُمْ أُولُو الْعِزْمِ، وَالْمَشْهُورُ أَهْمُ: مُحَمَّدٌ، وَإِبْرَاهِيمُ، وَمُوسَى،
وَعِيسَى، وَنُوحٌ؛ لِأَنَّهُمْ ذُكِرُوا مَعًا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ
مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾ [الأحزاب: ٧].
وقوله: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا

(١) يعني الشاعر قوله تعالى في سورة الأنعام: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ
دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ (٨٣) وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا
هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمَنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي
الْمُحْسِنِينَ (٨٤) وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلًّا مِنَ الصَّالِحِينَ (٨٥) وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ
وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ فهؤلاء ثمانية عشر نبياً، وبقي سبعة أنبياء ذكرهم
في البيت الثاني.

(٢) (ذكر بيتين في عدّ الأنبياء وعدّ منهم ذا الكفل وفيه خلاف) (ابن عثيمين).

بِهِ إِتْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ﴿الشورى: ١٣﴾

و((الْبَعْثُ)) في الأصل: الإثارة والتحريك، والمراد به في لسان الشرع: [الإيمان بالبعث] إخراج الموتى من قبورهم أحياء يوم القيامة؛ لفصل القضاء بينهم، فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره.

ويجب الإيمان بالبعث على الصفة التي بينها الله في كتابه، وهو أنه جمع ما تحلل من أجزاء الأجساد التي كانت في الدنيا، وإنشائها خلقاً جديداً، وإعادة الحياة إليها.

ومنكر البعث الجسماني - كالفلاسفة والنصارى^(١) - كافر، وأما من أقرّ به ولكنه زعم أن الله يبعث الأرواح في أجسام غير الأجسام التي كانت في الدنيا؛ فهو مبتدعٌ وفاسقٌ.

وأما ((الْقَدْرُ))؛ فهو في الأصل، مصدر تقول: قدرت الشيء - بفتح الدال وتخفيفها - أقدرتُه - بكسرهما - قدراً وقدراً؛ إذا أحطت بمقداره. [الإيمان بالقدر]

والمراد به في لسان الشرع أن الله عزَّ وجلَّ علم مقادير الأشياء وأزمانها أزلاً، ثمَّ أوجدها بقدرته ومشيعته على وفق ما علمه منها، وأنه كتبها في اللوح قبل إحداثها؛ كما في الحديث: ((أول ما خلق الله القلم، فقال له: اكتب. قال: وما أكتب؟ قال: اكتب كل ما هو كائن))^(٢). وقال تعالى:

(١) ذكر أن النصارى ينكرون البعث الجسماني وفيه نظر، بل قد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية أن المعاد الجسماني متفق عليه بين المسلمين والنصارى واليهود (ابن عثيمين).
(٢) رواه بنحوه: أحمد (٢٢٧٥٧)، وأبو داود (٤٧٠٠)، والترمذي (٢١٥٥)، وغيرهم. =

﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا ﴾ [الحديد: ٢٢].

(وَمِنَ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ: الْإِيمَانُ بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ^(١)،
وَبِمَا وَصَفَهُ بِهِ رَسُولُهُ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ مِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ وَلَا
تَعْطِيلٍ، وَمِنْ غَيْرِ تَكْيِيفٍ وَلَا تَمَثِيلٍ).

وقوله: ((وَمِنَ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ ... إلخ)): هذا شروعٌ في التفصيل بعد الإجمال، و(من) هنا للتبعض، والمعنى ومن جملة إيمان أهل السنة والجماعة بالأصل الأول الذي هو أعظم الأصول وأساسها، وهو الإيمان بالله: أنهم يؤمنون بما وصف به نفسه... إلخ.

وقوله: ((مِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ)) متعلقٌ بالإيمان قبله؛ يعني أنهم يؤمنون بالصفات الإلهية على هذا الوجه الخالي من كل هذه المعاني الباطلة؛ إثباتاً بلا تمثيل، وتنزيهاً بلا تعطيل.

[معنى التحريف] والتحريف في الأصل مأخوذ من قولهم: حرفتُ الشيء عن وجهه حرفاً، من باب ضرب؛ إذا أملتته وغيرته، والتشديد للمبالغة.

وتحريف الكلام: إمالته عن المعنى المتبادر منه إلى معنى آخر لا يدلُّ

= قال الترمذي: حسن غريب، وصححه ابن جرير الطبري في «التاريخ» (٣٢/١)، وابن

العربي في «أحكام القرآن» (٣٣٥/٢)، والألباني في «صحيح الجامع» (٢٠١٧).

(١) العزيز: ليست في الأصل.

عليه اللفظ إلا باحتمال مرجوح، فلا بد فيه من قرينة تبيِّن أنه المراد^(١).

وأما التعطيل؛ فهو مأخوذ من العطل، الذي هو الخلوُّ والفراغ والترك، [معنى التعطيل] ومنه قوله تعالى: ﴿وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ﴾ [الحج: ٤٥]. أي: أهملها أهلها، وتركوا وزدها. والمراد به هنا نفي الصفات الإلهية، وإنكار قيامها بذاته تعالى^(٢).

فالفرق بين التحريف والتعطيل: أنَّ التعطيل نفيٌّ للمعنى الحق الذي دلَّ [الفرق بين التحريف والتعطيل] عليه الكتاب والسنة، وأما التحريف؛ فهو تفسير النصوص بالمعاني الباطلة التي لا تدلُّ عليها.

والنسبة بينهما العموم والخصوص المطلق، فإنَّ التعطيل أعظمُّ مطلقاً من التحريف؛ بمعنى أنَّه كلما وجد التحريف؛ وجد التعطيل؛ دون العكس، وبذلك يوجدان معاً فيمن أثبت المعنى الباطل ونفى المعنى الحق، ويوجد التعطيل بدون التحريف فيمن نفى الصفات الواردة في الكتاب والسنة، وزعم أنَّ ظاهرها غير مرادها، ولكنه لم يُعيِّن لها معنىً آخر، وهو ما يسمونه بالتفويض.

[معنى التفويض]

ومن الخطأ القول بأنَّ هذا هو مذهب السلف؛ كما نسب ذلك إليهم

(١) والتحريف يكون في اللفظ والمعنى، أما في اللفظ؛ فمثاله نصب اسم الجلالة بدل رفعه في قوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤]، وأما في المعنى؛ فمثاله قولهم: (استوى) أي: استولى، ويده؛ أي: قدرته.

(٢) التعطيل قسمان: كلي؛ كما فعل نفاة الصفات من الجهمية والمعتزلة، وجزئي كما فعل الأشاعرة الذين يثبتون سبع صفات فقط، وينفون الباقي.

المتأخرون من الأشاعرة^(١) وغيرهم، فإنَّ السَّلَفَ لم يكونوا يفوضون في علم المعنى، ولا كانوا يقرؤون كلامًا لا يفهمون معناه؛ بل كانوا يفهمون معاني النصوص من الكتاب والسنة، ويثبتونها لله عزَّ وجلَّ، ثمَّ يفوضون فيما وراء ذلك من كُنْهِ الصفات أو كَيْفِيَّاتِهَا^(٢)؛ كما قال مالك حين سُئِلَ عن كيفية استوائه تعالى على العرش: ((الاستواء معلومٌ، والكيفُ مجهولٌ))^(٣).

[المفوضة]

[معنى التكيف] وأما قوله: ((وَمَنْ غَيْرِ تَكْيِيفٍ وَلَا تَمْثِيلٍ))؛ فالفرق بينهما أنَّ التكييف أن يعتقد أنَّ صفاته تعالى على كيفية كذا، أو يسأل عنها بكيف. [والتمثيل]

وأما التمثيل؛ فهو اعتقاد أنَّها مثل صفات المخلوقين.

وليس المراد من قوله: ((مَنْ غَيْرِ تَكْيِيفٍ)) أنَّهم ينفون الكيف مطلقًا؛ فإنَّ كل شيء لا بد أن يكون على كيفية ما، ولكن المراد أنَّهم ينفون

(١) سيأتي التعريف بهم.

(٢) المفوضة: هم الذين يُثَبِّتُونَ الصفات، ويفوضون علم معانيها إلى الله.

وأهل السنة والجماعة يُثَبِّتُونَ الصفات وعلم معانيها، ويفوضون علم كیفيتها إلى الله تعالى. ومن قال: أنا أثبت الصفات وأفوض علمها إلى الله؛ قلنا له: ماذا تعني بعلمها؟ علم المعنى؟ أم علم الكيفية؟

(٣) ذكره البيهقي في ((الأسماء والصفات)) (ص ٥١٥) عن الإمام مالك بإسناد جوده الحافظ في ((الفتح)) (٤٠٧/١٣). وورد عن ربيعة الرأي، شيخ مالك. ذكره: البيهقي في ((الأسماء والصفات)) (ص ٥١٦)، واللالكائي في ((شرح اعتقاد أهل السنة)) (٣/٣٩٨). وورد أيضًا عن أم سلمة مرفوعًا وموقوفًا. ولكن قال ابن تيمية في ((الفتاوى)) (٥/٣٦٥): ((وقد روي هذا الجواب عن أم سلمة رضي الله عنها موقوفًا ومرفوعًا، ولكن ليس إسناده مما يُعْتَمَدُ عليه)). وقال الألباني عن المرفوع في ((شرح الطحاوية)) (ص ٢٨١): ((لا يصح)). ثمَّ قال: ((والصواب عن مالك أو أم سلمة، والأول أشهر)).

علمهم بالكيف؛ إذ لا يعلم كيفية ذاته وصفاته إلا هو سبحانه.

(بَلْ يُؤْمِنُونَ بِأَنَّ اللَّهَ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿الشورى: ١١﴾)

قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾؛ هذه الآية المحكمة من كتاب الله عز وجل هي دستور^(١) أهل السنة والجماعة في باب الصفات، فإن الله عز وجل قد جمع فيها بين النفي والإثبات، فنفي عن نفسه المثل، وأثبت لنفسه سمعاً وبصراً، فدل هذا على أن المذهب الحق ليس هو نفي الصفات مطلقاً؛ كما هو شأن المعطلة، ولا إثباتها مطلقاً؛ كما هو شأن الممثلة؛ بل إثباتها بلا تمثيل.

وقد اختلَفَ في إعراب: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ على وجوه؛ أصحها: أَنَّ الكافَ صِلَةٌ زِيدَتْ للتأكيد؛ كما في قول الشاعر:

لَيْسَ كَمِثْلِ الفَتَى زُهَيْرٍ خَلْقٌ يُوَارِيزُهُ فِي الفَضَائِلِ

(فَلَا يَنْفُونَ عَنْهُ مَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ، وَلَا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ، وَلَا يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَاءِ اللَّهِ وَآيَاتِهِ، وَلَا يُكَيِّفُونَ وَلَا يُمَثِّلُونَ صِفَاتِهِ بِصِفَاتِ خَلْقِهِ).

وقوله: ((فَلَا يَنْفُونَ عَنْهُ...)) إلخ تفرُّعٌ على ما قبله؛ فإنهم إذا كانوا يؤمنون بالله على هذا الوجه؛ فلا ينفون ولا يحرفون، ولا يكيفون ولا يمثِّلون.

(١) كلمة فارسية بمعنى قانون أو أساس، وفي ((التاج)): ((النسخة المعمولة للجماعات)).

والمواضع: جمع موضع، والمراد بها المعاني التي يجب تنزيل الكلام عليها؛ لأنها هي المتبادرة منه عند الإطلاق، فهم لا يعدلون به عنها.

وأما قوله: **((وَلَا يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَاءِ اللَّهِ وَآيَاتِهِ))**؛ فقد قال العلامة ابن القيم رحمه الله: ((والإلحاد في أسمائه هو العدول بها وبحقائقها ومعانيها عن الحق الثابت لها؛ مأخوذاً من الميل؛ كما يدل عليه مادة (ل ح د)، فمنه اللحد، وهو الشق في جانب القبر، الذي قد مال عن الوسط، ومنه المُلحد في الدين: المائل عن الحق، المُدخِل فيه ما ليس منه)). اهـ

[معنى الإلحاد
في أسماء الله]

فالإلحاد فيها إمّا أن يكون بجحدها وإنكارها بالكليّة، وإمّا بجحد معانيها وتعطيلها، وإمّا بتحريفها عن الصواب وإخراجها عن الحق بالتأويلات الفاسدة، وإمّا يجعلها أسماء لبعض المبتدعات؛ كالإلحاد أهل الاتحاد.

وخلاصة ما تقدم:

أنَّ السَّلف رضي الله عنهم يؤمنون بكل ما أخبر الله به عن نفسه في كتابه، وبكل ما أخبر به عنه رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إيماناً سالماً من التحريف والتعطيل، ومن التكييف والتمثيل، ويجعلون الكلام في ذات الباري وصفاته باباً واحداً؛ فإنَّ الكلام في الصفات فرعُ الكلام في الذات، يُحْتَدَى فيه حَدُّوه، فإذا كان إثبات الذات إثبات وجودٍ لا إثبات تكييف؛ فكذلك إثبات الصفات.

وقد يعبرون عن ذلك بقولهم: **((تَمُرُّ كَمَا جَاءَتْ بِلَا تَأْوِيلٍ))**، وَمَنْ لَمْ

يفهم كلامهم؛ ظنَّ أنَّ غرضهم بهذه العبارة هو قراءة اللفظ دون التعرُّض للمعنى، وهو باطل، فإنَّ المراد بالتأويل المنفي هنا هو حقيقة المعنى وكنهه وكيفيته^(١).

قال الإمام أحمد رحمه الله: ((لا يوصفُ الله إلا بما وصف به نفسه، أو وصفه به رسوله، ولا يتجاوز القرآن والحديث))^(٢).

وقال نعيم بن حماد (شيخ البخاري): ((مَنْ شَبَّهَ اللهَ بِمَخْلُوقِهِ؛ كَفَرَ، وَمَنْ جَحَدَ مَا وَصَفَ اللهُ بِهِ نَفْسَهُ؛ كَفَرَ، وَلَيْسَ فِيمَا وَصَفَ اللهُ بِهِ نَفْسَهُ أَوْ وَصَفَهُ بِهِ رَسُولُهُ تَشْبِيهًا وَلَا تَمَثِيلًا))^(٣).

(لَأَنَّهُ سُبْحَانَهُ: لَا سَمِيَّ لَهُ، وَلَا كُفَاءَ لَهُ، وَلَا نَدَّ لَهُ).

قوله: ((لَأَنَّهُ سُبْحَانَهُ: لَا سَمِيَّ لَهُ...)) إلخ؛ تعليل لقوله فيما تقدم إخبارًا عن أهل السنة والجماعة: ((لا يَكْفُون ولا يَمَثِّلُون)).

(١) ومما يؤيد ذلك أنهم كانوا يقولون أحيانًا: ((تَمَرُّ كَمَا جَاءَتْ؛ بِلَا كَيْفٍ))، وما كانوا يقولون: ((تَمَرُّ كَمَا جَاءَتْ بِلَا مَعْنَى))، فَعُلِمَ مِنْ ذَلِكَ أَنَّهُمْ يُشَبِّتُونَ الْمَعْنَى، وَيَنْفُونَ الْكَيْفَ. والشارح يعني بقوله: ((حقيقة المعنى))؛ أي: الكيفية؛ يفرق بين المعنى وحقيقة المعنى، فيشبتون المعنى وينفون حقيقته، وهي الكيفية.

(٢) انظر: ((مجموع الفتاوى)) (٢٦/٥).

(٣) أورده الذهبي بإسناده في كتاب ((العلو))، وقال الألباني في ((مختصر العلو)) (ص ١٨٤): ((وهذا إسنادٌ صحيحٌ)). اهـ

وُتِّعِمَ بِنِ حَمَادٍ: هُوَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ نَعِيمُ بِنِ حَمَادِ بْنِ مَعَاوِيَةَ بْنِ الْحَارِثِ الْخُرَازِيِّ الْمُرُوزِيِّ، قَالَ الْخَطِيبُ: ((يُقَالُ إِنَّهُ أَوَّلُ مَنْ جَمَعَ الْمَسْنَدَ فِي الْحَدِيثِ)). وَهُوَ أَعْلَمُ النَّاسِ بِالْفَرَائِضِ، كَانَ شَدِيدَ الرَّدِّ عَلَى الْجَهْمِيَّةِ وَأَهْلِ الْأَهْوَاءِ، تَوَفِّيَ سَنَةَ ٢٢٨ هـ).

ومعنى: **((لا سَمِيَّ لَهُ))** أي: لا نظير له يستحقُّ مثل اسمه، أو لا [معنى لا سمي له]
 مسامِيَّ له يساميه، وقد دلَّ على نفيه قوله تعالى في سورة مريم: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥]. فإنَّ الاستفهام هنا إنكاريٌّ، معناه النفي.

وليس المراد من نفي السميِّ أنَّ غيره لا يسمَّى بمثل أسمائه، فإنَّ هناك أسماءً مشتركة بينه وبين خلقه، ولكنَّ المقصود أنَّ هذه الأسماء إذا سُمِّي اللهُ بها؛ كان معناها مختصًّا به لا يشركُهُ فيه غيره، فإنَّ الاشتراك إنما هو في مفهوم الاسم الكلِّي، وهذا لا وجود له إلا في الذهن، وأمَّا في الخارج؛ فلا يكون المعنى إلا جزئيًّا مختصًّا، وذلك بحسب ما يضاف إليه، فإن أضيف إلى الرَّبِّ؛ كان مختصًّا به، لا يشاركه فيه العبد، وإن أضيف إلى العبد كان مختصًّا به لا يشاركه فيه الرب.

وأما الكفاء؛ فهو المكافئ المساوي، وقد دلَّ على نفيه قوله تعالى:
 ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ٤].

وأما التَّدُّ؛ فمعناه المساوي المناوئ؛ قال تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢].

((وَلَا يُقَاسُ بِخَلْقِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى)).

وأما قوله: **((وَلَا يُقَاسُ بِخَلْقِهِ))**؛ فالمقصود به أنَّه لا يجوز استعمال شيءٍ من الأقيسة التي تقتضي المماثلة والمساواة بين المقيس والمقيس عليه في الشؤون الإلهية.

وذلك مثل قياس التمثيل الذي يُعرّفه علماء الأصول بأنه إلحاق فرع [قياس التمثيل] بأصل في حكمٍ جامع؛ كإلحاق النبيذ بالخمير في الحرمة لاشتراكهما في علة الحكم، وهي الإسكار.

فقياس التمثيل مبنيٌّ على وجود مماثلة بين الفرع والأصل، والله عزَّ وجلَّ لا يجوز أن يُمثَّل بشيء من خلقه.

ومثل قياس الشمول المعروف عند المناطقة بأنه الاستدلال بكليِّ [قياس الشمول] على جزئيِّ بواسطة اندراج ذلك الجزئي مع غيره تحت هذا الكلِّي.

فهذا القياس مبنيٌّ على استواء الأفراد المندرجة تحت هذا الكلِّي، ولذلك يُحكَّم على كل منها بما حُكِمَ به عليه. ومعلومٌ أنه لا مساواة بين الله عزَّ وجلَّ وبين شيء من خلقه.

[قياس الأولى]

وإنما يُستعمل في حقه تعالى قياس الأولى، ومضمونه أن كلَّ كمال ثبت للمخلوق وأمكن أن يتَّصف به الخالق؛ فالخالق أولى به من المخلوق، وكلَّ نقصٍ تنزَّه عنه المخلوق؛ فالخالق أحق بالتنزُّه عنه.

[قاعدة الكمال]

وكذلك قاعدة الكمال التي تقول: إِنَّهُ إِذَا قُدِّرَ اثْنَانِ: أَحَدُهُمَا مَوْصُوفٌ بِصِفَةِ كَمَالٍ، وَالْآخَرُ يَمْتَنِعُ عَلَيْهِ أَنْ يَتَّصِفَ بِتِلْكَ الصِّفَةِ؛ كَانَ الْأَوَّلُ أَكْمَلَ مِنَ الثَّانِي، فَيَجِبُ إِثْبَاتُ مِثْلِ تِلْكَ الصِّفَةِ لِلَّهِ مَا دَامَ وُجُودُهَا كَمَالًا وَعَدْمُهَا نَقْصًا.

(فَإِنَّهُ أَعْلَمُ بِنَفْسِهِ وَبِغَيْرِهِ، وَأَصْدَقُ قِيْلًا، وَأَحْسَنُ حَدِيثًا مِنْ خَلْقِهِ.

ثُمَّ رُسُلُهُ صَادِقُونَ مُصَدِّقُونَ؛ بِخِلَافِ الَّذِينَ يَقُولُونَ عَلَيْهِ مَا لَا

يَعْلَمُونَ

قوله: ((فَإِنَّهُ أَعْلَمُ بِنَفْسِهِ وَبِغَيْرِهِ...)) إلى قوله: ((...ثُمَّ رُسُلُهُ صَادِقُونَ مَصْدُوقُونَ))؛ تَعْلِيلٌ لَصِحَّةِ مَذْهَبِ السَّلَفِ فِي الْإِيمَانِ بِجَمِيعِ الصِّفَاتِ الْوَارِدَةِ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ؛ فَإِنَّهُ إِذَا كَانَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَعْلَمَ بِنَفْسِهِ وَبِغَيْرِهِ، وَكَانَ أَصْدَقَ قَوْلًا وَأَحْسَنَ حَدِيثًا، وَكَانَ رَسَلَهُ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ صَادِقِينَ فِي كُلِّ مَا يَخْبُرُونَ بِهِ عَنْهُ، مَعْصُومِينَ مِنَ الْكُذْبِ عَلَيْهِ وَالْإِخْبَارِ عَنْهُ بِمَا يَخَالِفُ الْوَاقِعَ؛ وَجِبَ التَّعْوِيلُ إِذَا فِي بَابِ الصِّفَاتِ نَفِيًّا وَإِثْبَاتًا عَلَى مَا قَالَهُ اللَّهُ وَقَالَهُ رَسُولُهُ الَّذِي هُوَ أَعْلَمُ خَلْقَهُ بِهِ، وَأَنْ لَا يُتْرَكَ ذَلِكَ إِلَى قَوْلِ مَنْ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذْبَ وَيَقُولُونَ عَلَيْهِ مَا لَا يَعْلَمُونَ.

وبيان ذلك أنَّ الكلامَ إمَّا تَقْصُرُ دَلَالَتُهُ عَلَى الْمَعْنَى الْمُرَادَةِ مِنْهُ لِأَحَدٍ ثَلَاثَةَ أَسْبَابٍ: إمَّا لِجَهْلِ الْمُتَكَلِّمِ وَعَدَمِ عِلْمِهِ بِمَا يَتَكَلَّمُ بِهِ، وَإمَّا لِعَدَمِ فَصَاحَتِهِ وَقُدْرَتِهِ عَلَى الْبَيَانِ، وَإمَّا لِكُذْبِهِ وَغُشِّهِ وَتَدْلِيْسِهِ. وَنُصُوصِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ بَرِيئَةً مِنْ هَذِهِ الْأُمُورِ الثَّلَاثَةِ مِنْ كُلِّ وَجْهِ، فَكَلَامُ اللَّهِ وَكَلَامُ رَسُولِهِ فِي غَايَةِ الْوُضُوحِ وَالْبَيَانِ؛ كَمَا أَنَّهُ الْمِثْلُ الْأَعْلَى فِي الصِّدْقِ وَالْمُطَابَقَةِ لِلْوَاقِعِ؛ لِصُدُورِهِ عَنْ كَمَالِ الْعِلْمِ بِالنَّسَبِ الْخَارِجِيَّةِ، وَهُوَ كَذَلِكَ صَادِرٌ عَنْ تَمَامِ النَّصْحِ، وَالشَّفَقَةِ، وَالْحِرْصِ عَلَى هِدَايَةِ الْخَلْقِ وَإِرْشَادِهِمْ.

[دلالة الكلام
على المعاني]

فقد اجتمعت له الأمور الثلاثة التي هي عناصر الدلالة والإفهام على أكمل وجه.

فالرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَعْلَمُ الْخَلْقِ بِمَا يَرِيدُ إِخْبَارَهُمْ بِهِ، وَهُوَ

أقدرهم على بيان ذلك والإفصاح عنه، وهو أحرصهم على هداية الخلق، وأشدهم إرادة لذلك، فلا يمكن أن يقع في كلامه شيء من النقص والقصور؛ بخلاف كلام غيره؛ فإنه لا يخلو من نقص في أحد هذه الأمور أو جميعها، فلا يصح أن يُعدَّل بكلامه كلام غيره؛ فضلاً عن أن يُعدَّل عنه إلى كلام غيره؛ فإنَّ هذا هو غاية الضلال، ومنتهى الخذلان.

(وَلِهَذَا قَالَ: ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعَزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ ١٨٠) وَسَلَّمٌ عَلَى

الْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨٢﴾ [الصفات: ١٨٠-١٨٢].

فَسَبَّحَ نَفْسَهُ عَمَّا وَصَفَهُ بِهِ الْمَخَالِفُونَ لِلرُّسُلِ، وَسَلَّمٌ عَلَى
الْمُرْسَلِينَ؛ لِسَلَامَةِ مَا قَالُوهُ مِنَ النَّقْصِ وَالْعَيْبِ).

قوله: ((وَلِهَذَا قَالَ...)) إلخ؛ تعليلٌ لما تقدَّم من كون كلام الله وكلام رسوله أكمل صدقًا، وأتمَّ بيانًا ونصحًا، وأبعد عن العيوب والآفات من كلام كل أحد.

[معنى التسبيح]

و((سُبْحَانَ))؛ اسم مصدر من التسبيح، الذي هو التنزيه والإبعاد عن السوء، وأصله من السبح، الذي هو السرعة والانطلاق والإبعاد، ومنه فرسٌ سبوح؛ إذا كانت شديدة العدو.

وإضافة الرب إلى العزة من إضافة الموصوف إلى صفته، وهو بدل من الرب قبله. فهو سبحانه ينزّه نفسه عما ينسبه إليه المشركون من اتخاذ الصَّاحِبَةِ والولد، وعن كل نقص وعيب، ثمَّ يسَلِّم على رسله عليهم الصلاة والسلام بعد ذلك؛ للإشارة إلى أنَّه كما يجب تنزيه الله عزَّ وجلَّ وإبعاده عن

كل شائبة نقص وعيب، فيجب اعتقاد سلامة الرسل في أقوالهم وأفعالهم من كل عيب كذلك، فلا يكذبون على الله، ولا يشركون به، ولا يعشُّون أمهم، ولا يقولون على الله إلا الحق.

قوله: **((وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ))**؛ ثناءً منه سبحانه على نفسه بماله من نعوت الكمال، وأوصاف الجلال، وحميد الفعال، وقد تقدم الكلام على معنى الحمد، فأغنى عن إعادته.

(وَهُوَ سُبْحَانَهُ قَدْ جَمَعَ فِيهَا وَصَفَ (وَسَمَّى) ^(١) بِهِ نَفْسَهُ بَيْنَ النَّفْيِ وَالْإِثْبَاتِ).

لَمَّا بَيَّنَّ فِيهَا سَبْقَ أَنَّ أَهْلَ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةَ يَصِفُونَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ، وَبِمَا وَصَفَهُ بِهِ رَسُولُهُ، وَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ كُلَّهُ إِثْبَاتًا وَلَا كُلَّهُ نَفْيًا؛ نَبَّهَ عَلَى ذَلِكَ بِقَوْلِهِ: **((وَهُوَ سُبْحَانَهُ قَدْ جَمَعَ...))** إلخ.

واعلم أنَّ كلاً من النفي والإثبات في الأسماء والصفات مجملٌ ومفصلٌ.

[الإجمال]

أمَّا الإجمال في النفي؛ فهو أن يُنْفَى عن الله عزَّ وجلَّ كلُّ ما يضاؤُ

[في النفي]

كماله من أنواع العيوب والنقائص؛ مثل قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١]، ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ

لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥]، ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ﴾

[الصفات: ١٥٩]، [المؤمنون: ٩١].

وَأَمَّا التفصيل في النفي؛ فهو أن يُنَزَّهَ اللهُ عن كل واحد من هذه العيوب والنقائص بخصوصه، فينَزَّهَ عن الوالد، والولد، والشريك، والصاحبة، والند، والضد، والجهل، والعجز، والضلال، والنسيان، والسُّنة، والنوم، والعبث، والباطل... إلخ.

[التفصيل

في النفي]

ولكن ليس في كتاب الله ولا في السنة نفي محض؛ فإنَّ النفي الصرف لا مدح فيه، وإِنَّمَا يُراد بكل نفيٍ فيهما إثبات ما يضاده من الكمال: فنفي الشريك والند؛ لإثبات كمال عظمته وتفردُه بصفات الكمال، ونفي العجز؛ لإثبات كمال قدرته، ونفي الجهل؛ لإثبات سعة علمه وإحاطته، ونفي الظلم؛ لإثبات كمال عدله، ونفي العبث؛ لإثبات كمال حكمته، ونفي السُّنة والنوم والموت؛ لإثبات كمال حياته وقِيُومِيَّتِهِ.. وهكذا.

ولهذا كان النَّفي في الكتاب والسنة إِنَّمَا يأتي مجملاً في أكثر أحواله؛ بخلاف الإثبات؛ فإنَّ التفصيل فيه أكثر من الإجمال؛ لأنَّه مقصود لذاته.

[الإجمال

في الإثبات]

وَأَمَّا الإجمال في الإثبات؛ فمثل إثبات الكمال المطلق، والحمد المطلق، والمجد المطلق، ونحو ذلك؛ كما يشير إليه مثل قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢]، ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ﴾ [النحل: ٦٠].

[التفصيل في

الإثبات]

وَأَمَّا التفصيل في الإثبات؛ فهو متناول لكل اسم أو صفة وردت في الكتاب والسنة، وهو من الكثرة بحيث لا يمكن لأحد أن يحصيه؛ فإنَّ منها ما اختص الله عزَّ وجلَّ بعلمه؛ كما قال عليه الصلاة والسلام:

((سبحانك لا نحصي ثناءً عليك أنت كما أثنيت على نفسك))^(١).

وفي حديث دعاء المكروب: ((أسألك بكل اسم هو لك؛ سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك أو علمته أحدًا من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك))^(٢).

(فَلَا عُدُولَ لِأَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ عَمَّا جَاءَ بِهِ الْمُرْسَلُونَ؛ فَإِنَّهُ الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ، صِرَاطُ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ).

[الصراط المستقيم] قوله: ((فلا عدول...)) إلخ؛ هذا مترتبٌ على ما تقدم من بيان أن ما جاء به الرسل عليهم الصلاة والسلام هو الحق الذي يجب اتباعه، ولا يصحُّ العدول عنه، وقد علل بأنه الصراط المستقيم، يعني الطريق السوي القاصد الذي لا عوج فيه ولا انحراف.

والصراط المستقيم لا يكون إلا واحدًا؛ من زاغ عنه أو انحرف وقع في طريقٍ من طرق الضلال والجور؛ كما قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ [الأنعام: ١٥٣]

(١) رواه مسلم (٤٨٦) عن عائشة مرفوعًا: ((اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ، وبِعَافَاتِكَ مِنْ عِقَابِكَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ لَا أَحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَيَّ نَفْسِكَ)).

(٢) رواه أحمد في ((المسند)) (٣٩١/١ و ٤٥٢)، والحاكم في ((المستدرک)) (٥٠٩/١)، وابن حبان في ((صحيحه))، وصححه ابن القيم في ((بدائع الفوائد)) (١٦٦/١) وفي ((الصواعق المرسله)) (٩١٣/٣)، وصحح إسناده أحمد شاكر في ((المسند)) (٢٦٦/٥)، وصححه الألباني في ((السلسلة الصحيحة)) (١٩٨).

والصراط المستقيم هو طريق الأمة الوسط، الواقع بين طرفي الإفراط والتفريط، ولهذا أمرنا الله عزَّ وجلَّ وعَلَّمنا أن نسأله أن يهدينا هذا الصراط المستقيم في كل ركعة من الصلاة؛ أي: يلهمنا ويوفقنا لسلوكه واتباعه، فإنه صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصدِّيقين والشهداء والصالحين وحَسُنَ أولئك رفيقًا.

[آيات الصفات]

﴿وَقَدْ دَخَلَ فِي هَذِهِ الْجُمْلَةِ مَا وَصَفَ اللَّهُ بِهِ نَفْسَهُ فِي سُورَةِ

الإِخْلَاصِ الَّتِي تَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ، حَيْثُ يَقُولُ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ

[سورة الإخلاص]

﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا

أَحَدٌ ﴿٤﴾﴾ [الإخلاص: ١-٤].

قوله: **﴿وَقَدْ دَخَلَ...﴾** إلخ؛ شروعٌ في إيراد النصوص من الكتاب

والسنة المتضمّنة لما يجب الإيمان به من الأسماء والصفات في النفي والإثبات.

وابتدأ بتلك السورة العظيمة؛ لأنها اشتملت من ذلك على ما لم

يشتمل عليه غيرها، ولهذا سُمِّيَتْ سُورَةُ الإِخْلَاصِ؛ لتجريدتها التوحيد من

شوائب الشرك والوثنية.

روى الإمام أحمد في ((مسنده)) عن أبي بن كعب رضي الله عنه في

سبب نزولها: أنَّ المشركين قالوا: يا محمد! انسب لنا ربك. فأَنْزَلَ اللهُ تبارك

وتعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾﴾ إِنْخ السورة^(١).

وقد ثبت في الصحيح أنَّها تعدل ثلث القرآن^(٢).

وقد اختلف العلماء في تأويل ذلك على أقوال؛ أقربها [ما نقله شيخ الإسلام عن أبي العباس]^(٣)، وحاصله أنَّ القرآن الكريم اشتمل على ثلاثة مقاصد أساسية:

أولها: الأوامر والنواهي المتضمنة للأحكام والشرائع العملية التي هي موضوع علم الفقه والأخلاق.

ثانيها: القصص والأخبار المتضمنة لأحوال الرسل عليهم الصلاة والسلام مع أممهم، وأنواع الهلاك التي حاقت بالمكذِّبين لهم، وأحوال الوعد

(١) رواه أحمد في «المسند» (٢١٢٥٧)، والترمذي (٣٣٦٤)، وابن أبي عاصم في «السنة» (٢٩٧/١)، والحاكم في «المستدرک» (٣٩٨٧) وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وصححه الذهبي».

ولكن ذكر الإمام البخاري في «التاريخ الأوسط» (١٩٧/٢) و«الصغير» (٢٥٥/٢) أنه مرسل، وفي «الكبير» (٢٤٥/١) ذكر له سندين: أحدهما مرسل والآخر فيه محمد بن ميسر، قال: «فيه اضطراب».

والحديث صححه المعلمي في «التنكيل» (٢٩٩/٢) وذكر أن له شاهداً من حديث جابر رضي الله عنه، وحسنه الألباني في «صحيح سنن الترمذي» (٢٦٨٠).

(٢) يشير إلى ما رواه البخاري (٥٠١٣) من حديث أبي سعيد الخدري، ومسلم (٨١١) و(٨١٢) من حديث أبي الدرداء وأبي هريرة رضي الله عنهم أجمعين.

(٣) في طبعة الجامعة الإسلامية: [ما نقله شيخ الإسلام أبو العباس]. والصواب ما هو مثبت هنا، وكذا في طبعة «الإفتاء»، وأبو العباس هو أبو العباس بن سريج. انظر: «مجموع الفتاوى» (١٠٣/١٧).

والوعيد، وتفاصيل الثواب والعقاب.

ثالثها: علم التوحيد، وما يجب على العباد من معرفة الله بأسمائه وصفاته، وهذا هو أشرف الثلاثة.

ولما كانت سورة الإخلاص قد تَضَمَّنَتْ أصول هذا العلم، واشتملت عليه إجمالاً؛ صحَّ أن يقال: إنَّها تعدل ثلث القرآن.

وأما كيف اشتملت هذه السورة على علوم التوحيد كلها، وتضمَّنت الأصول التي هي مجامع التوحيد العلمي الاعتقادي؟ فنقول:

[توحيد الإثبات]

إنَّ قوله تعالى: ﴿**اللَّهُ أَحَدٌ**﴾ دلَّت على نفي الشريك من كل وجهٍ: في الذات، وفي الصفات، وفي الأفعال؛ كما دلَّت على تفرُّده سبحانه بالعظمة والكمال والمجد والجلال والكبرياء، ولهذا لا يُطلق لفظ ﴿**أَحَدٌ**﴾ في الإثبات إلا على الله عزَّ وجلَّ، وهو أبلغ من واحد.

[معنى الصمد]

وقوله: ﴿**اللَّهُ الصَّمَدُ**﴾ قد فسَّرها ابن عباس رضي الله عنه بقوله: ((السَّيِّدُ الَّذِي كَمُلَ فِي سَوْدَدِهِ، وَالشَّرِيفُ الَّذِي كَمُلَ فِي شَرْفِهِ، وَالْعَظِيمُ الَّذِي كَمُلَ فِي عَظَمَتِهِ، وَالْحَلِيمُ الَّذِي كَمُلَ فِي حَلَمِهِ، وَالغَنِيُّ الَّذِي كَمُلَ فِي غِنَاهُ، وَالجَبَّارُ الَّذِي كَمُلَ فِي جَبْرَوْتِهِ، وَالْعَلِيمُ الَّذِي كَمُلَ فِي عِلْمِهِ، وَالْحَكِيمُ الَّذِي كَمُلَ فِي حِكْمَتِهِ، وَهُوَ الَّذِي كَمُلَ فِي أَنْوَاعِ الشَّرْفِ وَالسَّوْدَدِ، وَهُوَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، هَذِهِ صِفَتُهُ، لَا تَبْغِي إِلَّا لَهُ، لَيْسَ لَهُ

كفاءً، وليس كمثلها شيء))^(١).

وقد فُسِّر الصمد أيضًا بأنه الذي لا جوف له^(٢)، وبأنه الذي تصمد إليه الخليفة كلها وتقصده في جميع حاجاتها ومهماتها^(٣).

فإثبات الأحدية لله تضمّن نفي المشاركة والمماثلة.

وإثبات الصمديّة بكل معانيها المتقدمة تتضمن إثبات جميع تفاصيل الأسماء الحسنى والصفات العلى. وهذا هو توحيد الإثبات.

[توحيد التنزيه] وأمّا النوع الثاني - وهو توحيد التنزيه -؛ فيؤخذ من قوله تعالى: ﴿لَمْ

يَكِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٢﴾ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾﴾؛ كما يؤخذ

(١) رواه ابن جرير في «جامع البيان» (٧٣٦/٢٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (ص ٣٤١٩)، وأبو الشيخ في «العظمة» (٣٨٣/١)، كلهم من طريق علي ابن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنه؛ وعلي ابن أبي طلحة صدوق يخطيء، ولم يلق ابن عباس، وإنما أخذ تفسيره عن مجاهد، فروايته عنه منقطعة.

لكن نقل السيوطي في «الاتقان» (٢٣٧/٤) عن الحافظ ابن حجر قوله: «بعد أن عرفت الواسطة، وهو ثقة - يعني مجاهدًا - فلا ضير في ذلك». وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في «مجموع الفتاوى» (١٥٠/٨): «ثابت عن عبد الله بن أبي صالح عن معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة الوالبي، لكن يقال: إنه لم يسمع التفسير من ابن عباس، ولكن مثل هذا الكلام ثابت عن السلف».

(٢) صحّ ذلك عن: مجاهد، والحسن، والضحاك، وورد مرفوعًا، ولكن لا يصحّ. انظر: «العظمة» لأبي الشيخ (٣٧٩/١)، و«السنة» لابن أبي عاصم، ومعه «ظلال الجنّة» للألباني (رقم ٦٧٣، ٦٧٤، ٦٧٥، ٦٨٠، ٦٨٨، ٦٨٩).

(٣) صحّ ذلك عن إبراهيم النخعي. انظر: «السنة» لابن أبي عاصم (رقم ٦٨٧). وورد عن ابن عباس رضي الله عنهما بإسناد ضعيف. انظر «العظمة» (٣٨٠/١).

إجمالاً من قوله: ﴿اللَّهُ أَحَدٌ﴾؛ أي: لم يتفرّع عنه شيء، ولم يتفرّع هو عن شيء، وليس له مكافئ ولا مماثل ولا نظير.

فانظر كيف تضمّنت هذه السورة توحيد الاعتقاد والمعرفة، وما يجب إثباته للربّ تعالى من الأحديّة المنافية لمطلق المشاركة، والصمديّة المثبّته له جميع صفات الكمال الذي لا يلحقه نقصٌ بوجه من الوجوه، ونفي الولد والوالد الذي هو من لوازم غناه وصمديّته وأحديّته، ثمّ نفي الكفاء المتضمن لنفي التشبيه والتمثيل والنظير^(١)؟

فحقّق لسورة تضمّنت هذه المعارف كلها أن تعدل ثلث القرآن.

[آية الكرسي]

(وَمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ فِي أَعْظَمِ آيَةٍ فِي كِتَابِهِ؛ حَيْثُ يَقُولُ: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥] (٢).

روى مسلم في ((صحيحه)) عن أبي بن كعب أنّ النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سألَهُ: ((أي آية في كتاب الله أعظم؟)). قال: الله ورسوله أعلم. فردّدها مراراً، ثمّ قال أبيُّ: آية الكرسي. فوضع النبيّ يده على كتفه، وقال:

(١) كذا في المطبوع، والأولى أن يقال: ((الكفاء المتضمن لنفي التشبيه والمثيل والنظير)).

(٢) زاد في الأصل بعد الآية: ((ولهذا كان من قرأ هذه الآية في ليلةٍ لم يزل عليه من الله حافظٌ ولا يقربه شيطانٌ حتّى يُصبح)).

((ليهنك هذا العلم أبا المنذر))^(١).

وفي رواية عند أحمد: ((والذي نفسي بيده؛ إنَّ لها لسانًا وشفقتين تُقدَّس الملك عند ساق العرش))^(٢).

ولا غرو، فقد اشتملت هذه الآية العظيمة من أسماء الربِّ وصفاته على ما لم تشتمل عليه آية أخرى.

فقد أخبر الله فيها عن نفسه بأنَّه المتوحِّد في إلهيَّته، الذي لا تنبغي العبادة بجميع أنواعها وسائر صورها إلا له.

ثم أردف قضية التوحيد بما يشهد لها من ذكر خصائصه وصفاته الكاملة، فذكر أنَّه الحي الذي له كمال الحياة؛ لأنَّ حياته من لوازم ذاته، فهي أزليَّة أبدية، وكمال حياته يستلزم ثبوت جميع صفات الكمال الذاتية له، من العزَّة والقدرة والعلم والحكمة والسمع والبصر والإرادة والمشية وغيرها؛ إذ لا يتخلَّف شيء منها إلا لنقصٍ في الحياة، فالكمال في الحياة يتبعه الكمال في سائر الصفات اللازمة للحي.

[معنى القيوم] ثم قرن ذلك باسمه القيوم، ومعناه الذي قام بنفسه، واستغنى عن جميع خلقه غنىً مطلقاً لا تشوُّبه شائبةً حاججةً أصلاً؛ لأنَّه غنىً ذاتيُّ، وبه قامت الموجودات كلها، فهي فقيرة إليه فقرًا ذاتيًّا، بحيث لا تستغني عنه لحظة،

(١) رواه مسلم (٨١٠).

(٢) روى هذه الزيادة بإسناد صحيح: عبد بن حميد في «مسنده» (١٩٩/١) من طريق مسلم نفسه، كما رواها أحمد في «المسند» (١٤١/٥) (٢١٣١٥)، والطيالسي (٣١٢/١) (٥٥٢)، والبغوي في «شرح السنة» (٤٥٩/٤)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٣٢٣/٥).

فهو الذي ابتداءً إيجادها على هذا النحو من الإحكام والإتقان، وهو الذي يدبّر أمورها، ويمدها بكل ما تحتاج إليه في بقائها، وفي بلوغ الكمال الذي قدّره لها.

فهذا الاسم متضمّن لجميع صفات الكمال الفعلية، كما أنّ اسمه الحي متضمّن لجميع صفات الكمال الذاتية، ولهذا ورد أنّ الحي القيوم هما اسم الله الأعظم الذي إذا سئل به أعطى، وإذا دُعي به أجاب.

ثم أعقب ذلك بما يدلُّ على كمال حياته وقِيُومِيَّتِهِ، فقال: ﴿لَا تَأْخُذُهُ﴾؛ أي لا تغلبه ﴿سِنَةٌ﴾؛ أي نعاسٌ ﴿وَلَا نَوْمٌ﴾؛ فإنَّ ذلك ينافي القيومية؛ إذ النوم أخو الموت، ولهذا كان أهل الجنة لا ينامون.

ثم ذكر عموم ملكه لجميع العوالم العلوية والسُّفلية، وأنها جميعاً تحت قهره وسلطانه، فقال: ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾.

ثم أردف ذلك بما يدلُّ على تمام ملكه، وهو أنّ الشفاعة كلها له، فلا يشفع عنده أحدٌ إلا بإذنه.

وقد تضمّن هذا النفي والاستثناء أمرين:

[إثبات الشفاعة
الشرعية]

أحدهما: إثبات الشفاعة الصحيحة، وهي أنّها تقع بإذنه سبحانه لمن يرضى قوله وعمله.

[إبطال الشفاعة
الشركية]

والثاني: إبطال الشفاعة الشركية التي كان يعتقدونها المشركون لأصنامهم، وهي أنّها تشفع لهم بغير إذن الله ورضاه.

ثم ذكر سعة علمه وإحاطته، وأنه لا يخفى عليه شيء من الأمور المستقبلية والماضية.

وأما الخلق فيهم ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ﴾؛ قيل: يعني من علمه. وقيل: من علم أسمائه وصفاته؛ ﴿إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾ الله سبحانه أن يعلمهم إياه على السنة رسله، أو بغير ذلك من طرق البحث والنظر والاستنتاج والتجربة.

ثم ذكر ما يدل على عظيم ملكه، وواسع سلطانه، فأخبر أن كرسية قد وسع السماوات والأرض جميعاً.

[معنى الكرسي] والصحيح في الكرسي أنه غير العرش، وأنه موضع القدمين، وأنه في العرش كحلقة ملقاة في فلاة.

وأما ما أورده ابن كثير عن ابن عباس في تفسير الكرسي بالعلم؛ فإنه لا يصح^(١)، ويفضي إلى التكرار في الآية.

(١) لأنه من رواية جعفر بن أبي المغيرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس.

قال الدارمي في رده على بشر المريسي (٤١١/١): «ليس جعفر ممن يُعتمد على روايته، إذ قد خالفته الرواة الثقات المتقنون». وقال الذهبي في (الميزان) (٤١٧/١): «قال ابن مندة: ليس هو بالقوي في سعيد بن جبير. وقال عن سند هذه الرواية: لم يُتابع عليه». وقال أحمد شاکر في (عمدة التفسير) (١٦٢/٢): «إسناده جيد، ولكنه شاذٌّ بمرّة، مخالفٌ للثابت الصحيح عن ابن عباس». ثم علّق على رواية ابن عباس في تفسيره بأنه موضع القدمين، وقال: «وهذا هو الصحيح الثابت عن ابن عباس، وأما الرواية السابقة عنه بتأويل الكرسي بالعلم؛ فهي رواية شاذّة، لا يقوم عليها دليلٌ من كلام العرب، ولذلك رجّح =

ثم أخبر سبحانه بعد ذلك عن عظيم قدرته وكمال قوته بقوله: ﴿وَلَا يَتُودُهُ حِفْظُهُمَا﴾؛ أي: السموات والأرض وما فيهما.

وفسّر الشيخ رحمه الله ﴿وَلَا يَتُودُهُ﴾ ب: (يثقله ويكرّبه)، وهو من آده الأمر: إذا ثقل عليه.

ثم وصف نفسه سبحانه في ختام تلك الآية الكريمة بهذين الوصفين الجليلين؛ وهما: ﴿الْعَلِيُّ﴾، و ﴿الْعَظِيمُ﴾.

[أنواع العلو]

فالعلِيُّ: هو الذي له العلوُّ المطلق من جميع الوجوه:

علو الذات: وكونه فوق جميع المخلوقات مستويًا على عرشه.

وعلو القدر: إذ كان له كل صفة كمال، وله من تلك الصفة أعلاها وغايتها.

وعُلو القهر: إذ كان هو القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير.

وأما العظيم؛ فمعناه الموصوف بالعظمة، الذي لا شيء أعظم منه، ولا أجل، ولا أكبر، وله سبحانه التعظيم الكامل في قلوب أنبيائه وملائكته وأصفيائه.

(وَقَوْلُهُ سُبْحَانَهُ: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾)

(الحديد: ٣) (

= أبو منصور الأزهريُّ الرواية الصحيحة عن ابن عباس، وقال: ((وهذه رواية أتفق أهل العلم على صحتها، ومن روي عنه في الكرسي أنه العلم؛ فقد أبطل)). اهـ

قوله: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ﴾؛ الجملة هنا جاءت معرفة الطرفين؛ فهي تفيد اختصاصه سبحانه بهذه الأسماء الأربعة ومعانيها على ما يليق بجلاله وعظمته، فلا يُثَبَّتْ لغيره من ذلك شيء.

[معنى: الأول، والآخر، والظاهر، والباطن]

وقد اضطرت عبارات المتكلمين في تفسير هذه الأسماء، ولا داعي لهذه التفسيرات بعدما ورد تفسيرها عن المعصوم صلوات الله وسلامه عليه، فقد روى مسلم في ((صحيحه)) عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ إِذَا أَوَى إِلَى فِرَاشِهِ: ((اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ، وَرَبَّ الْأَرْضِ، رَبَّ كُلِّ شَيْءٍ، فَالِقَ الْحَبِّ وَالنَّوَى، مَنْزِلَ التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ؛ أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ كُلِّ ذِي شَرٍّ أَنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهِ، أَنْتَ الْأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْبَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ، اقْضِ عَنِّي الدَّيْنَ وَأَغْنِنِي مِنَ الْفَقْرِ))^(١).

فهذا تفسير واضح جامع يدل على كمال عظمته سبحانه، وأنه محيطٌ بالأشياء من كل وجه.

فالأول والآخر: بيان لإحاطته الزمانية.

والظاهر والباطن: بيان لإحاطته المكانية.

كما أنَّ اسمه الظاهر يدل على أنه العالی فوق جميع خلقه، فلا شيء منها فوقه.

(١) رواد مسلم (٢٧١٣)، ورواه أيضاً أبو داود والترمذي بألفاظ متقاربة.

فمدار هذه الأسماء الأربعة على الإحاطة، فأحاطت أَوْلَيْتُهُ وَاخْرَيْتُهُ بالأوائل والأواخر، وأحاطت ظاهِرَتُهُ وباطِنَتُهُ بكل ظاهرٍ وباطنٍ.

فاسمه الأول: دالٌّ على قَدَمِهِ وَأَزَلَّتِيهِ.

واسمه الآخر: دالٌّ على بَقَائِهِ وَأَبْدِيَّتِهِ.

واسمه الظاهر: دالٌّ على عِلْوِهِ وَعَظَمَتِهِ.

واسمه الباطن: دالٌّ على قَرْبِهِ وَمَعِيَّتِهِ.

ثم حُتِمَت الآية بما يفيد إحاطة علمه بكل شيء من الأمور الماضية والحاضرة والمستقبلية، ومن العالم العلوي والسفلي، ومن الواجبات والجائزات والمستحيلات، فلا يغيب عن علمه مثقال ذرّة في الأرض ولا في السماء.

فالآية كلها [في] ^(١) شأن إحاطة الرب سبحانه بجميع خلقه من كل وجه، وأنّ العوالم كلها في قبضة يده؛ كخردلة في يد العبد، لا يفوته منها شيء، وإِنَّمَا أتى بين هذه الصفات بالواو مع أنّها جارية على موصوف واحد؛ لزيادة التقرير والتأكيد؛ لأنّ الواو تقتضي تحقيق الوصف المتقدم وتقريره، وَحَسَنَ ذلك ليجئها بين أوصاف متقابلة قد يسبق إلى الوهم استبعاد الاتصال بها جميعاً؛ فإنّ الأُولِيَّة تنافي الآخرِيَّة في الظاهر، وكذلك الظاهرية والباطنية، فاندفع توهُم الإنكار بذلك التأكيد.

(١) ليست في الشرح الأصل، ولكن يقتضيها السياق.

(وَقَوْلُهُ سُبْحَانَهُ: ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ الَّذِي لَا يَمُوتُ ﴾ [الفرقان: ٥٨])^(١).

قوله: ﴿ وَتَوَكَّلْ ﴾... إلخ؛ هذه الجملة من الآيات ساقها المؤلف لإثبات بعض الأسماء والصفات.

[إثبات
اسم الحي]

فالآية الأولى فيها إثبات اسمه الحيّ، كما تضمّنت سلب الموت الذي هو ضد الحياة عنه، وقد قدّمنا أنّه سبحانه حيٌّ بحياة هي صفة له لازمة لذاته، فلا يعرض لها موت ولا زوال أصلاً، وأنّ حياته أكمل حياة وأتمها، فيستلزم ثبوته له ثبوت كلّ كمال يضاؤُ نفية كمال الحياة.

وأما الآيات الباقية؛ ففيها إثبات صفة العلم وما اشتقّ منها؛ ككونه عليمًا، ويعلم وأحاط بكل شيء علمًا... إلخ.

[إثبات
صفة العلم]

(وَقَوْلُهُ: ﴿ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾ [التحريم: ٢]، ﴿ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴾ [١] يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ﴾ [سبأ: ١-٢]، ﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظِلْمَتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ [الأنعام: ٥٩]، وَقَوْلُهُ: ﴿ وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ ﴾ [فصلت: ٤٧] [فاطر: ١١]، وَقَوْلُهُ: ﴿ لِنَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾ [الطلاق: ١٢].

والعلم صفة لله عزّ وجلّ، بما يدرك جميع المعلومات على ما هي به،

(١) في الأصل تقدم وتأخير بين هذه الآية والتي قبلها.

فلا يخفى عليه منها شيء؛ كما قدمنا.

وفيها إثبات اسمه الحكيم، وهو مأخوذٌ من الحكمة، ومعناه: الذي لا يقول ولا يفعل إلا الصواب، فلا يقع منه عبثٌ ولا باطلٌ، بل كل ما يخلقه أو يأمر به فهو تابعٌ لحكمته.

وقيل: هو من فعيل بمعنى مُفْعِل، ومعناه: المحكِّم للأشياء، من الإحكام؛ وهو الإتقان، فلا يقع في خلقه تفاوتٌ ولا فطورٌ، ولا يقع في تدبيره خللٌ أو اضطرابٌ.

وفيها كذلك إثبات اسمه الخبير، وهو من الخبرة؛ بمعنى كمال العلم، ووثوقه، والإحاطة بالأشياء على وجه التفصيل، ووصول علمه إلى ما خفي ودقٌّ من الحسيات والمعنويات.

وقد ذكر سبحانه في هذه الآيات بعض ما يتعلَّق به علمه؛ للدلالة على شموله وإحاطته بما لا تبلغه علوم خلقه:

فذكر أنه: ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِيحُ﴾؛ أي: يدخل ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ من حبٍّ وبذرٍ ومياه وحشرات ومعادن، ﴿وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا﴾ من زرعٍ وأشجارٍ وعيونٍ جاريةٍ ومعادن نافعة كذلك، ﴿وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ﴾ من ثلجٍ وأمطارٍ وصواعقٍ وملائكةٍ، ﴿وَمَا يَعْرَجُ﴾؛ أي: يصعد ﴿فِيهَا﴾ كذلك من ملائكةٍ وأعمالٍ وطيرٍ صوافٍ... إلى غير ذلك مما يعلمه جل شأنه.

وذكر فيها أيضاً أن ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ﴾،

ومفاتيح الغيب؛ قيل: خزائنه. وقيل: طرقه وأسبابه التي يتوصل بها إليه، جمع مِفْتاح؛ بكسر الميم، أو مفتاح؛ بحذف ياء مفاعيل.

وقد فسرها النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقوله: ((مفاتيح الغيب خمس لا يعلمهن إلا الله))^(١)، ثُمَّ تلا قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزِلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿٣٤﴾﴾ [لقمان: ٣٤].

وقد دلَّت الآيتان الأخيرتان على أنه سبحانه عالم بعلم هو صفة له، قائم بذاته؛ خلافاً للمعتزلة^(٢) الذين نفوا صفاته، فمنهم من قال: إنه عالم بذاته، وقادر بذاته.. إلخ، ومنهم من فسّر أسماءه بمعانٍ سلبية، فقال: عليم؛ معناه: لا يجهل. وقادر؛ معناه: لا يعجز.. إلخ.

[المعتزلة]

وهذه الآيات حجة عليهم، فقد أخبر فيها سبحانه عن إحاطة علمه بحمل كل أنثى ووضعها من حيث المعنى والكيف؛ كما أخبر عن عموم قدرته، وتعلقها بكل ممكن، وعن إحاطة علمه بجميع الأشياء.

(١) رواه البخاري (٤٧٧٨).

(٢) المعتزلة: هم في الصفات جهمية ينفونها، وفي القدر قدرية يقولون: أعمال العباد مخلوقة لهم، وينكرون رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة، ويوجبون على الله الثواب والعقاب والصلاح والأصلح، ويقولون بالعدل، والمنزلة بين المنزلتين، ويقدمون العقل على النقل، وهم أتباع وأصل بن عطاء الذي اعتزل مجلس الحسن البصري، وهم عشرون فرقة، وأصل معتقدتهم باقٍ إلى اليوم، متمثل بوجهه أو بأخر في كل من الشيعة والزيدية والإباضية، وفيمن يُسمَّون بالعقلانيين أو العصريين، ويلحق بهم من سُمُّوا زوراً بالتنويريين أو المستنيريين.

وما أحسن ما قاله الإمام عبد العزيز المكي^(١) في كتابه ((الحيدة)) لبشر المريسي^(٢) المعتزلي وهو يناظره في مسألة العلم: ((إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَمْ يَمْدَحْ فِي كِتَابِهِ [مَلَكًا مَقْرَّبًا وَلَا نَبِيًّا مَرْسَلًا]^(٣) وَلَا مُؤْمِنًا تَقِيًّا بِنَفْسِي الْجَهْلَ عَنْهُ؛ لِيَدُلَّ عَلَى إِثْبَاتِ الْعِلْمِ لَهُ، وَإِنَّمَا مَدَحَهُمْ بِإِثْبَاتِ الْعِلْمِ لَهُمْ، فَنفَى بِذَلِكَ الْجَهْلَ عَنْهُمْ... فَمَنْ أَثْبَتَ الْعِلْمَ نَفْسِي الْجَهْلَ، وَمَنْ نَفَى الْجَهْلَ لَمْ يَثْبِتِ الْعِلْمَ))^(٤).

والدليل العقلي على علمه تعالى أنه يستحيل إيجاد الأشياء مع الجهل؛ لأنَّ إيجاد الأشياء بإرادته، والإرادة تستلزم العلم بالمراد، ولهذا قال سبحانه: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾^(١٤) [الملك: ٤].

ولأنَّ المخلوقات فيها من الإحكام والإتقان وعجيب الصنعة ودقيق الخلقة ما يشهد بعلم الفاعل لها؛ لامتناع صدور ذلك عن غير علم. ولأنَّ من المخلوقات من هو عالم، والعلم صفة كمال، فلو لم يكن الله عالماً؛ لكان في المخلوقات من هو أكمل منه.

(١) هو عبد العزيز بن يحيى الكناني المكي الفقيه، كان من أهل العلم والفضل، تفقَّه على الشافعي وصاحبه، توفي سنة (٢٤٠هـ).

(٢) متكلم مناظر من موالي آل زيد بن الخطاب، من الداعين بخلق القرآن، وكان عالم الجهمية في عصره، مات سنة (٢١٨هـ).

(٣) كذا في طبعة الجامعة الإسلامية، وكتاب ((الحيدة)) نشر عبد العزيز آل الشيخ (ص ٣٢)، وفي طبعة الإفتاء بدون [مقرباً]، وفي كتاب ((الحيدة)) تحقيق الدكتور علي الفقيهي (ص ٤٦): [ملكاً ولا نبياً].

(٤) ((الحيدة)) (ص ٣٠) طبعة الجامعة الإسلامية، و(ص ٤٦) بتحقيق الفقيهي.

وكل علم في المخلوق إنما استفاده من خالقه، وواهب الكمال أحق به، وفاقد الشيء لا يعطيه.

[الفلاسفة] وأنكرت الفلاسفة^(١) علمه تعالى بالجزئيات، وقالوا: إنَّه يعلم الأشياء على وجه كليٍّ ثابتٍ، وحقيقة قولهم أنَّه لا يعلم شيئًا؛ فإنَّ كل ما في الخارج هو جزئي.

[القدرية] كما أنكر العُلَاة من القَدْرِيَّة^(٢) علمه تعالى بأفعال العباد حتى يعملوها؛ توهُمًا منهم أنَّ علمه بها يفضي إلى الجبر، وقولهم معلوم البطلان بالضرورة في جميع الأديان.

(وَقَوْلُهُ: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ [الذاريات: ٥٨])

قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ...﴾ إلخ؛ تَضَمَّنَتْ إثبات اسمه الرَّزَّاق، وهو مبالغة من الرزق، ومعناه: الذي يرزق عباده رزقًا بعد رزق في إكثار وسعة.

وكل ما وصل منه سبحانه من نفعٍ إلى عباده فهو رزق؛ مباحًا كان أو غير مباح، على معنى أنَّه قد جعله لهم قوتًا ومعاشًا؛ قال تعالى: ﴿وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ﴾ [١٠-١١]. وقال: ﴿وَفِي

(١) الفلاسفة: هم الذين ينكرون علم الله تعالى، وينكرون حشر الأجساد، ومذهبهم أن العالم قديم، وعلته مؤثرة بالإيجاب، وليست فاعلة بالاختيار.

(٢) القدرية: هم أتباع معبد الجُتَيْي، وغيلان الدمشقي، المنكرون للقدر، المكذبون بتقدير الله تعالى لأفعال العباد، الذين قالوا: إن علم الله مستأنفٌ ليس بقديم، وإن العباد هم الموجودون لأعمالهم. ويقولهم قالت المعتزلة.

السَّمَاءِ رِزْقِكُمْ وَمَا تُوْعَدُونَ ﴿٢٢﴾ [الذاريات: ٢٢].

إلا أنَّ الشيء إذا كان مأذوناً في تناوله؛ فهو حلالٌ حكماً، وإلا كان حراماً، وجميع ذلك رزقٌ.

وتعريف الجملة الاسمية والإتيان فيها بضمير الفصل؛ لإفادة اختصاصه سبحانه بإيصال الرزق إلى عباده.

وروي عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: ((أقرأني رسول الله صلى الله عليه وسلم: إني أنا الرزاق ذو القوة المتين))^(١).

وأما قوله: ﴿ذُو الْقُوَّةِ﴾؛ أي صاحب القوة؛ فهو بمعنى اسمه القوي؛ إلا [إثبات اسم القوي] أنه أبلغ في المعنى، فهو يدلُّ على أنَّ قُوَّتَهُ سبحانه [لا تتناقص فيهنَّ أو يفتُرُ]^(٢).

وأما ﴿الْمَتِينُ﴾؛ فهو اسم له من المتانة، وقد فسَّره ابن عباس بـ [إثبات اسم المتين] ((الشديد))^(٣).

(١) رواه أحمد في المسند (٣٧٤١)، والترمذي في ((السنن)) (٢٩٤٠)، وقال: ((حديث حسن صحيح))، وأبو داود في ((السنن)) (٣٩٩٥)، والنسائي في ((السنن الكبرى)) (٤٠٦/٤).
والحديث صحح إسناده أحمد شاکر في ((تحقيق المسند)) (٢٧٩/٥)، وصححه الألباني في ((صحيح سنن الترمذي)) (٢٣٤٣).

(٢) علَّق الشيخ عبد الرزاق عفيفي في طبعة الجامعة الإسلامية بقوله: ((هكذا بالأصل، والصواب أن يقال: [لا نقص فيها ولا فتور])). اهـ

(٣) رواه ابن جرير بسنده في تفسير الآية (٥٨) من سورة الذاريات، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس، وقد تقدم الكلام عن رواية علي عن ابن عباس.

﴿ وَقَوْلُهُ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

﴿ وَقَوْلُهُ: ﴿إِنَّ اللَّهَ نِعْمًا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [النساء: ٥٨])

قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ...﴾ إلخ؛ دلّ إثبات صفتي السمع والبصر له سبحانه بعد نفي المثل عنه، على أنه ليس المراد من نفي المثل نفي الصفات؛ كما يدعي ذلك المعطّلة، ويحتجون به باطلاً، بل المراد إثبات الصفات مع نفي مماثلتها لصفات المخلوقين.

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: ((قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ...﴾) إنّما قصد به نفي أن يكون معه شريك أو معبود يستحقّ العبادة والتعظيم؛ كما يفعله المشبهون والمشركون، ولم يقصد به نفي صفات: كماله، وعلوّه على خلقه، وتكلمه بكتبه، وتكلمه لرسله، ورؤية المؤمنين له جهره بأبصارهم كما ترى الشمس والقمر في الصحو...))^(١) اهـ.

ومعنى ﴿السَّمِيعُ﴾: المدرك لجميع الأصوات مهما خفتت، فهو يسمع السر والنجوى بسمع هو صفة لا يماثل أسمع خلقه^(٢).

[إثبات اسمي:
السمع، والبصير]

ومعنى ﴿الْبَصِيرُ﴾: المدرك لجميع المرئيات من الأشخاص والألوان مهما لطفت أو بعدت، فلا تؤثر على رؤيته الحواجز والأستار، وهو من فعيل بمعنى مُفْعِلٍ، وهو دالٌّ على ثبوت صفة البصر له سبحانه على الوجه

(١) «إغاثة اللهفان من مصابيد الشيطان» (٢/٢٣١).

(٢) (إن أراد به لا يماثله في مطلق السمع والإدراك فهذا خطأ، لأن المطلق الكلّي مشترك وهو إدراك المسموع، وإن أراد به لا يماثله فيما يختص به سمع الله من الإحاطة والشمول وانتفاء النقص والحدوث؛ فهذا حق، والأولى أن يقال: بسمع يليق به) (ابن عثيمين).

الذي يليق به.

روى أبو داود في ((سننه)) عن أبي هريرة رضي الله عنه أَنَّ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قرأ هذه الآية: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [النساء: ٥٨]، فوضع إبهامه على أذنه، والتي تليها على عينيه^(١).

ومعنى الحديث أَنَّهُ سبحانه يسمع بسمع، ويرى بعين، فهو حجة على بعض الأشاعرة^(٢) الذين يجعلون سمعه علمه بالمسموعات، وبصره علمه بالمبصرات، وهو تفسير خاطئ؛ فإنَّ الأعمى يعلم بوجود السماء ولا يراها، والأصم يعلم بوجود الأصوات ولا يسمعها.

(وقوله): ﴿وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾

[الكهف: ٣٩]، وقوله: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا

(١) رواه أبو داود (٤٧٢٨)، وابن حبان (٤٩٨/١) (٢٦٥)، والطبراني في ((المعجم الأوسط)) (١٣٢/٩) (٩٣٣٤).

قال الحافظ ابن حجر في ((الفتح)) (٣٧٣/١٣): «أخرجه أبو داود بسند قوي على شرط مسلم». ثم ذكر حديث عقبة بن عامر عند البيهقي: «سمعتُ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول على المنبر: ((إن رينا سميع بصير))، وأشار بيده إلى عينه». وقال الحافظ: «سنده حسن».

وفي صحيح البخاري (٧٤٠٧) من حديث عبدالله بن عمر رضي الله عنهما مرفوعاً: (إن الله ليس بأعور - وأشار بيده إلى عينه-).

(٢) الأشاعرة: هم أتباع أبي الحسن الأشعري؛ الذي كان معتزلياً، ثم ترك الاعتزال، واتخذ له مذهباً بين الاعتزال ومذهب أهل السنة والجماعة، ثم رجع وتاب، ووافق الإمام أحمد وأهل السنة والجماعة في معتقداتهم، وبقي بعض أتباعه إلى اليوم يحملون معتقده الثاني، وهم مرجئة في الإيمان، مؤولة في الصفات، أقرب فرق البدع إلى أهل السنة والجماعة.

يُرِيدُ ﴿٢٥٣﴾ [البقرة: ٢٥٣]، وَقَوْلُهُ: ﴿أُحِلَّتْ لَكُمْ بَيْمَةٌ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتَنَّى عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ﴿١﴾﴾ [المائدة: ١]، وَقَوْلُهُ: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ﴾ [الأنعام: ١٢٥] (

قوله: ﴿وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ...﴾ إلخ. هذه الآيات دلّت على إثبات صفتي الإرادة والمشیئة، والنصوص في ذلك لا تحصى كثرة.

والأشاعرة يثبتون إرادة واحدة قديمة تعلّقت في الأزل بكل المرادات، فيلزمهم تخلّف المراد عن الإرادة.

وأما المعتزلة؛ فعلى مذهبهم في نفي الصفات لا يثبتون صفة الإرادة، ويقولون: إنّه يريد بإرادة حادثة لا في محل، فيلزمهم قيام الصفة بنفسها، وهو من أبطل الباطل.

وأما أهل الحق؛ فيقولون: إنّ الإرادة على نوعين:

١- إرادة كونية ترادفها المشیئة، وهما تتعلّقان بكل ما يشاء الله فعله وإحداثه، فهو سبحانه إذا أراد شيئاً وشاءه؛ كان عقب إرادته له؛ كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢]. وفي الحديث الصحيح: ((ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن))^(١).

(١) جزء من حديث ضعيف؛ رواه أبو داود، (٥٠٧٥)، والنسائي في ((عمل اليوم والليلة)) (ص ١٤٠ رقم ١٢)، وابن السني من طريقه في ((عمل اليوم والليلة)) (ص ٢٥ رقم ٤٦). =

٢- وإرادة شرعية تتعلق بما يأمر الله به عباده مما يحبه ويرضاه، وهي المذكورة في مثل قوله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥].

ولا تلازم بين الإرادتين؛ بل قد تتعلّق كل منهما بما لا تتعلّق به الأخرى، فبينهما عمومٌ وخصوصٌ من وجه.

[الإرادة

الكونية والشرعية]

فالإرادة الكونية أعمُّ من جهة تعلّقها بما لا يحبُّه الله ويرضاه من الكفر والمعاصي، وأخصُّ من جهة أنّها لا تتعلّق بمثل إيمان الكافر وطاعة الفاسق. والإرادة الشرعية أعمُّ من جهة تعلّقها بكلِّ مأمور به واقعاً كان أو غير واقع، وأخصُّ من جهة أنّ الواقع بالإرادة الكونية قد يكون غير مأمور به. والحاصل أنّ الإرادتين قد تجتمعان معاً في مثل إيمان المؤمن، وطاعة المطيع.

وتنفرد الكونية في مثل كفر الكافر، ومعصية العاصي.

وتنفرد الشرعية في مثل إيمان الكافر، وطاعة العاصي.

وقوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ﴾ الآية؛ هذا من قول الله حكاية عن الرجل المؤمن لزميله الكافر صاحب الجنّتين؛ يعظه به أن يشكر نعمة

= والحديث ضعفه العراقي في تخريج الإحياء (٤١٧/١)، وقال الحافظ في «الفتوحات الربانية» (١٢١/٢): «(حديث غريب)». وضعفه الألباني في «ضعيف الجامع» (٤١٢١). لكنَّ معناه صحيحٌ حتّمًا.

الله عليه، ويردّها إلى مشيئة الله، ويرأ من حوله وقوته؛ فإنّه لا قوة إلا بالله.

وقوله: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَلُوا﴾ الآية؛ إخبار عمّا وقع بين أتباع الرسل من بعدهم: من التنازع، والتعادي بغياً بينهم وحسدًا، وأنّ ذلك إنّما كان بمشيئة الله عزّ وجلّ، ولو شاء عدم حصوله ما حصل، ولكنه شاءه فوقع.

وقوله: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ...﴾ إلخ؛ الآية تدل على أنّ كلّاً من الهداية والضلال بخلق الله عزّ وجلّ، فمن يرد هدايته أي: إلهامه وتوفيقه يشرح صدره للإسلام، بأن يقذف في قلبه نورًا، فيتسع له، وينبسط؛ كما ورد في الحديث، ومن يرد إضلاله وخذلانه يجعل صدره في غاية الضيق والحرج، فلا ينفذ إليه نور الإيمان، وشبّه ذلك بمن يصعد في السماء.

﴿وَقَوْلُهُ: ﴿وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ١٩٥]،
﴿وَأَقْسَطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [الحجرات: ٩]، ﴿فَمَا اسْتَقْتُمُوا
لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: ٧]، ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ
التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢]، ﴿وَقَوْلُهُ: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ
تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١]، ﴿وَقَوْلُهُ: ﴿مَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ
بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ [المائدة: ٥٤]، ﴿وَقَوْلُهُ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ
يُقْتُلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُئِنَّا مَرْضُوعٌ﴾ [الصف: ٤]﴾

[إثبات

صفة المحبة]

تضمّنت هذه الآيات إثبات أفعالٍ له تعالى ناشئة عن صفة المحبة، ومحبة الله عزّ وجلّ لبعض الأشخاص والأعمال والأخلاق صفة له قائمة به،

وهي من صفات الفعل الاختيارية التي تتعلق بمشيئته، فهو يحبُّ بعض الأشياء دون بعض على ما تقتضيه الحكمة البالغة.

وينفي الأشاعرة والمعتزلة صفة المحبة؛ بدعوى أنَّها توهم نقصًا؛ إذ المحبة في المخلوق معناها ميله إلى ما يناسبه أو يستلذه.

فأمَّا الأشاعرة؛ فيُرجعونها إلى صفة الإرادة، فيقولون: إنَّ محبة الله لعبده لا معنى لها إلا إرادته لإكرامه ومثوبته.

وكذلك يقولون في صفات الرضا والغضب والكرهية والسخط؛ كلها عندهم بمعنى إرادة الثواب والعقاب.

وأما المعتزلة؛ فلا تُهمِّم لا يثبتون إرادة قائمة به، فيفسرون المحبة بأنَّها نفس الثواب الواجب عندهم على الله لهؤلاء؛ بناء على مذهبهم في وجوب إثابة المطيع وعقاب العاصي.

وأما أهل الحق؛ فيثبتون المحبة صفة حقيقية لله عزَّ وجلَّ على ما يليق به، فلا تقتضي عندهم نقصًا ولا تشبيهًا.

كما يثبتون لازم تلك المحبة، وهي إرادته سبحانه إكرام من يحبه وإثابته^(١).

وليت شعري بماذا يجب النافون للمحبَّة عن مثل قوله عليه السلام في

(١) الأولى أن يقال: «كما يثبتون لازم تلك المحبة؛ وهي إكرام من يحبه وإثابته» حتى لا تفسَّر الصفة بصفة أخرى، فالإرادة صفة والإكرام صفة فلا يقال إرادة الإكرام، بل لازم المحبة إكرام من يحبه.

حديث أبي هريرة: ((إِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا؛ قَالَ لِجَبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِنِّي أَحَبُّ فُلَانًا فَأَحْبَبْهُ. قَالَ: فَيَقُولُ جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِأَهْلِ السَّمَاءِ: إِنَّ رَبَّكُمْ عَزَّ وَجَلَّ يَجِبُ فُلَانًا فَأَحْبُوهُ. قَالَ: فَيَحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، وَيُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الْأَرْضِ، وَإِذَا أَبْغَضَهُ فَمَثِيلَ ذَلِكَ))^(١)، رواه الشيخان!؛

وقوله تعالى في الآية الأولى: ﴿وَأَحْسِنُوا﴾^(٢) أمرٌ بالإحسان العام في كل شيء؛ لاسيما في النفقة المأمور بها قبل ذلك، والإحسان فيها يكون بالبدل وعدم الإمساك، أو بالتوسط بين التقتير والتبذير، وهو القوام الذي أمر الله به في سورة الفرقان^(٣).

[معنى الإحسان]

روى مسلم في ((صحيحه)) عن شداد بن أوس أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: ((إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ؛ فِإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقَتْلَةَ، وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذَّبْحَةَ، وَلِيَحَدَّ أَحَدَكُمْ شَفْرَتَهُ، وَلِيَرِحَ ذَبِيحَتَهُ))^(٤).

وأما قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ فهو تعليل للأمر بالإحسان، فإنهم

(١) رواه البخاري (٧٤٨٥)، ومسلم (٢٦٣٧).

(٢) (إن أراد أن الله تعالى أمر به بصيغة الأمر المعروفة فغير صحيح فإن الله لم يأمر به فيها، وإن أراد أن الله أمر به ضمناً ولازماً حيث أخبر أنه من صفات عباد الرحمن الذين أثنى عليهم ومدحهم، فهذا حق) (ابن عثيمين).

(٣) يشير إلى قوله تعالى في سورة الفرقان (٦٧): ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾.

(٤) رواه مسلم (١٩٥٥)، والترمذي، وأبو داود، والنسائي، وغيرهم.

إذا علموا أنّ الإحسان موجبٌ لمحَبَّته؛ سارعوا إلى امتثال الأمر به.

[معنى الإفراط]

وأما قوله في الآية الثانية: ﴿وَأَقْسَطُوا﴾؛ فهو أمرٌ بالإفراط، وهو العدل في الحكم بين الطائفتين المتنازعتين من المؤمنين، وهو من قَسَطَ؛ إذا جار، فالهمزة فيه للسلب، ومن أسمائه تعالى: المَقْسِطُ.

وفي الآية الحث على العدل وفضله، وأنَّه سبب لمحبة الله عزَّ وجلَّ.

وأما قوله تعالى: ﴿فَمَا اسْتَقْتُمُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ﴾؛ فمعناه: إذا كان بينكم وبين أحدٍ عهدٌ كهؤلاء الذين عاهدتموهم عند المسجد الحرام؛ فاستقيموا لهم على عهدهم مدة استقامتهم لكم، ف(ما) هنا مصدرية ظرفية.

ثم علَّل ذلك الأمر بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾؛ أي: يحبُّ الذين يتَّقون الله في كل شيء، ومنه عدم نقض العهود.

وأما قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ...﴾ إلخ؛ فهو إخبار من الله سبحانه وتعالى عن محبته لهذين الصنفين من عباده.

أما الأول: فهم التَّوَّابُونَ؛ أي: الذين يكثرُونَ التوبة والرجوع إلى الله عزَّ وجلَّ بالاستغفار مما أَلْمُؤُوا به على ما تقتضيه صيغة المبالغة، فهم بكثرة التوبة قد تطهَّروا من الأقدار والنجاسات المعنوية التي هي الذنوب والمعاصي.

وأما الثاني: فهم المتطهرون؛ الذين يبالغون في التطهر، وهو التنظيف بالوضوء أو بالغسل من الأحداث والنجاسات الحسية. وقيل: المراد

بالمطهرين هنا الذين يتنزهون من إتيان النساء في زمن الحيض أو في أدبارهن، والحمل على العموم أولى.

وأما قوله: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾؛ فقد روي عن الحسن في سبب نزولها أن قوماً ادَّعوا أنهم يحبون الله، فأنزل الله هذه الآية محنة لهم^(١).

وفي هذه الآية قد شرط الله لمحَبَّته اتباع نبيه صلى الله عليه وسلم، فلا ينال تلك المحبة؛ إلا من أحسن الاتباع والاستمساك بهديه عليه السلام.

[شرط
محبة الله]

(وقوله: ﴿وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ﴾ [البروج: ١٤]^(٢)، وقوله: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾، ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا﴾ [غافر: ٧]، ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٣]، ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: ١٥٦]، ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةُ﴾ [الأنعام: ٥٤]، ﴿وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الأحقاف: ٨] [يونس: ١٠٧]^(٣)، ﴿فَاللَّهُ خَيْرٌ حَفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّحِيمِينَ﴾ [يوسف: ٦٤])

[إثبات اسمي:

الغفور، والودود] قوله: ﴿وَهُوَ الْغَفُورُ...﴾ إلخ؛ تضمنت الآية إثبات اسمين من الأسماء

(١) رواه ابن أبي حاتم في «التفسير» رقم (٣٧٩)، وابن جرير موقوفاً على الحسن، وقال ابن جرير: «وأما ما روى الحسن في ذلك مما قد ذكرناه؛ فلا خبر به عندنا يصح». ثم رجَّح أنها نزلت في وفد نصارى نجران. انظر «تفسير الطبري»، تحقيق: شاکر، (٦/٣٢٢-٣٢٤).

(٢) ليست في الأصل.

(٣) في الأصل آية: ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾

الحسنى، وهما: الغفور، والودود.

أمَّا الأول: فهو مبالغة في الغفر، ومعناه الذي يكثر منه الستر على المذنبين من عباده، والتجاوز عن مؤاخذتهم.

وأصل الغفر: الستر، ومنه يقال: الصبغ أغفر للوسخ. ومنه: المغفر لسترة الرأس.

وأما الثاني: فهو من الودّ الذي هو خالص الحب وألطفه، وهو إمّا من فعول بمعنى فاعل، فيكون معناه: الكثير الود لأهل طاعته، والمتقرب إليهم بنصره لهم ومعونته. وإمّا من فعول بمعنى مفعول، فيكون معناه: المودود لكثرة إحسانه، المستحقُّ لأن يودّه خلقه فيعبده ويحمده.

وأما قوله: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ وما بعدها من الآيات؛ فقد تضمنت إثبات اسميه الرحمن والرحيم، وإثبات صفتي الرحمة والعلم.

[إثبات صفتي
الرحمة، والعلم]

وقد تقدم في تفسير ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ الكلام على هذين الاسمين، وبيان الفرق بينهما، وأنّ أولهما دالٌّ على صفة الذات والثاني دالٌّ على صفة الفعل.

وقد أنكرت الأشاعرة والمعتزلة صفة الرحمة بدعوى أنّها في المخلوق ضعفٌ وخوَرٌ وتألّم للمرحوم، وهذا من أقبح الجهل، فإنّ الرحمة إمّا تكون من الأقوياء للضعفاء، فلا تستلزم ضعفًا ولا خوَرًا؛ بل قد تكون مع غاية العزة والقدرة، فالإنسان القوي يرحم ولده الصغير وأبويه الكبيرين ومن هو أضعف منه، وأين الضعف والخور - وهما من أذم الصفات - من الرحمة

التي وصف الله نفسه بها، وأثنى على أوليائه المتصفين بها، وأمرهم أن يتواصوا بها^(١)!

وقوله: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ...﴾ إلخ؛ من كلام الله عزَّ وجلَّ حكاية عن حملة العرش والذين حوله، يتوسلون إلى الله عزَّ وجلَّ بربوبيته وسعة علمه ورحمته في دعائهم للمؤمنين، وهو من أحسن التوسلات التي يُرجى معها الإجابة.

ونصب قوله: ﴿رَحْمَةً وَعِلْمًا﴾ على التمييز المحوَّل عن الفاعل، والتقدير: وسعت رحمته وعلمك كل شيء. فرحمته سبحانه وسعت في الدنيا المؤمن والكافر والبر والفاجر، ولكنها يوم القيامة تكون خاصة بالمتقين؛ كما قال تعالى: ﴿فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾ [الأعراف: ١٥٦] الآية.

وقوله تعالى: ﴿كُتِبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام: ٥٤]؛ أي: أوجبها على نفسه تفضُّلاً وإحساناً، ولم يوجبها عليه أحد.

وفي حديث أبي هريرة في ((الصحيحين)): ((إِنَّ اللَّهَ لَمَّا خَلَقَ الْخَلْقَ كَتَبَ كِتَابًا، فَهُوَ عِنْدَهُ فَوْقَ الْعَرْشِ: إِنَّ رَحْمَتِي سَبَقَتْ - أَوْ تَسْبَقُ - غَضَبِي))^(٢).

[إنبات صفتي: الحافظ، والحفيظ] وأمَّا قوله: ﴿فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا﴾؛ فالحافظ والحفيظ مأخوذ من الحفظ،

(١) إن الله أمر بالتواصي بالمرحمة، فإن الذي في القرآن خير عن صفات من اقتحم العقبة والأمر مستفاد باللازم لا بصيغته المعروفة (ابن عثيمين).

(٢) رواه بألفاظ مختلفة: البخاري (٧٤٢٢)، (٧٥٥٤)، ومسلم (٢٧٥١).

وهو الصيانة، ومعناه: الذي يحفظ عباده بالحفظ العام، فييسر لهم أقواتهم، ويقيهم أسباب الهلاك والعطب، وكذلك يحفظ عليهم أعمالهم، ويحصي أقوالهم، ويحفظ أوليائه بالحفظ الخاص، فيعصمهم عن مواقعة الذنوب، ويجرسهم من مكاييد الشيطان، وعن كل ما يضرهم في دينهم ودنياهم. وانتصب ﴿حَفِظًا﴾ تمييزًا لـ ﴿خَيْرٌ﴾ الذي هو أفعال تفضيل.

[إثبات صفات:

الرضا، والغضب،

والسخط، والأسف،

والكره، والمقت]

﴿كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ (٣)

(قوله: ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ [المائدة: ١١٩]، و [التوبة: ١٠٠]، و [المجادلة: ٢٢]، و [البينة: ٨]، ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِدًا فَجَزَاءُ مَوْجِدٍ مِنْهُمُ خَالِدًا فِيهَا وَعَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النساء: ٩٣]، وقوله: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا آسَخَطَ اللَّهُ وَكَرَهُوا رِضْوَانَهُ﴾ [محمد: ٢٨]، ﴿فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ [الزخرف: ٥٥]، وقوله: ﴿وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ﴾ [التوبة: ٤٦]، وقوله: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ (٣) [الصف: ٣].)

قوله: ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ﴾ إلخ؛ تضمّنت هذه الآيات إثبات بعض صفات الفعل من الرضى لله، والغضب، واللعن، والكره، والسخط، والمقت، والأسف.

وهي عند أهل الحق صفات حقيقية لله عزّ وجلّ، على ما يليق به، ولا تشبه ما يتصف به المخلوق من ذلك، ولا يلزم منها ما يلزم في المخلوق.

فلا حجة للأشاعرة والمعتزلة على نفيها، ولكنهم ظنوا أنّ اتصاف الله عزّ وجلّ بها يلزمه أن تكون هذه الصفات فيه على نحو ما هي في المخلوق، وهذا الظنّ الذي ظنوه في ربهم أرداهم فأوقعهم في حمأة النفي والتعطيل.

والأشاعرة يُرجعون هذه الصفات كلها إلى الإرادة؛ كما علمت سابقاً، فالرضا عندهم إرادة الثواب، والغضب والسخط.. إلخ؛ إرادة العقاب.

وأما المعتزلة؛ فيرجعونها إلى نفس الثواب والعقاب.

وقوله سبحانه: ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ إخبارٌ عمّا يكون بينه وبين أوليائه من تبادل الرضا والمحبة.

أمّا رضاه عنهم؛ فهو أعظم وأجلّ من كل ما أعطوا من النعيم؛ كما قال سبحانه: ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [التوبة: ٧٢].

وأما رضاهم عنه؛ فهو رضا كل منهم بمنزلة مهما كان، وسروره بها؛ حتى يظن أنه لم يؤت أحداً خيراً ممّا أُوتي، وذلك في الجنة.

وأما قوله: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا﴾ الآية؛ فقد احترز بقوله: ﴿مُؤْمِنًا﴾ عن قتل الكافر، ويقوله: ﴿مُتَعَمِّدًا﴾ - أي: قاصداً لذلك، بأن يقصد من يعلمه آدمياً معصوماً، فيقتله بما يغلب على الظن موته به - عن القتل الخطأ.

وقوله: ﴿خَلِيدًا فِيهَا﴾؛ أي: مقيماً على جهة التأيد، وقيل الخلود:

المكث الطويل.

[معنى اللعن]

واللعن: هو الطرد والإبعاد عن رحمة الله، واللعين والملعون: من حَقَّت عليه اللعنة، أو دُعِيَ عليه بها.

وقد استشكل العلماء هذه الآيات من حيث إنَّها تدلُّ على أنَّ القاتل عمداً لا توبة له، وأنَّه مخلَّد في النَّار، وهذا معارضٌ لقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨].

وقد أجابوا عن ذلك بعدة أجوبة؛ منها:

- ١- أنَّ هذا الجزاء لمن كان مستحلاً قتل المؤمن عمداً^(١).
 - ٢- أنَّ هذا هو الجزاء الذي يستحقُّه لو جوزي، مع إمكان أن لا يجازى، بأن يتوب أو يعمل صالحاً يرجح بعمله السيئ.
 - ٣- أنَّ الآية واردة مورد التغليظ والزجر.
 - ٤- أنَّ المراد بالخلود المكث الطويل كما قدمنا.
- وقد ذهب ابن عباس وجماعة إلى أنَّ القاتل عمداً لا توبة له، حتى قال

(١) (ينبغي أن يعرف بأن الجواب الأول باطل، فإن مستحل قتل المؤمن عمداً كافر سواءً قتله أم لا، وأن الجواب الأخير فيه نظر! لأن المعروف أن الخلود المكث الدائم، ثم إن تصويره إمكان أن لا يجازى بأن يتوب أو يأتي بحسنات ماحية، فيه قصور لأن أسباب عدم المجازاة لا تنحصر فيما ذكره ولعل ما ذكره مثال لا حصر) (ابن عثيمين).

ابن عباس: ((إِنَّ هَذِهِ آيَةٌ مِنْ آخِرِ مَا نَزَلَ، وَلَمْ يَنْسَخْهَا شَيْءٌ))^(١).

والصحيح أَنَّ عَلَى الْقَاتِلِ حَقَّوًا ثَلَاثَةٌ: حَقًّا لِلَّهِ، وَحَقًّا لِلْوَرِثَةِ، وَحَقًّا لِلْقَتِيلِ..

فحق الله يسقط بالتوبة.

وحق الورثة يسقط بالاستيفاء في الدنيا أو العفو.

وَأَمَّا حَقُّ الْقَتِيلِ؛ فَلَا يَسْقُطُ حَتَّى يَجْتَمِعَ بِقَاتِلِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَيَأْتِي رَأْسَهُ فِي يَدِهِ، وَيَقُولُ: يَا رَبِّ! سَلْ هَذَا فِيمَ قَتَلَنِي؟

وَأَمَّا قَوْلُهُ: ﴿فَلَمَّا ءَاسَفُونَا..﴾ إلخ؛ فَالْأَسْفُ يَسْتَعْمَلُ بِمَعْنَى شِدَّةِ الْحُزَنِ، وَبِمَعْنَى شِدَّةِ الْغَضَبِ وَالسَّخَطِ، وَهُوَ الْمُرَادُ فِي الْآيَةِ. [معنى الأسف والانتقام]

والانتقام: المجازاة بالعقوبة، مأخوذ من النعمة، وهي شدة الكراهة والسخط.

﴿وَقَوْلُهُ: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ﴾ [البقرة: ٢١٠]، ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ﴾ [الأنعام: ١٥٨]، ﴿كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿١١﴾ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا

(١) رواه البخاري (٤٧٦٣)، ومسلم (٣٠٢٣). وانظر إن شئت كتاب (تفسير ابن عباس ومروياته في التفسير من كتب السنة) (١/٢٥٩-٢٦٤) للدكتور عبدالعزيز الحميدي، ففيه مبحث لطيف عن هذه المسألة.

صَفَاءً ﴿٢٣﴾ [الفجر: ٢١-٢٢]، ﴿وَيَوْمَ تَشْقَى السَّمَاءُ بِالْغَمِّمْ وَزِلَ الْمَلَكُوتُ
تَنْزِيلًا ﴿٢٥﴾ [الفرقان: ٢٥].

قوله: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ...﴾ في هذه الآيات إثبات صفتين من صفات الفعل له سبحانه، وهما صفتا الإتيان والمجيء، والذي عليه أهل السُّنَّة والجماعة الإيمان بذلك على حقيقته، والابتعاد عن التأويل الذي هو في الحقيقة إلحادٌ وتعطيلٌ.

ولعلَّ من المناسب أن ننقل إلى القارئ هنا ما كتبه حامل لواء التجهُم والتعطيل في هذا العصر، وهو المدعو بزاهد الكوثري^(١)؛ قال في حاشيته على كتاب ((الأسماء والصفات)) للبيهقي^(٢) ما نصه: ((قال الزمخشري^(٣) ما معناه: إنَّ الله يأتي بعذابٍ في الغمام الذي يُنتظرُ منه الرحمة، فيكون مجيء العذاب من حيث تُنتظر الرحمة أفضح وأهول. وقال إمام الحرمين في معنى الباء كما سبق. وقال الفخر الرازي: أن يأتيهم أمر الله)). اهـ

فأنت ترى من نقل هذا الرجل عن أسلافه في التعطيل مدى اضطرابهم في التخريج والتأويل.

(١) هو محمد زاهد بن الحسن بن علي الكوثري، جركسي الأصل، فقيه حنفي متعصب، جهمي المعتقد، حاقد على أهل السُّنَّة، كتبه تطفح بسبهم وشتمهم، ولد سنة (١٢٩٦هـ)، وتوفي سنة (١٣٧١هـ).

(٢) (ص: ٥٦٣).

(٣) هو أبو القاسم، محمود بن عمر بن محمد الخوارزمي الزمخشري، مفسِّر، لغويٌّ، معتزليٌّ، صاحب ((الكشاف)) في التفسير، و((الفائق)) في غريب الحديث، توفي سنة (٥٣٨هـ).

على أن الآيات صريحة في باجها، لا تقبل شيئاً من تلك التأويلات.
 فالآية الأولى تتوعّد هؤلاء المصيرين على كفرهم وعنادهم واتباعهم
 للشيطان بأنهم ما ينتظرون إلا أن يأتيهم الله عزّ وجلّ في ظللٍ من الغمام لفصل
 القضاء بينهم، وذلك يوم القيامة، ولهذا قال بعد ذلك: ﴿وَقُضِيَ الْأَمْرُ﴾
 والآية الثانية أشد صراحة؛ إذ لا يمكن تأويل الإتيان فيها بأنه إتيان
 الأمر أو العذاب؛ لأنّه ردّد فيها بين إتيان الملائكة وإتيان الرب، وإتيان
 بعض آيات الرب سبحانه.

وقوله في الآية التي بعدها: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ لا يمكن
 حملها على مجيء العذاب؛ لأنّ المراد مجيئه سبحانه يوم القيامة لفصل
 القضاء، والملائكة صفوف؛ إجلالاً وتعظيمًا له، وعند مجيئه تنشق السماء
 بالغمام؛ كما أفادته الآية الأخيرة.

وهو سبحانه يجيء ويأتي وينزل ويدنو وهو فوق عرشه بائن من خلقه.
 فهذه كلها أفعال له سبحانه على الحقيقة، ودعوى المجاز تعطيل له
 عن فعله، واعتقاد أنّ ذلك المجيء والإتيان من جنس مجيء المخلوقين
 وإتيانهم نزوعٌ إلى التشبيه يفضي إلى الإنكار والتعطيل.

﴿وقوله: ﴿وَبَقِيَ وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَلِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٧]،

[إثبات
 صفة الوجه]

﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص: ٨٨].

قوله: ﴿وَبَقِيَ وَجْهَ رَبِّكَ﴾ إلخ، تضمّنت هاتان الآيتان إثبات صفة

الوجه لله عزَّ وجلَّ.

والنصوص في إثبات الوجه من الكتاب والسنة لا تُحصى كثرةً، وكلها تنفي تأويل المعطلة الذين يفسرون الوجه بالجهة أو الثواب أو الذات، والذي عليه أهل الحق أنَّ الوجه صفةٌ غيرُ الذات، ولا يقتضي إثباته كونه تعالى مركبًا من أعضاء، كما يقوله المجسِّمة، بل هو صفة لله على ما يليق به، فلا يشبه وجهًا ولا يشبهه وجه.

واستدلَّت المعطلة بهاتين الآيتين على أنَّ المراد بالوجه الذات؛ إذ لا خصوص للوجه في البقاء وعدم الهلاك.

ونحن نعارض هذا الاستدلال بأنه لو لم يكن لله عزَّ وجلَّ وجهٌ على الحقيقة لما جاء استعمال هذا اللفظ في معنى الذات؛ فإنَّ اللفظ الموضوع لمعنى لا يمكن أن يستعمل في معنى آخر إلا إذا كان المعنى الأصلي ثابتًا للموصوف، حتى يمكن للذهن أن ينتقل من الملزوم إلى لازمه.

على أنه يمكن دفع مجازهم بطريق آخر؛ فيقال: إنَّه أسند البقاء إلى الوجه، ويلزم منه بقاء الذات؛ بدلًا من أن يقال: أطلق الوجه وأراد الذات.

وقد ذكر البيهقي نقلًا عن الخطابي أنه تعالى لما أضاف الوجه إلى الذات، وأضاف النعت إلى الوجه، فقال: ﴿وَيَبْقَى وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَلِ وَالْإِكْرَامِ﴾؛ دلَّ على أنَّ ذكر الوجه [ليس بصفة] ^(١)، وأنَّ قوله: ﴿ذُو الْجَلَلِ وَالْإِكْرَامِ﴾ صفةٌ للوجه، والوجه صفةٌ للذات.

(١) كذا في المطبوع، والصواب: [ليس بصفة].

وكيف يمكن تأويل الوجه بالذات أو غيرها في مثل قوله عليه السلام في حديث الطائف: ((أعوذُ بنورِ وجهك الذي أشرقت له الظلمات...)) إلخ^(١)، وقوله فيما رواه أبو موسى الأشعري: ((حجابه النور أو النار، لو كشفه لأحرقت سُبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه))^(٢)!

(وقوله: ﴿ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتَ بِيَدَيَّ ﴾ [ص: ٧٥]، وَقَالَتْ

الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُوبَةٌ غَلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ ﴾

[المائدة: ٦٤])

[إثبات
صفة اليدين]

قوله: ﴿ مَا مَنَعَكَ ﴾ إلخ؛ تَضَمَّنَتْ هاتان الآيتان إثبات اليدين صفة حقيقية له سبحانه على ما يليق به، فهو في الآية الأولى يوبخ إبليس على امتناعه عن السجود لآدم الذي خلقه بيديه.

ولا يمكن حمل اليدين هنا على القدرة؛ فَإِنَّ الأشياء جميعًا - حتى إبليس - خلقها الله بقدرته، فلا يبقى لآدم خصوصية يتميز بها. وفي حديث عبد الله بن عمرو^(٣): ((إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ خَلَقَ ثَلَاثَةَ أَشْيَاءَ

(١) رواه ابن عدي (١١١/٦)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١٥٢/٤٩). من حديث عبد الله بن جعفر رضي الله عنهما.

قال ابن عدي: (لم نسمع أن أحداً حدث بهذا الحديث غير أبي صالح الراسبي)، وضعفه الألباني في «سلسلة الأحاديث الضعيفة» (٢٩٣٣).

(٢) رواه مسلم (١٧٩). وقيل: معنى: «سُبحات وجهه»: نوره وجلاله.

(٣) كذا في أصل الشرح، والصواب: عبدالله بن عمر رضي الله عنهما.

بيده: خلق آدم بيده، وكتب التوراة بيده، وغرس جنة عدن بيده^(١).

فتخصيص هذه الثلاثة بالذكر مع مشاركتها لبقية المخلوقات في وقوعها بالقدرة دالٌّ على اختصاصها بأمر زائد.

وأيضاً؛ فلفظ اليدين بالثنوية لم يُعرف استعماله إلا في اليد الحقيقية، ولم يرد قط بمعنى القدرة أو النعمة؛ فإنه لا يسوغ أن يقال: خلقه الله بقدرتين أو بنعمتين. على أنه لا يجوز إطلاق اليدين بمعنى النعمة أو القدرة أو غيرها إلا في حق من اتصف باليدين على الحقيقة، ولذلك لا يقال: للريح يد، ولا للماء يد.

وأما احتجاج المعطلة بأنَّ اليد قد أفردت في بعض الآيات، وجاءت بلفظ الجمع في بعضها؛ فلا دليل فيه؛ فإنَّ ما يصنع بالاثنين قد يُنسب إلى الواحد؛ تقول: رأيت بعيني، وسمعت بأذني، والمراد: عياني، وأذناي. وكذلك الجمع يأتي بمعنى المثني أحياناً؛ كقوله تعالى: ﴿إِنْ تُؤْتَوْنَ إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ [التحریم: ٤]، والمراد: قلبكما.

وكيف يتأتى حملُ اليد على القدرة أو النعمة؛ مع ما ورد من إثبات

(١) رواه الدارقطني في «الصفات» (ص ٤٥)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (ص ٤٠٣)، وابن أبي الدنيا في «صفة الجنَّة» (٤١)، وأبو الشيخ في «العظمة» (١٥٥٥/٥)؛ من حديث الحارث بن نوفل مرسلًا. وثبت موقوفًا على ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال: «خلق الله أربعة أشياء بيده: العرش، والقلم، وآدم، وجنة عدن. ثمَّ قال لسائر الخلق: كن: فكان». جود إسناده الذهبي في «العلو»، وقال الألباني في «مختصر العلو» (ص ١٠٥): «سنده صحيح على شرط مسلم».

الكفّ والأصابع واليمين والشمال والقبض والبسط وغير ذلك مما لا يكون إلا لليد الحقيقيّة^(١)!

وفي الآية الثانية يحكي الله سبحانه مقالة اليهود قبّحهم الله في رهم، ووصفهم إياه - حاشاه - بأنّ يده مغلولة؛ أي: ممسكة عن الإنفاق.

ثم أثبت لنفسه سبحانه عكس ما قالوا، وهو أنّ يديه مبسوطتان بالعطاء؛ ينفق كيف يشاء؛ كما جاء في الحديث: ((إنّ يمين الله مألَى سحَاء الليل والنهار؛ لا تغيضها نفقة))^(٢).

(١) أقول إثبات الكف والأصابع واليمين والقبض والبسط كل ذلك وارد، وأما الشمال فقد قال الحافظ البيهقي: وقد ورد ذكر الشمال لله تعالى من طريقتين في أحدهما جعفر بن الزبير وفي الآخر يزيد الرقاشي وهما متروكان، قال: وكيف يصح ذلك عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقد صح عنه أنه سمى كلتا يديه يميناً وكأن من قال ذلك أرسله من لفظه على ما وقع له أو على عادة العرب من ذكر الشمال في مقابلة اليمين، وقال الخطابي: ليس فيما يضاف إلى الله من صفة اليدين شمال. وقال محمد بن خزيمة في كتابه ((السُّنَّة)) مذهبا مذهب أهل الآثار ومتبعي السنن إلى أن قال: وكلتا يديه يمين لا شمال فيهما أ هـ. ملخصاً من شرح السفاريني (ص ٢٣٤ ج ١) الطبعة الأخيرة. قلت: وقد ورد ذكر الشمال في صحيح مسلم من حديث ابن عمر مرفوعاً وفي إسناد عمر بن حمزة قال أحمد: أحاديثه مناكير، وقال النسائي: ضعيف، وذكره ابن حبان في الثقات). (ابن عثيمين)

قلت: انظر المسألة بشيء من التفصيل في كتاب ((صفات الله الواردة في الكتاب والسنة)) (ص ٤١٩) الطبعة الرابعة.

(٢) رواه البخاري (٤٦٨٤)، و (٧٤١١)، واللفظ له، ومسلم (٩٩٣): ((يمين الله مألَى لا يغيضها نفقة؛ سحَاء الليل والنهار، أرايتم ما أنفق مذ خلق السموات والأرض؟ فإنه لم يغيض ما في يمينه)) قال النووي: ((السحُ: الصبُّ، الدائم)).

ترى لو لم يكن لله يدان على الحقيقة؛ هل كان يحسن هذا التعبير
ببسط اليدين؟!!

ألا شأهت وُجوه المتأولين!!

[إثبات

صفة العين]

(وقوله: ﴿وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [الطور: ٤٨]، ﴿وَحَمَلْنَاهُ عَلَىٰ ذَاتِ الْأَوْجِ وَدُسْرٍ ۗ ۝١٣ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءَ لِمَن كَانَ كُفْرًا ۝١٤﴾ [القمر: ١٣-١٤]، ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي﴾ [طه: ٣٩].

قوله: ﴿وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾... إلخ؛ في هذه الآيات الثلاث يثبت الله سبحانه لنفسه عيناً يرى بها جميع المرئيات، وهي صفة حقيقية لله عز وجل على ما يليق به، فلا يقتضي إثباتها كونها جارحة مركبة من شحم وعصب وغيرهما^(١).

وتفسير المعطلة لها بالرؤية أو بالحفظ والرعاية نفياً وتعطيلاً.

وأما أفرادها في بعض النصوص وجمعها في البعض الآخر؛ فلا حجة لهم

(١) (اعلم أن المؤلف رحمه الله نفى أن يكون مقتضى إثباتها جارحة مقيدة بكونها مركبة، أي فالنفي متسلط على جارحة مركبة من شحم وعصب إلخ، أما الجارحة المطلقة فهذه لا ينبغي إثباتها لله ولا فيها إذ قد يراد بالجارحة ما يترتب عليها مقتضاها وأثرها المختص بها مثل إدراك المرئي بالعين وحصول القبض والبسط باليد ونحو ذلك فيتوصل بنفي الجارحة إلى نفي حقيقة الصفة، والحاصل أن إطلاق القول في الجارحة نفياً وإثباتاً لا يصح بل الواجب التفصيل، فإن أريد بالجارحة ما تركب من أجزاء وافتقر بعضها إلى بعض في التركيب فهذا مستحيل يجب نفيه في حق الله تعالى، وإن أريد بالجارحة حقيقة الصفة كالعين المدركة للمرئيات واليد القابضة المبسوطة ونحو ذلك فهذا حق يجب إثباته في حق الله تعالى) (ابن عثيمين).

فيه على نفيها؛ فإنَّ لغة العرب تتسع لذلك، فقد يعبرَ فيها عن الاثنين بلفظ الجمع، ويقوم فيها الواحد مقام الاثنين كما قدَّمنا في اليدين.

على أنَّه لا يمكن استعمال لفظ العين في شيء من هذه المعاني التي ذكروها إلا بالنسبة لمن له عين حقيقية.

فهل يريد هؤلاء المعطلَّة أن يقولوا: إنَّ الله يتمدَّح بما ليس فيه، فيثبت لنفسه عينًا وهو عاطلٌ عنها؟! وهل يريدون أن يقولوا: إنَّ رؤيته للأشياء لا تقع بصفة خاصة بها؛ بل هو يراها بذاته كلها - كما تقول المعتزلة: إنَّه قادر بذاته، يريد بذاته... إلخ؟!!

وفي الآية الأولى يأمر الله نبيَّه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالصبر لحكمه، والاحتمال لما يلقاه من أذى قومه، ويعلِّل ذلك الأمر بأنَّه بمرأى منه، وفي كلاءته وحفظه.

وفي الآية الثانية يخبر الله عزَّ وجلَّ عن نبيِّه نوحٍ عليه السلام أنَّه لما كذَّبه قومه، وحقَّت عليهم كلمة العذاب، وأخذهم الله بالطوفان؛ حمله هو ومن معه من المؤمنين على سفينة ذات ألواحٍ عظيمة من الخشب ودُسُرٍ؛ أي: مسامير، جمع دِسَار، تُشَدُّ بها الألواح، وأنها كانت تجري بعين الله وحراسته.

وفي الآية الثالثة خطابٌ من الله لنبيِّه موسى عليه السلام بأنَّه ألقى عليه محبَّةً منه؛ يعني: أحبه هو سبحانه وحبَّبه إلى خلقه، وأنَّه صنعه على عينه، وربَّاه تربية استعد بها للقيام بما حمله من رسالة إلى فرعون وقومه.

(وَقَوْلُهُ: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَدِّدُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكَى إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ

يَسْمَعُ تَحَاوَرُكُمْ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿١﴾ [المجادلة: ١]، وَقَوْلُهُ: ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾ [آل عمران: ١٨١]، وَقَوْلُهُ: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَىٰ وَرُسُلْنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [الزخرف: ٨٠]، ﴿إِنِّي مَعَكُمْ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾﴾ [طه: ٤٦]، ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ ﴿١٤﴾﴾ [العلق: ١٤]، ﴿الَّذِي يَرِيكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٣٨﴾ وَتَقْبَلَكُ فِي السُّجُودِ ﴿٣٩﴾ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٤٠﴾﴾ [الشعراء: ٢١٨، ٢١٩، ٢٢٠]، ﴿وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسِيرَیَ اللَّهِ عَمَلَكُمْ وَرَسُولَهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ط﴾ [التوبة: ١٠٥].

قوله: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ...﴾ إلخ؛ هذه الآيات ساقها المؤلف لإثبات

صفات السمع والبصر والرؤية.

[إثبات صفة
السمع، والبصر،
والرؤية]

أمَّا السمع؛ فقد عبّرت عنه الآيات بكل صيغ الاشتقاق، وهي: سَمِعَ، وَيَسْمَعُ، وَسَمِيعٌ، وَنَسْمَعُ، وَأَسْمَعُ، فهو صفة حقيقية لله، يدرك بها الأصوات؛ كما قدمنا.

وأمَّا البصر؛ فهو الصفة التي يدرك بها الأشخاص والألوان، والرؤية لازمة له، وقد جاء في حديث أبي موسى: ((يا أيها الناس! ازْعَمُوا عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ؛ إِنَّكُمْ لَا تَدْعُونَ أَصَمًّا وَلَا غَائِبًا، وَلَكِنْ تَدْعُونَ سَمِيعًا بَصِيرًا، إِنَّ الَّذِي تَدْعُونَ أَقْرَبَ إِلَىٰ أَحَدِكُمْ مِنْ عُنُقِ رَاحِلَتِهِ))^(١).

وكلُّ من السمع والبصر صفة كمال، وقد عاب الله على المشركين

(١) رواه بألفاظ متقاربة: البخاري (٦٣٨٤)، ومسلم (٢٧٠٤).

عبادتهم ما لا يسمع ولا يبصر.

وقد نزلت الأولى في شأن خولة بنت ثعلبة حين ظاهر منها زوجها، فجاءت تشكو إلى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وتجاوزُهُ، وهو يقول لها: ((ما أراك إلا قد حرمت عليه))^(١).

أخرج البخاري في ((صحيحه)) عن عروة عن عائشة رضي الله عنها؛ قالت: ((الحمد لله الذي وسع سمعُهُ الأصوات؛ لقد جاءت المجادلة تشكو إلى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأنا في ناحيةٍ من البيتِ ما أسمع ما تقول، فأنزل الله عزَّ وجلَّ: ﴿قَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا...﴾ (الآيات))^(٢).

وأما الآية الثانية؛ فقد نزلت في فنحاص اليهودي الخبيث، حين قال لأبي بكر رضي الله عنه لما دعاه إلى الإسلام: والله يا أبا بكر ما بنا إلى الله من حاجة من فقر، وإنه إلينا لفقير، ولو كان غنياً ما استقرضنا^(٣)!

(١) روي مرسلًا، وانظر الذي بعده.

(٢) رواه البخاري (١١٧/٩) تعليقًا بصيغة الجزم، ووصله النسائي (٣٤٦٠)، ووصله من طريقه الحافظ في ((التعليق)) (٣٣٩/٥) وصحَّحه، وأحمد في ((المسند)) (٤٦/٦)، وابن ماجه، والحاكم في ((المستدرک))، وفيه: ((قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لخولة: ما أراك إلا قد حرمت عليه)).

وانظر: ((صحيح سنن النسائي)) (٣٢٣٧).

(٣) (إسناده ضعيف). رواه ابن جرير بسنده في ((التفسير)) (٨٣٠٠، ٨٣٠١)، وفيه محمد بن أبي محمد الأنصاري مولى زيد بن ثابت، ذكره البخاري في ((التاريخ الكبير)) ولم يذكر فيه =

وأما الآية الثالثة؛ فـ(أم) بمعنى (بل)، والهمزة للاستفهام، فهي (أم) المنقطعة، والاستفهام انكاريٌّ يتضمَّن معنى التوبيخ، والمعنى: بل أیظنُّ هؤلاء في تخفيهم واستتارهم أنا لا نسمع سرهم ونجواهم؛ بلى نسمع ذلك، وحفظتنا لديهم يكتبون ما يقولون وما يفعلون.

وأما الآية الرابعة؛ فهي خطابٌ من الله عزَّ وجلَّ لموسى وهارون عليهما الصلاة والسلام حين شكوا إلى الله خوفهما من بطش فرعون بهما، فقال لهما: ﴿لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى﴾.

وأما الآية الخامسة؛ فقد نزلت في شأن أبي جهل لعنه الله حين نهي النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن الصلاة عند البيت، فنزل قوله تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى عَبْدًا إِذَا صَلَّى ﴿١٠﴾ أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَى ﴿١١﴾ أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَى ﴿١٢﴾ أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى ﴿١٣﴾ أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى ﴿١٤﴾﴾ [العلق: ٩-١٤] إلخ السورة^(١).

[إثبات صفتي:

المكر، والكيد]

﴿وَقَوْلُهُ: ﴿وَهُوَ شَدِيدُ الْحَالِ ﴿١٣﴾﴾ [الرعد: ١٣]، وَقَوْلُهُ: ﴿وَمَكْرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [آل عمران: ٥٤]، وَقَوْلُهُ: ﴿وَمَكْرُوا مَكْرًا وَمَكْرَنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [النمل: ٥٠]، وَقَوْلُهُ: ﴿لِيُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ سَمَوَاتِهِ مَاءً غَدِيرًا ﴿١٥﴾﴾ [الطارق: ١٥].

= جرحًا ولا تعديلاً، وذكره ابن حبان في «الثقات»، وقال عنه الذهبي في «الميزان» (لا يعرف)، وقال الحافظ: مجهول.

(١) رواه مسلم (٢٧٩٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وقوله: ﴿وَهُوَ شَدِيدُ الْحَالِ...﴾ إلخ؛ تضمّنت هذه الآيات إثبات صفتي المكر والكيد، وهما من صفات الفعل الاختيارية. ولكن لا ينبغي أن يشتقَّ له من هاتين الصفتين اسم، فيقال: ماكر، وكائد؛ بل يوقف عند ما ورد به النص من أنه خير الماكرين، وأنه يكيد لأعدائه الكافرين.

أمّا قوله سبحانه: ﴿وَهُوَ شَدِيدُ الْحَالِ﴾؛ فمعناه: شديد الأخذ بالعقوبة؛ كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾ [البروج: ١٢]، ﴿إِنْ أَخَذَهُ آلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود: ١٠٢].

وقال ابن عباس: ((معناه: شديد الحول))^(١).

وقال مجاهد: ((شديد القوّة))^(٢). والأقوال متقاربة.

وأمّا قوله: ﴿وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينِ﴾؛ فمعناه: أنفذهم وأسرعهم مكرًا.

وقد فسّر بعض السلف مكر الله بعباده بأنّه استدراجهم بالنعم من حيث لا يعلمون، فكلما أحدثوا ذنبًا أحدث لهم نعمة؛ وفي الحديث: ((إذا رأيت الله يُعطي العبد من الدنيا ما يحبُّ وهو مقيمٌ على معصيته؛ فاعلم أنما ذلك منه استدراج))^(٣).

(١) رواه الطبري في ((تفسيره)) (٣٩٦/١٦).

(٢) رواه الطبري في ((تفسيره)) (٣٩٦/١٦).

(٣) رواه أحمد في ((المسند)) (١٤٥/٤)، والطبري في تفسيره (٣٦١/١١)، والطبراني (٩١٣)،

والبيهقي في ((شعب الإيمان)) (٤٥٤٠). من حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه. =

وقد نزلت هذه الآية في شأن عيسى عليه السلام حين أراد اليهود قتله، فدخل بيتاً فيه كوة، وقد أيده الله بجبريل عليه السلام، فرفعه إلى السماء من الكوة، فدخل عليه يهوذا؛ ليدهم عليه فيقتلوه، فألقى الله شبه عيسى على ذلك الخائن، فلما دخل البيت فلم يجد فيه عيسى؛ خرج إليهم وهو يقول: ما في البيت أحد. فقتلوه وهم يرون أنه عيسى، فذلك قوله تعالى: ﴿وَمَكْرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ﴾^(١).

وأما قوله تعالى: ﴿وَمَكْرُوا مَكْرًا...﴾ إلخ؛ فهي في شأن الرهط التسعة من قوم صالح عليه السلام حين ﴿قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ﴾ أي: ليقتلنه بيئاتاً هو وأهله، ﴿ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لَوْلِيَهُ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ﴾، فكان عاقبة هذا المكر منهم أن مكر الله بهم فدمرهم وقومهم أجمعين^(٢).

(وَقَوْلُهُ: ﴿إِنْ بُدُوا خَيْرًا أَوْ تُخَفُّوهُ أَوْ تُعْفَوْا عَنْ سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا﴾ [النساء: ٤٩]، ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا يُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٢﴾ [النور: ٢٢].

= والحديث حسن إسناده العراقي في «تخريج الإحياء» (١٣٢/٤)، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٤١٣).

(١) ذكر هذا المعنى ابن كثير في «التفسير» (٣٧/٢) دون أن يعزوه لأحد، وذكره ابن جرير بسنده إلى السُّدي (٤٥٤/٦ - شاكر)، وعزاه ابن الجوزي في «زاد المسير» (٣٩٥/١) لابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) انظر: «تفسير ابن كثير» (٢٠٧/٦).

قوله: ﴿إِنْ نُبَدُّوا خَيْرًا...﴾ إلخ؛ هذه الآيات تضمّنت إثبات صفات العفو والقدرة والمغفرة والرحمة والعزة والتبارك والجلال والإكرام.

[إثبات]

اسم العفو]

فالعفو الذي هو اسمه تعالى؛ معناه: المتجاوز عن عقوبة عباده إذا هم تابوا إليه وأنابوا^(١)؛ كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ﴾ [الشورى: ٢٥].

[معنى العفو]

ولما كان أكمل العفو هو ما كان عن قدرة تامة على الانتقام والمؤاخذه؛ جاء هذان الاسمان الكريمان: العفو والقدير مقترنين في هذه الآية وفي غيرها.

وأما القدرة؛ فهي الصفة التي تتعلّق بالممكنات إيجاباً وإعداماً، فكلُّ ما كان ووقع من الكائنات واقع بمشيئته وقدرته؛ كما في الحديث: ((ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن))^(٢).

وأما قوله تعالى: ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا...﴾ الآية؛ فقد نزلت في شأن أبي بكر رضي الله عنه حين حلف لا ينفق على مسطح بن أثاثه، وكان ممن خاضوا في الإفك، وكانت أم مسطح بنت خالة أبي بكر، فلما نزلت هذه

(١) (تقييد عفو الله عنهم بالتوبة والإنابة فيه نظر فإن عفو الله سبحانه قد يكون عن توبة وإنابة من العبد، وقد يكون مجرد فضل وإحسان من الله تعالى كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تُفْعَلُونَ﴾ [الشورى: ٢٥] وقال: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾ [الشورى: ٣٠]. (ابن عثيمين)

(٢) سبق تخريجه (ص: ١٢٦).

الآية قال أبو بكر: ((والله إني لأحب أن يغفر الله لي))، ووصل مسطحاً^(١).

(وَقَوْلُهُ: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون: ٨]، وَقَوْلُهُ

عَنْ إِبْلِيسَ: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لأَعْرَبَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [ص: ٨٢]).

[إنبات
صفة العزة]

وأما قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾؛ فقد [نزلت في شأن عبد الله بن أبي ابن سلول رئيس المنافقين، وكان في بعض الغزوات قد أقسم ليخرجن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو وأصحابه من المدينة، فنزل قول الله تعالى: ﴿يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّكَ الْأَعْرَضُ مِنْهَا الْأَذَلَّ﴾؛ يقصد بالأعز - قبحه الله - نفسه وأصحابه، ويقصد بالأذل رسول الله ومن معه من المؤمنين، فردَّ الله عزَّ وجلَّ عليه بقوله: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(٢).

والعزة صفة أثبتها الله عزَّ وجلَّ لنفسه؛ قال تعالى: ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ

الْحَكِيمُ﴾ [إبراهيم: ٤] وقال: ﴿وَكَانَ اللهُ قَوِيًّا عَزِيزًا﴾ [الأحزاب: ٢٥].

وأقسم بها سبحانه؛ كما في حديث الشفاعة: ((وعزتي وكبريائي وعظمتي؛ لأخرجنَّ منها مَنْ قال: لا إله إلا الله))^(٣).

(١) جزء من حديث حادثة الإفك، وقد رواه البخاري (٤٧٥٧)، ومسلم (٢٧٧٠).

(٢) أورد سبب النزول: البخاري (٤٩٠٤)، ومسلم (٢٧٧٢).

(٣) رواه البخاري (٧٥١٠)، ومسلم (١٩٣) بلفظ مقارب.

وأخبر عن إبليس أنه قال: ﴿فِعْرَتِكَ لَأُعْوِبَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (٨٢) إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ ﴿٨٣﴾ [ص: ٨٢-٨٣].

وفي ((صحيح البخاري)) وغيره عن أبي هريرة: ((بينما أيوب عليه السلام يغتسل عرباناً خرَّ عليه جراد من ذهب، فجعل يحثي في ثوبه، فناده ربه: يا أيوب! ألم أكن أغنيك عما ترى؟ قال: بلى؛ وعزَّتكَ، ولكن لا غنى لي عن بركتك))^(١).

وقد جاء في حديث الدعاء الذي علّمه النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لمن كان به وجع: ((أعوذ بعزّة الله وقدرته من شرِّ ما أجد وأحاذر))^(٢).

والعزة تأتي بمعنى الغلبة والقهر؛ من عزَّ يعزُّ - بضم العين في المضارع - [معنى العزة] يقال: عزّه؛ إذا غلبه.

وتأتي بمعنى القوة والصلابة^(٣)؛ من عزَّ يعزُّ - بفتحها -، ومنه أرض عزاز؛ للصلابة الشديدة.

(١) رواه البخاري (٣٨٧/١).

(٢) رواه مسلم (٤٣٩/١٤) من حديث عثمان بن أبي العاص الثقفي رضي الله عنه. ولفظه: ((أعوذ بالله وقدرته من شرِّ ما أجد وأحاذر)).

(٣) (الحق أن الصلابة لا يمكن القول بثبوتها لله عزَّ وجلَّ ولا بنفيها عنه لعدم ورود ذلك، أما بقية المعاني التي ذكرها فيصح إثباتها لله...، لكن قد يقول قائل: إن كلامه الأول على معاني العزة من حيث هي وبيان اشتقاقها ثم إن الواجب إثبات ما يليق بالله من ذلك وهذا = قول محتمل لولا قوله وهذه المعاني كلها ثابتة لله فإن التوكيد بكل ينفي احتمال إرادة البعض والله أعلم). (ابن عثيمين)

وتأتي بمعنى علو القدر والامتناع عن الأعداء؛ من: عَزَّ يَعِزُّ - بكسرها-.
وهذه المعاني كلها ثابتة لله عزَّ وجلَّ.

(وَقَوْلُهُ: ﴿نَبْرَكَ أَسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ ﴿٧٨﴾ [الرحمن: ٧٨])

وأما قوله تعالى: ﴿نَبْرَكَ أَسْمُ رَبِّكَ﴾ ﴿٧٠﴾ .. فإنه من البركة بمعنى دوام الخير وكثرتة.

وقوله: ﴿ذِي الْجَلَالِ﴾؛ أي: صاحب الجلال والعظمة سبحانه، الذي لا شيء أجل ولا أعظم منه.

و﴿وَالْإِكْرَامِ﴾: الذي يكرم^(١) عما لا يليق به، وقيل: الذي يكرم عباده الصالحين بأنواع الكرامة في الدنيا والآخرة. والله أعلم.

(وَقَوْلُهُ: ﴿فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ ﴿٦٥﴾ [مريم: ٦٥]،
﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ ﴿٤﴾ [الإحلاص: ٤]، وَقَوْلُهُ: ﴿فَلَا
تَجْعَلُوا لِلَّهِ أُنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ﴿٢٢﴾ [البقرة: ٢٢]، ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن
يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥]، وَقَوْلُهُ: ﴿وَقُلِ
الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمَلِكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وِليٌّ مِّنَ الدُّنْيَا وَكَبِيرَةٌ
تَكْبِيرًا﴾ ﴿١١١﴾ [الإسراء: ١١١]، ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ
وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ﴿١﴾ [التغابن: ١]، وَقَوْلُهُ: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي

(١) أي: يَنْزَهُ؛ قال ابن منظور في «لسان العرب»: «تَكْرَمَ عَنِ الشَّيْءِ وَتَكَرَّمَ: تَنْزَهُ».

نَزَلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ
وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ نَقْدِيرًا ﴿٢﴾ ﴿
[الفرقان: ١-٢]، وَقَوْلُهُ: ﴿ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذْ
لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ ﴿١١﴾
عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَلَّى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ [المؤمنون: ٩١-٩٢]
﴿ فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧٤﴾ ﴾، [النحل: ٧٤]،
﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا
بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [الأعراف: ٣٣]

[صفات السلوب] قوله: ﴿فَاعْبُدْهُ...﴾ إلخ؛ تَضَمَّتْ هذه الآيات الكريمة جملة من صفات السلوب، وهي نفي السمي والكفاء والنَّد والولد والشريك والولي من ذلِّ وحاجة؛ كما تَضَمَّتْ بعض صفات الإثبات؛ من: الملك، والحمد، والقدرة والكبرياء، والتبارك.

[معنى السمي] أمَّا قوله: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾؛ فقد قال شيخ الإسلام رحمه الله: ((قال أهل اللغة: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾؛ أي: نظيرًا استحقَّ مثل اسمه، ويقال: مساميًّا يساميه. وهذا معنى ما يروى عن ابن عباس: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ،

سَمِيًّا ﴿٤﴾؛ مثلاً أو شبيهاً^(١).

والاستفهام في الآية إنكاري، معناه النفي؛ أي: لا تعلم له سميًّا.

وأما قوله: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾؛ فالمراد بالكفاء:

المكافئ المساوي.

فهذه الآية تنفي عنه سبحانه النظر والشبيه من كل وجه؛ لأنَّ

﴿أَحَدٌ﴾ وقع نكرة في سياق النفي، فيعم، وقد تقدم الكلام على تفسير

سورة الإخلاص كلها، فليرجع إليها.

وأما قوله: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا﴾ إلخ. فالأنداد جمع نِدٌّ، ومعناه - [معنى الند]

كما قيل - : النظر المناوئ. ويقال: ليس لله نِدٌّ ولا ضِدٌّ، والمراد نفي ما

يكافئه ويناؤه، ونفي ما يضاده وينافيه.

وجملة: ﴿وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ وقعت حالاً من الواو في ﴿تَجْعَلُوا﴾،

والمعنى: إذا كنتم تعلمون أن الله هو وحده الذي خلقكم ورزقكم، وأنَّ

هذه الآلهة التي جعلتموها له نظراء وأمثالاً وساويتموها به في استحقاق

العبادة لا تخلق شيئاً، بل هي مخلوقة، ولا تملك لكم ضرراً ولا نفعاً؛ فاتركوا

عبادتها، وأفردوه سبحانه بالعبادة والتعظيم.

(١) انظر: «الفتاوى» (٤/٣). وأثر ابن عباس أورده ابن جرير في تفسير الآية بسنده عن علي

بن أبي طلحة عن ابن عباس، وقد تقدّم الكلام (ص: ١١٠) عن رواية علي عن ابن عباس

رضي الله عنه. وانظر أيضاً: «تفسير ابن كثير» (٥/٢٤٥).

وأما قوله: ﴿ **وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ...** ﴾ إلخ؛ فهو إخبارٌ من الله عن المشركين بأنهم يحبُّون آلهتهم كحبهم لله عزَّ وجلَّ؛ يعني: يجعلونها مساوية له في الحب. ﴿ **وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ** ﴾ من حب المشركين لآلهتهم؛ لأنهم أخلصوا له الحب، وأفردوه به، أما حب المشركين لآلهتهم؛ فهو موزعٌ بينها، ولا شك أنَّ الحبَّ إذا كان لجهة واحدة كان أَمَكْنَ وأقوى.

[معنى يحبونهم
كحب الله]

وقيل: المعنى: أنهم يحبُّون آلهتهم كحب المؤمنين لله، والذين آمنوا أشدَّ حبًّا لله من الكفار لأناداهم.

وأما قوله تعالى: ﴿ **وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا...** ﴾ الآية؛ فقد تقدم الكلام في معنى الحمد^(١)، وأنه الثناء باللسان على النعمة وغيرها، وقلنا: إنَّ إثبات الحمد له سبحانه متضمَّنٌ لإثبات جميع الكمالات التي لا يستحقُّ الحمد المطلق إلا من بلغ غايتها.

ثم نفى سبحانه عن نفسه ما ينافي كمال الحمد من الولد والشريك والولي من الدلِّ، أي: من فقر وحاجة، فهو سبحانه لا يوالي أحدًا من خلقه من أجل ذلة وحاجة إليه.

ثم أمر عبده ورسوله أن يكبره تكبيرًا؛ أي: يعظمه تعظيمًا ويُنزِّهه عن كل صفة نقص وصفه بها أعداؤه من المشركين.

وأما قوله: ﴿ **يُسَبِّحُ لِلَّهِ** ﴾ إلخ؛ فالتسبيح هو التنزيه والإبعاد عن السوء؛

(١) انظر: (ص: ٧٨).

كما تقدم.

ولا شك أنَّ جميع الأشياء في السموات وفي الأرض تسبِّح بحمد ربها، وتشهد له بكمال العلم والقدرة والعزَّة والحكمة والتدبير والرحمة؛ قال تعالى:

﴿وَأِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يَسْبُحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء: ٤٤].

[تسيح الجمادات]

وقد اختلف في تسيح الجمادات التي لا تنطق؛ هل هو بلسان الحال أو بلسان المقال؟ وعندني أنَّ الثاني أرجح؛ بدليل قوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾؛ إذ لو كان المراد تسيحها بلسان الحال؛ لكان ذلك معلوماً، فلا يصحُّ الاستدراك.

وقد قال تعالى مخبراً عن داودَ عليه السلام: ﴿إِنَّا سَخَرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ﴾ (١٨) ﴿وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ﴾ [ص: ١٨-١٩].

[معنى لتبارك]

وأما قوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي﴾ إلخ؛ فقد قلنا: إنَّ معنى ﴿تَبَارَكَ﴾ من البركة؛ وهي دوام الخير وكثرته، ولكن لا يلزم من تلك الزيادة سبق النقص، فإنَّ المراد تجدد الكمالات الاختيارية التابعة لمشيئته وقدرته، فإنَّها تتجدد في ذاته على وفق حكمته، فالخلوُّ عنها قبل اقتضاء الحكمة لها لا يعتبرُ نقصاً^(١).

(١) قال الشيخ صالح الفوزان في شرحه لـ «الواسطية» (ص: ٧٢): «تبارك: فعل ماضٍ مأخوذ من البركة، وهي النماء والزيادة المستقرة الثابتة الدائمة، وهذه اللفظة لا تستعمل إلا لله سبحانه، ولا تستعمل إلا بلفظ الماضي». اهـ

وقد فسّر بعضهم التبارك بالثبات وعدم التغيّر، ومنه سمّيت البركة؛ لثبوت مائها. وهو بعيد.

والمراد بـ ﴿الْفُرْقَانُ﴾ القرآن، سمي بذلك لقوّة تفرّقه بين الحق والباطل والهدى والضلال.

والتعبير بـ ﴿نَزَلَ﴾ بالتشديد؛ لإفادة التدرّج في النزول، وأنّه لم ينزل جملة واحدة.

والمراد بـ ﴿عَبْدِهِ﴾ محمد صلى الله عليه وسلم، والتعبير عنه بلقب العبودية للتشريف - كما سبق.

و﴿الْعَالَمِينَ﴾؛ جمع عالم، وهو جمع لما يعقل، واختلّف في المراد به، فقيل: الإنس. وقيل: الإنس والجن. وهو الصحيح؛ فقد ثبت أنّ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مرسلٌ إلى الجن أيضاً، وأنّه يجتمع بهم، ويقرأ عليهم القرآن، وأنّ منهم نفراً أسلم حين سمع القرآن وذهب ينذر قومه به؛ كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ﴾ ﴿٢٩﴾ [الأحقاف: ٢٩].

والنّذير والمنذر هو من يُعلّم بالشيء مع التخويف، وضده البشير أو المبشّر، وهو من يخبرك بما يسرّك.

وقوله: ﴿مَا أَخَذَ اللهُ مِنْ وَلَدٍ﴾ إلخ؛ تضمّنت هذه الآية الكريمة أيضاً جملة من صفات التنزيه التي يُراد بها نفي ما لا يليق بالله عزّ وجلّ عنه، فقد

نَزَّ سبحانه نفسه فيها عن اتِّخَاذِ الْوَلَدِ وعن وجودِ إلهٍ خالقٍ معه، وعمَّا وصفه به المفترِّون الكدَّابون؛ كما نُهي عن ضربِ الأمثالِ له، والإشراكِ به بلا حجة ولا برهان، والقولِ عليه سبحانه بلا علم ولا دليل.

فهذه الآية تضمَّنت إثبات توحيد الإلهية، وإثبات توحيد الرُّبوبيَّة، فإنَّ الله بعدما أخبر عن نفسه بعدم وجودِ إلهٍ معه أوضح ذلك بالبرهان القاطع والحجة الباهرة، فقال: ﴿إِذَا﴾؛ أي: إذ لو كان معه آلهةٌ كما يقول هؤلاء المشركون؛ ﴿لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾.

[دليل التمانع]

وتوضيح هذا الدليل أن يقال: إذا تعدَّدت الآلهة؛ فلا بدَّ أن يكون لكلٍ منهم خلق وفعل، ولا سبيل إلى التعاون فيما بينهم؛ فإنَّ الاختلاف بينهم ضروريٌّ، كما أنَّ التعاون بينهم في الخلق يقتضي عجز كلٍ منهم عند الانفراد، والعاجز لا يصلح إلهًا، فلا بدَّ أن يستقلَّ كلُّ منهم بخلقه وفعله، وحينئذٍ؛ فإنَّما أن يكونوا متكافئين في القدرة، لا يستطيع كلُّ منهم أن يقهر الآخرين ويغلبهم، فيذهب كلُّ منهم بما خلق، ويختص بملكه؛ كما يفعل ملوك الدنيا من انفراد كلٍ بمملكته إذا لم يجد سبيلًا لِقَهْرِ الآخرين، وإمَّا أن يكون أحدهم أقوى من الآخرين، فيغلبهم، ويقهرهم، وينفرد دونهم بالخلق والتدبير، فلا بدَّ إذًا مع تعدُّد الآلهة من أحد هذين الأمرين: إمَّا ذهاب كلٍ بما خلق، أو علو بعضهم على بعض.

وذهاب كلِّ بما خلق غير واقع؛ لأنَّه يقتضي التنافر والانفصال بين أجزاء العالم، مع أنَّ المشاهدة تثبت أنَّ العالم كله كجسم واحد مترابط

الأجزاء، متَّسق الأجزاء، فلا يمكن أن يكون إلا أثرًا لإله واحد.

وعلو بعضهم على بعض يقتضي أن يكون الإله هو العالي وحده.

وأما قوله تعالى: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ﴾؛ فهو نهيٌّ لهم أن يشبّهوه بشيء من خلقه؛ فإنَّه سبحانه له المثل الأعلى الذي لا يشركه فيه مخلوق.

وقد قدّمنا أنَّه لا يجوز أن يستعمل في حقه من الأقيسة ما يقتضي المماثلة أو المساواة بينه وبين غيره؛ كقياس التمثيل وقياس الشمول.

[قياس الأولى]

وإنَّما يستعمل في ذلك قياس الأولى الذي مضمونه أنَّ كلَّ كمالٍ وجوديٍّ غيرٍ مستلزمٍ للعدم ولا للنقص بوجهٍ من الوجوه اتَّصف به المخلوق فالخالق أولى أن يتَّصف به؛ لأنَّه هو الذي وهب المخلوق ذلك الكمال، ولأنَّه لو لم يتَّصف بذلك الكمال - مع إمكان أن يتَّصف به - لكان في الممكنات من هو أكمل منه، وهو محالٌّ، وكذلك كل نقصٍ يتنزَّه عنه المخلوق، فالخالق أولى بالتنزُّه عنه.

وأما قوله: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ﴾ إلخ؛ ف﴿إِنَّمَا﴾ أداة حصرٍ تفيد اختصاص الأشياء المذكورة بالحرمة، فيفهم أنَّ من عداها من الطَّيِّبات فهو مباحٌ لا حرج فيه؛ كما أفادته الآية التي قبلها.

﴿الْفَوَاحِشُ﴾ جمع فاحشة؛ وهي الفعلة المتناهية في القبح، وخصَّها بعضهم بما تضمَّن شهوةً ولذةً من المعاصي؛ كالزنا، واللواط، ونحوهما من الفواحش الظاهرة، وكالكبر والعجب وحب الرياسة من الفواحش الباطنة.

وَأَمَّا ﴿وَالْإِثْمُ﴾؛ فمنهم مَنْ فسره بمطلق المعصية، فيكون المراد منه ما دون الفاحشة، ومنهم مَنْ خصّه بالخمير؛ فَإِنَّهَا جَمَاعُ الْإِثْمِ.

وَأَمَّا ﴿وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾؛ فهو التسلُّط والاعتداء على الناس من غير أن يكون ذلك على جهة القصاص والمماثلة.

وقوله: ﴿وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا﴾، وحرَّم أن تعبدوا مع الله غيره، وتقرَّبوا إليه بأي نوع من أنواع العبادات والقربات؛ كالدعاء، والندر، والذبح، والخوف، والرجاء، ونحو ذلك مما يجب أن يُخْلِصَ فِيهِ الْعِبَادَةُ قَلْبَهُ وَيُسَلِّمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ، وحرَّم أن تتخذوا من دونه سبحانه أولياء يشرِّعون لهم من الدين ما لم يأذن به الله في عباداتهم ومعاملاتهم؛ كما فعل أهل الكتاب مع الأحبار والرهبان؛ حيث اتَّخَذُوهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فِي التَّشْرِيعِ، فَأَحْلُوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ، وحرَّمُوا مَا أَحَلَّ اللَّهُ، فَاتَّبَعُوهُمْ فِي ذَلِكَ.

وقوله: ﴿مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا﴾ قيدٌ لبيان الواقع؛ فَإِنَّ كُلَّ مَا عُبدَ أَوْ أُتبعَ أَوْ أُطيعَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَدْ فَعَلَ بِهِ ذَلِكَ مِنْ غَيْرِ سُلْطَانٍ.

[حرمة القول

على الله

بغير علم]

وَأما القول على الله بلا علم؛ فهو بابٌ واسعٌ جدًا يدخل فيه كل خبر عن الله بلا دليل ولا حجة؛ كنفى ما أثبتته، أو إثبات ما نفاه، أو الإلحاد في آياته بالتحريف والتأويل.

قال العلامة ابن القيم في كتابه ((إعلام الموقعين))^(١): ((وقد حرَّم الله

القول عليه بغير علم في الفتيا والقضاء وجعله من أعظم المحرمات؛ بل جعله في المرتبة العليا منها؛ قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ...﴾ الآية، فرتب المحرمات أربع مراتب، وبدأ بأسهلها، وهو الفواحش، وثنى بما هو أشد تحريمًا منه، وهو الإثم والظلم، ثم ثلث بما هو أعظم تحريمًا منهما، وهو الشرك به سبحانه، ثم رتب بما هو أعظم تحريمًا من ذلك كله، وهو القول عليه بلا علم، وهذا يعمُّ القول عليه سبحانه بلا علم في أسمائه وصفاته وأفعاله وفي دينه وشرعه)).

﴿وَقَوْلُهُ: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾﴾ (١) [سبعة] مواضع:
[في سورة الأعراف؛ قوله: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤].

وَقَالَ فِي سُورَةِ يُونُسَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - : ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ [يونس: ٣].
وَقَالَ فِي سُورَةِ الرَّعْدِ: ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الرعد: ٢].

(١) في الأصل: وَقَوْلُهُ: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ في ستة مواضع.

وهذا هو الصواب لأن الآية التي تكررت في ستة مواضع في القرآن الكريم هي قوله تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾

وَقَالَ فِي سُورَةِ طه: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥].

وَقَالَ فِي سُورَةِ الْفُرْقَانِ: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ﴾ [الفرقان: ٥٩].

وَقَالَ فِي سُورَةِ الْم سَجْدَةَ: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ [السجدة: ٤]، وَقَالَ فِي سُورَةِ الْحَدِيدِ: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الحديد: ٤].

وقوله: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى...﴾ إلخ؛ هذه هي المواضع السبعة التي أخبر فيها سبحانه باستوائه على العرش، وكلها قطعية الثبوت؛ لأنها من كتاب الله، فلا يملك الجهمي المعطل لها ردًّا ولا إنكارًا، كما أنها صريحة في بابها، لا تحمل تأويلًا، فإنَّ لفظ: ﴿اسْتَوَى﴾ في اللغة إذا عُدِّي بـ (على) لا يمكن أن يُفْهَمَ منه إلا العلو والارتفاع، ولهذا لم تخرج تفسيرات السلف لهذا اللفظ عن أربع عبارات؛ ذكرها العلامة ابن القيم في ((النونية))^(١)؛ حيث قال:

فَلَهُمْ عِبَارَاتٌ عَلَيْهَا أَرْبَعٌ قَدْ حُصِّلَتْ لِلْفَارِسِ الطَّعَّانِ
وَهِيَ اسْتَقَرَّ وَقَدْ عَلَا وَكَذَلِكَ أَر تَفَعَّ الَّذِي مَا فِيهِ مِنْ نُكْرَانِ
وَكَذَلِكَ قَدْ صَعِدَ الَّذِي هُوَ رَابِعٌ وَأَبُو عُبَيْدَةَ صَاحِبُ الشَّيْبَانِي

(١) انظر: ((شرح المراس)) (٢١٥/١)، و((شرح أحمد بن عيسى)) (٤٤٠/١).

يَخْتَارُ هَذَا الْقَوْلَ فِي تَفْسِيرِهِ أَذْرَى مِنْ الْجَهْمِيِّ بِالْقُرْآنِ

فأهل السنة والجماعة يؤمنون بما أخبر به سبحانه عن نفسه من أنه مستوٍ على عرشه، بائن من خلقه بالكيفية التي يعلمها هو جلَّ شأنه؛ كما قال مالك وغيره: ((الاستواء معلومٌ، والكيفٌ مجهولٌ))^(١).

وأما ما يشعّب به أهل التعطيل من إيراد اللوازم الفاسدة على تقرير الاستواء؛ فهي لا تلزمنا؛ لأننا لا نقول بأن فوقيته على العرش كفوقية المخلوق على المخلوق.

وأما ما يحاولون به صرف هذه الآيات الصريحة عن ظواهرها بالتأويلات الفاسدة التي تدلُّ على حيرتهم واضطرابهم؛ كتفسيرهم: ﴿أَسْتَوَى﴾ (استولى)، أو حملهم ﴿عَلَى﴾ على معنى (إلى)، و﴿أَسْتَوَى﴾؛ بمعنى: (قصد)... إلى آخر ما نقله عنهم حامل لواء التجهم والتعطيل زاهد الكوثري^(٢)؛ فكلها تشغيبٌ بالباطل، وتغييرٌ في وجه الحق لا يغني عنهم في قليل ولا كثيرٍ.

وليت شعري! ماذا يريد هؤلاء المعطلة أن يقولوا؟! أيريدون أن يقولوا: ليس في السماء ربٌّ يُقْصَدُ، ولا فوق العرش إله يُعْبَدُ؟! فأين يكون إذن؟!

[الله في السماء]

ولعلهم يضحكون منا حين نسأل عنه بـ(أين)! ونسوا أن أكمل الخلق وأعلمهم برهم صلوات الله عليه وسلامه قد سأل عنه بـ(أين) حين قال

(١) انظر: (ص: ٩٦).

(٢) سبقت ترجمته (ص: ١٣٩).

للجارية: ((أين الله؟)). ورضي جوابها حين قالت: في السماء^(١).

وقد أجاب كذلك مَنْ سألَه ب: أين كان ربنا قبل أن يخلق السموات والأرض؟ بأنَّه كان في عماء.. الحديث^(٢).

ولم يُرَوَّ عنه أنَّه زجر السائل، ولا قال له: إنَّك غلطت في السؤال.

إنَّ قصارى ما يقوله المتحدلق منهم في هذا الباب: إنَّ الله تعالى كان ولا مكان، ثمَّ خلق المكان، وهو الآن على ما كان قبل المكان.

فماذا يعني هذا المخرَّف بالمكان الذي كان الله ولم يكن؟!!

هل يعني به تلك الأمكنة الوجودية التي هي داخل محيط العالم؟!!

فهذه أمكنة حادثة، ونحن لا نقول بوجود الله في شيءٍ منها؛ إذ لا

يحصره ولا يحيط به شيء من مخلوقاته.

(١) رواه مسلم (٥٣٧)، ومالك، وأبو داود، والنسائي.

(٢) يشير إلى حديث أبي رزين العقيلي رضي الله عنه، قال: قلت: يا رسول الله! أين كان ربُّنا قبل أن يخلق خلقه؟ قال: ((كان في عماء، ما تحته هواء، وما فوقه هواء، وخلق عرشه على الماء)).

أخرجه أحمد في ((المسند)) (١١/٤)، والترمذي (٣١٠٩)، وابن ماجه (١٨٢).

والحديث حسَّنه الترمذي، وصححه الطبري في التاريخ (٤٠/١)، وابن العربي في عارضة الأحوذى (٢٠٨/٦)، وابن القيم في أعلام الموقعين (٢٢٤/٤)، وحسن إسناده الذهبي في العلو (١٨)، وقال ابن تيمية في ((مجموع الفتاوى)) (٢٧٥/٢): مشهور في كتب المسانيد والسنن، وضعف إسناده الألباني في تخريج كتاب ((السنة)) (رقم ٦١٢)، لأنه من طريق وكيع بن حُدُس أو عُدُس، لم يوثقه غير ابن حبان.

قال يزيد بن هارون: ((العماء؛ أي: ليس معه شيء)).

وأما إذا أراد بها المكان العدمي الذي هو خلاء محض لا وجود فيه؛ فهذا لا يقال: إنَّه لم يكن ثمَّ خلق؛ إذ لا يتعلق به الخلق، فإنَّه أمر عدمي، فإذا قيل: إنَّ الله في مكان بهذا المعنى؛ كما دلَّت عليه الآيات والأحاديث؛ فأبي محذورٍ في هذا؟!!

بل الحق أن يقال: كان الله ولم يكن شيء قبله، ثمَّ خلق السموات والأرض في ستة أيام، وكان عرشه على الماء، ثمَّ استوى على العرش، وثم هنا للترتيب الزماني لا لمجرّد العطف.

[إثبات صفة

العلو لله تعالى

وأنه في السماء]

(وَقَوْلُهُ: ﴿يَعِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَرَافِعَكَ إِلَىٰ﴾ [آل عمران: ٥٥]، ﴿بَل رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾ [النساء: ١٥٨]، ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [فاطر: ١٠]، ﴿يَهْتَمُنُ ابْنُ لِي صِرَاحًا لَعَلَّيْ أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰ إِلَهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لِأَظُنُّهُ كَذِبًا﴾ [غافر: ٣٦-٣٧]، وَقَوْلُهُ: ﴿ءَأَمِنْتُمْ مَن فِي السَّمَاءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمْ أَمِنْتُمْ مَن فِي السَّمَاءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ﴿١٧﴾﴾ [الملك: ١٦-١٧].

وقوله: ﴿يَعِيسَىٰ ٥٥﴾ إلخ؛ هذه الآيات جاءت مؤيِّدة لما دلَّت عليه الآيات السابقة من علوّه تعالى وارتفاعه فوق العرش مباينًا للخلق، وناعية على المعطّلة جحودهم وإنكارهم لذلك، تعالى الله عمّا يقولون علوًّا كبيرًا.

ففي الآية الأولى ينادي الله رسوله وكلمته عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام بأنَّه متوقِّيه ورافعه إليه حين دبَّر اليهود قتله، والضمير في قوله:

﴿إِنِّي﴾ هو ضمير الرب جلَّ شأنه، لا يحتمل غير ذلك، فتأويله بأنَّ المراد: إلى محل رحمتي، أو مكان ملائكتي... إلخ لا معنى له.

ومثل ذلك يقال أيضًا في قوله سبحانه ردًّا على ما ادَّعاه اليهود من

قتل عيسى وصلبه: ﴿بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾.

وقد اختلفَ في المراد بالتوفيِّ المذكور في الآية، فحملة بعضهم على الموت، والأكثر على أنَّ المراد به النوم، ولفظ المتوفَّى يُستعمل فيه؛

قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ﴾ [الأنعام: ٦٠].

ومنهم من زعم أنَّ في الكلام تقديمًا وتأخيرًا، وأنَّ التقدير: إنِّي رافعك ومتوفيك؛ أي: ميمتك بعد ذلك.

والحق أنه عليه السلام رُفِعَ حيًّا، وأنه سينزل قرب قيام الساعة؛ لصحة الحديث بذلك^(١).

وأما قوله سبحانه: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾؛ فهو صريحٌ أيضًا في صعود أقوال العباد وأعمالهم إلى الله عزَّ وجلَّ، يصعد بها الكرام الكاتبون كل يوم عقب صلاة العصر، وعقب صلاة الفجر؛ كما جاء في الحديث: ((فيخرج الذين باتوا فيكم، فيسألهم ربهم - وهو أعلم - كيف تركتم

(١) يشير إلى حديث: ((والذي نفسي بيده؛ ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً مقسطاً، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد)). رواه البخاري (٢٢٢٢)، ومسلم (١٥٥)، وأبو داود، والترمذي.

عبادي؟ فيقولون: يا ربنا! أتيناهم وهم يصلُّون، وتركناهم وهم يصلُّون»^(١).

وأما قوله سبحانه حكايةً عن فرعون: ﴿يَهْمَنُنُ﴾ إلخ؛ فهو دليل على أنَّ موسى عليه السلام أخبر فرعون الطاغية بأنَّ إلهه في السماء، فأراد أن يتلمَّس الأسباب للوصول إليه تمويهًا على قومه، فأمر وزيره هامان أن يبني له الصرح، ثمَّ عقَّب على ذلك بقوله: ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ﴾؛ أي: موسى ﴿كَذِبًا﴾ فيما أخبر به من كون إلهه في السماء، فَمَن إِذَا أَشْبَهَ بِفِرْعَوْنَ وَأَقْرَبَ إِلَيْهِ نَسَبًا؛ نَحْنُ أَمْ هَؤُلَاءِ الْمَعْطَلَّةُ؟! إِنَّ فِرْعَوْنَ كَذَّبَ مُوسَى فِي كَوْنِ إلهه في السماء، وهو نفس ما يقوله هؤلاء.

قوله: ﴿ءَأَمِنْتُمْ﴾ إلخ؛ هاتان الآيتان فيهما التصريح بأنَّ الله عزَّ وجلَّ في السماء، ولا يجوز حمل ذلك على أنَّ المراد به: العذاب، أو الأمر، أو الملك؛ كما يفعل المعطلة؛ لأنَّه قال: ﴿مَنْ﴾، وهي [للعاقل]^(٢)، وحملها على الملك إخراج اللفظ عن ظاهره بلا قرينة توجب ذلك.

ولا يجوز أن يُفهم من قوله: ﴿فِي السَّمَاءِ﴾ أنَّ السماء ظرفٌ له سبحانه؛ بل إنَّ أريد بالسماء هذه المعروفة؛ ف﴿فِي﴾ بمعنى على؛ كما في

(١) جزء من حديث رواه البخاري (٥٥٥)، ومسلم (٦٣٢)، والنسائي، ومالك في «الموطأ»، وأوله: «يتعاقبون فيكم ملائكة..».

(٢) علَّق الشيخ إسماعيل الأنصاري هنا بقوله: (لو عبَّر المؤلف هنا بلفظ: «للعالم»؛ بدل قوله: «للعاقل»؛ لأصاب).

قوله تعالى: ﴿وَلَأَصْلَبِنَكُمُ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ﴾ [طه: ٧١]، وإن أريد بها جهة العلو؛ ف﴿فِي﴾ على حقيقتها؛ فإنه سبحانه في أعلى العلو.

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾﴾ [الحديد: ٤]، وَقَوْلُهُ: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكْتُوْنَ مِنْ نَجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا آدَنَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾﴾ [المجادلة: ٧]، ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠]، وَقَوْلُهُ: ﴿إِنِّي مَعَكُمْ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾﴾ [طه: ٤٦]، ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾﴾ [النحل: ١٢٨]، ﴿وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [الأنفال: ٤٦]، ﴿كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤٩].

قوله: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ﴾ إلخ؛ تضمّنت هذه الآية الكريمة إثبات صفة المعية له عزّ وجلّ، وهي على نوعين.

[إثبات صفة المعية]

١ - معية عامّة: شاملة لجميع المخلوقات، فهو سبحانه مع كل شيء بعلمه وقدرته وقهره وإحاطته، لا يغيب عنه شيء، ولا يعجزه، وهذه المعية المذكورة في الآية.

ففي هذه الآية يخبر عن نفسه سبحانه بأنه هو وحده الذي خلق السموات والأرض - يعني: أوجدهما على تقدير وترتيب سابق في مدة ستة أيام-، ثمّ علا بعد ذلك وارتفع على عرشه؛ لتدبير أمور خلقه. وهو مع كونه فوق عرشه لا يغيب عنه شيءٌ من العالمين العلويِّ والسُّفليِّ؛ فهو ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ﴾؛ أي: يدخل ﴿فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَرْجِعُ﴾؛ أي: يصعد ﴿فِيهَا﴾، ولا شكَّ أنَّ مَنْ كان علمه وقدرته محيطين بجميع الأشياء؛ فهو مع كل شيء، ولذلك قال: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

قوله: ﴿مَا يَكْشُرُونَ مِنْ نَجْوَى...﴾ إلخ؛ يثبت سبحانه شمول علمه وإحاطته بجميع الأشياء، وأنه لا يخفى عليه نجوى المتناجين، وأنه شهيدٌ على الأشياء كلها، مطّلعٌ عليها.

وإضافة ﴿نَجْوَى﴾ إلى ثلاثة من إضافة الصفة إلى الموصوف، والتقدير: ما يكون من ثلاثة نجوى؛ أي: متناجين.

٢- وأما الآيات الباقية؛ فهي في إثبات المعية الخاصة التي هي معيته لرسله تعالى وأوليائه بالنصر والتأييد والمحبة والتوفيق والإلهام.

فقوله تعالى: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّا اللَّهُ مَعْنَا﴾ حكايةٌ عما قاله عليه الصلاة والسلام لأبي بكر الصديق وهما في الغار، فقد أحاط المشركون بفم الغار عندما خرجوا في طلبه عليه السلام، فلما رأى أبو بكر ذلك انزعج، وقال: ((والله يا رسول الله! لو نظر أحدهم تحت قدمه لأبصرنا)). فقال له

الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما حكاه الله عزَّ وجلَّ هنا: ﴿لَا تَحْزَنْ
إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾^(١).

فالمراد بالمعينة هنا معية النصر والعصمة من الأعداء.

وأما قوله: ﴿إِنِّي مَعَكُمْ أَسْمَعُ وَأَرَى﴾^(٢)؛ فقد تقدّم الكلام عليه،
وأَنَّهُ خطابٌ لموسى وهارون عليهما السلام أن لا يخافا بطش فرعون بهما؛
لأنَّ الله عزَّ وجلَّ معهما بنصره وتأييده.

وكذلك بقيّة الآيات يخبر الله فيها عن معيته للمتقين الذين يراقبون الله
عزَّ وجلَّ في أمره ونهيهِ، ويحفظون حدوده، وللمحسنين الذين يلتزمون
الإحسان في كل شيء، والإحسان يكون في كل شيء بحسبه، فهو في
العبادة - مثلاً - أن تعبد الله كأنك تراه؛ فإن لم تكن تراه فإنَّه يراك؛ كما
جاء في حديث جبريل عليه السلام^(٣).

وكذلك يخبر عن معيَّته للصابرين الذين يجسسون أنفسهم على ما تكروه،
ويتحمَّلون المشاقَّ والأذى في سبيل الله وابتغاء وجهه؛ صبراً على طاعة
الله، وصبراً عن معصيته، وصبراً على قضاءه.

[إثبات

صفة الكلام]

(وَقَوْلُهُ: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾^(٤٧) [النساء: ٨٧]، ﴿وَمَنْ

أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾^(١٢٢) [النساء: ١٢٢]، ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ لِيَعْقِيبَ ابْنَ مَرْيَمَ﴾

(١) رواه البخاري (٣٦٥٣)، ومسلم (٢٣٨١)، بالفاظ متقاربة.

(٢) سبق تخريجه (ص: ٩٠).

[المائدة: ١١٦]، ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ [الأنعام: ١١٥]،
 وَقَوْلُهُ: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾﴾، ﴿مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ﴾
 [البقرة: ٢٥٣]، ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾ [الأعراف: ١٤٣]،
 ﴿وَنَدَيْتَهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا ﴿٥٢﴾﴾ [مريم: ٥٢]، وَقَوْلُهُ: ﴿وَإِذْ
 نَادَى رَبُّكَ مُوسَى أَنْ أَنْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠﴾﴾ [الشعراء: ١٠]، ﴿وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا
 أَلَمْ أَنْتَكُمَا عَن تِلْكَ الشَّجَرَةِ﴾ [الأعراف: ٢٢]، وَقَوْلُهُ: ﴿وَيَوْمَ نُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ
 مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [القصص: ٦٥].

تضمّنت هذه الآيات إثبات صفة الكلام لله عزّ وجلّ.

وقد تنازع الناس حول هذه المسألة نزاعًا كبيرًا:

فمنهم من جعل كلامه سبحانه مخلوقًا منفصلًا منه، وقال: إن معنى
 (متكلّم): خالقٌ للكلام. وهم المعتزلة.

ومنهم من جعله لازمًا لذاته أزلاً وأبدًا، لا يتعلّق بمشيئته وقدرته، ونفى
 عنه الحرف والصوت، وقال: إنّه معنى واحد في الأزل. وهم الكلائية^(١)
 والأشعرية.

ومنهم من زعم أنّه حروفٌ وأصواتٌ قديمةٌ لازمةٌ للذات، وقال: إنّها

(١) هم أتباع عبد الله بن سعيد بن كلاب، وهم يزعمون أن صفاته تعالى: لا هي هو، ولا غيره،
 ويقولون: إن أسماء الله هي صفاته، ولم يفرقوا بين صفات الذات وصفات الأفعال.
 انظر: «الصواعق المرسلّة» لابن القيم (١/٢٣١).

مقتزنة في الأزل، فهو سبحانه لا يتكلم بها شيئاً بعد شيء. وهم بعض الغلاة.

ومنهم من جعله حادثاً قائماً بذاته تعالى، ومتعلّقاً بمشيئته وقدرته، ولكن زعم أنّ له ابتداءً في ذاته، وأنّ الله لم يكن متكلماً في الأزل. وهم الكرامية^(١).

[الكرامية]

ويطول بنا القول لو اشتغلنا بمناقشة هذه الأقوال وإفسادها، على أنّ فسادهما بيّن لكل ذي فهم سليم، ونظرٍ مستقيم.

وخلاصة مذهب أهل السنة والجماعة في هذه المسألة أنّ الله تعالى لم يزل متكلماً إذا شاء، وأنّ الكلام صفة له قائمة بذاته، يتكلم بها بمشيئته وقدرته، فهو لم يزل ولا يزال متكلماً إذا شاء، وما تكلم الله به فهو قائم به ليس مخلوقاً منفصلاً عنه؛ كما تقول المعتزلة، ولا لازماً لذاته لزوم الحياة لها؛ كما تقول الأشاعرة؛ بل هو تابع لمشيئته وقدرته.

والله سبحانه نادى موسى بصوتٍ، ونادى آدم وحواء بصوتٍ، وينادي عباده يوم القيامة بصوتٍ، ويتكلم بالوحي بصوتٍ، ولكن الحروف والأصوات التي تكلم الله بها صفة له غير مخلوقة، ولا تشبه أصوات المخلوقين وحروفهم^(٢)؛ كما أنّ علم الله القائم بذاته ليس مثل علم عباده؛

(١) هم أتباع أبي عبد الله محمد بن كرام السجستاني، المتوفى سنة (٢٥٥هـ)، وهم مشبهة مجسمة مرجحة، ينقسمون إلى اثني عشرة فرقة.

(٢) (فيه نظر من وجهين الأول: جمع الصوت فإن ظاهره أن الله أصواتاً متنوعة وهذا ما لا سبيل إلى إثباته أو نفيه والوارد عن النبي صلى الله عليه وسلم: فينادي بصوت. ولم يرد أصوات =

فإنَّ الله لا يماثل المخلوقين في شيء من صفاته.

والآيتان الأوليان هنا - وهما من سورة النساء - تنفيان أن يكون أحدُ أصدق حديثاً وقولاً من الله عزَّ وجلَّ، بل هو سبحانه أصدق من كل أحدٍ في كل ما يخبر به، وذلك لأنَّ علمه بالحقائق المخبر عنها أشمل وأضبط، فهو يعلمها على ما هي به من كل وجه، وعلم غيره ليس كذلك.

وأما قوله: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَىٰ﴾ إلخ؛ فهو حكاية لما سيكون يوم القيامة من سؤال الله لرسوله وكلمته عيسى عمَّا نسبه إليه الذين أهوه وأمه من النصارى من أنَّه هو الذي أمرهم بأن يتَّخذوه وأمه إلهين من دون الله. وهذا السؤال لإظهار براءة عيسى عليه السلام، وتسجيل الكذب والبهتان على هؤلاء الضالِّين الأغبياء.

وأما قوله: ﴿وَنَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾؛ فالمراد صدقاً في أخباره، وعدلاً في أحكامه؛ لأنَّ كلامه تعالى إمَّا أخبار، وهي كلها في غاية الصدق،

= بلفظ الجمع فإن أراد بالجمع الآحاد أي أنه جمعه باعتبار آحاده أو أراد به اختلاف صفاته فتارة يكون مناداة وتارة مناجاة كما في قوله: ﴿وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا﴾ [مريم: ٥٢] فهذا صحيح، الثاني: قوله إن الحروف التي تكلم الله بها لا تشبه حروف المخلوقين، فإننا نعلم أن كلام الله هو الحروف والمعاني هذا مذهب أهل السُّنَّة ومن المعلوم أن الحروف التي في القرآن هي الحروف التي تكلم الله بها وهي أحرف المخلوقين التي يكون العرب منها لغتهم وكلامهم و لا ضرر في إثبات كلام الله بهذه الحروف التي يتكلم الناس بها فإن هذا هو المعقول من قولنا إن كلام الله هو الحروف والمعاني وإلا لكانت هذه الحروف عبارة أو بدلاً عن حروفٍ أخرى لا نعلمها فتخرج بذلك عن أن تكون كلام الله وهذا خلاف مذهب أهل السُّنَّة. (ابن عثيمين)

وإمّا أمر ونهي، وكلها في غاية العدل الذي لا جور فيه؛ لا ابتنائها على الحكمة والرحمة.

والمراد بالكلمة هنا الكلمات؛ لأنها أُضيفت إلى معرفة، فتفيد معنى الجمع؛ كما في قولنا: رحمة الله ونعمة الله.

وأما قوله: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ وما بعدها من الآيات التي تدل على أنّ الله قد نادى موسى وكلمه تكليمًا، وناجاه حقيقة من وراء حجاب، وبلا واسطة ملك؛ فهي تردُّ على الأشاعرة الذين يجعلون الكلام معنى قائمًا بالنفس؛ بلا حرف، ولا صوت!

فيقال لهم: كيف سمع موسى هذا الكلام النفسي؟

فإن قالوا: ألقى الله في قلبه علمًا ضروريًا بالمعاني التي يريد أن يكلمه بها؛ لم يكن هناك خصوصية لموسى في ذلك.

وإن قالوا: إنّ الله خلق كلامًا في الشجرة أو في الهواء، ونحو ذلك؛ لزم

أن تكون الشجرة هي التي قالت لموسى: ﴿إِنِّي أَنَا رَبُّكَ﴾ [طه: ١٢].

وكذلك تردُّ عليهم هذه الآيات في جعلهم الكلام معنى واحدًا في الأزل، لا يحدث منه في ذاته شيء، فإن الله يقول: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾؛ فهي تفيد حدوث الكلام عند مجيء موسى للميقات، ويقول: ﴿وَنَدَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ﴾؛ فهذا يدل حدوث النداء عند جانب الطور الأيمن. والنداء لا يكون إلا صوتًا مسموعًا.

وكذلك قوله تعالى في شأن آدم وحواء: ﴿وَأَدْبَاهُمَا رُحْمًا﴾ الآية؛ فإنَّ هذا النداء لم يكن إلا بعد الوقوع في الخطيئة، فهو حادث قطعاً.

وكذلك قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ﴾ إلخ؛ فإنَّ هذا النداء والقول سيكون يوم القيامة. وفي الحديث: ((ما من عبدٍ إلا سيكلمه الله يوم القيامة ليس بينه وبينه ترجمان))^(١).

﴿وَأَنَّ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجَرَهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَةَ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٦]، ﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلِمَةَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهَا مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٧٥]، ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلِمَةَ اللَّهِ فُلَّ لَن تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَكُم مِّن قَبْلُ﴾ [الفتح: ١٥]، ﴿وَأْتَلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ﴾ [الكهف: ٢٧]، وَقَوْلُهُ: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَفُضُّ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [النمل: ٧٦]، ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مَبَارَكٌ﴾ [الأنعام: ٩٢]، ﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ [الحشر: ٢١]، ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُبَدِّلُ قَالُوا إِنَّ مَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [١٠١] قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ

(١) رواه البخاري (٦٥٣٩)، ومسلم (١٠١٦) بلفظ: ما منكم من أحدٍ إلا سيكلمه الله... و(ترجمان)؛ بفتح التاء والجيم، وضم الجيم (ترجمان)، وبضم التاء والجيم (ترجمان)؛ ثلاث لغات صحيحة. انظر: ((الصحاح)) (مادة: ر ج م).

مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُنثِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٢﴾
 وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانٌ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ
 أَعْجَبِي ۗ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾ [النحل: ١٠١-١٠٣].

[القرآن

كلام الله]

قوله: ﴿وَإِن أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ...﴾ إلخ؛ هذه الآيات الكريمة تفيد
 أنَّ القرآن المتلوَّ المسموع المكتوب بين دفتي المصحف هو كلام الله
 على الحقيقة، وليس فقط عبارة أو حكاية عن كلام الله؛ كما تقول
 الأشعرية^(١).

وإضافته إلى الله عزَّ وجلَّ تدلُّ على أنَّه صفةٌ له قائمة به، وليست
 كإضافة البيت أو الناقة؛ فإنَّها إضافة معنى إلى الذات، تدلُّ على ثبوت
 المعنى لتلك الذات؛ بخلاف إضافة البيت أو الناقة؛ فإنَّها إضافة أعيان،
 وهذا يرُدُّ على المعتزلة في قولهم: إنَّه مخلوق منفصلٌ عن الله.

ودلَّت هذه الآيات أيضًا على أن القرآن منزَّلٌ من عند الله، بمعنى أنَّ
 الله تكلمَّ به بصوتٍ سمعه جبريل عليه السلام، فنزل به، وأدَّاه إلى رسول الله
 صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما سمعه من الربِّ جلَّ شأنه.

وخلاصة القول في ذلك: أنَّ القرآن العربي كلام الله، منزَّلٌ، غير
 مخلوق، منه بدأ، وإليه يعود، والله تكلمَّ به على الحقيقة، فهو كلامه حقيقة
 لا كلام غيره، وإذا قرأ الناس القرآن أو كتبوه في المصاحف لم يخرج ذلك

(١) (المعروف عن الأشعرية أنهم يقولون إنه عبارة وأن الذين يقولون إنه حكاية هم الكلابية

وهو ما ذكره المؤلف الشارح ص ٢٢١). (ابن عثيمين)

عن أن يكون كلام الله؛ فَإِنَّ الكلامَ إِنَّمَا يضاف حقيقةً إلى مَنْ قاله مبتدئاً، لا إلى مَنْ بلغه مؤدِّياً، والله تكلم بحروفه ومعانيه بلفظ نفسه، ليس شيء منه كلاماً لغيره، لا لجبريل، ولا لمحمد، ولا لغيرهما، والله تكلم به أيضاً بصوت نفسه، فإذا قرأه العباد قرؤوه بصوت أنفسهم، فإذا قال القارئ مثلاً:

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾﴾ [الفاتحة: ٢]؛ كان هذا الكلام المسموع

منه كلام الله، لا كلام نفسه، وكان هو قرأه بصوت نفسه لا بصوت الله.

وكما أَنَّ القرآنَ كلام الله، فكذلك هو كتابه؛ لأنَّه كتبه في اللوح

المحفوظ، ولأنَّه مكتوبٌ في المصحف؛ قال تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾﴾

في كِتَابٍ مَكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ [الواقعة: ٧٧-٧٨]. وقال: ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ ﴿٢١﴾﴾

في لَوْحٍ مَحْفُوظٍ ﴿٢٢﴾ [البروج: ٢١-٢٢]. وقال: ﴿في صُحُفٍ مُّكْرَمَةٍ ﴿١٣﴾ مَرْفُوعَةٍ

مُطَهَّرَةٍ ﴿١٤﴾ بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ﴿١٥﴾ كِرَامٍ بَرَرَةٍ ﴿١٦﴾﴾ [عبس: ١٣-١٦].

والقرآن في الأصل مصدرٌ كالقراءة؛ كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ قُرْآنَ

الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾﴾ [الإسراء: ٧٨].

ويراد به هنا أن يكون عَلَمًا على هذا المنزّل من عند الله، المكتوب

بين دفتي المصحف، المتعبّد بتلاوته، المتحدّى بأقصر سورة منه.

وقوله: ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ﴾ يدلُّ أَنَّ ابتداء نزوله

من عند الله عزَّ وجلَّ، وأنَّ روح القدس جبريل عليه السلام تلقّاه عن الله

سبحانه بالكييفية التي يعلمها.

(وَقَوْلُهُ: ﴿ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣]،
﴿ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ ﴾ [المطففين: ٢٣، ٣٥]، ﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ
وَزِيَادَةٌ ﴾ [يونس: ٢٦]، وَقَوْلُهُ: ﴿ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴾ ﴿٣٥﴾
[ق: ٣٥]، وَهَذَا الْبَابُ فِي كِتَابِ اللَّهِ كَثِيرٌ، مَنْ تَدَبَّرَ الْقُرْآنَ طَالِبًا
لِلْهُدَىٰ مِنْهُ؛ تَبَيَّنَ لَهُ طَرِيقُ الْحَقِّ.)

[إثبات رؤية
المؤمنين ربهم
يوم القيامة]

قوله: ﴿ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ... ﴾ إلخ؛ هذه الآيات تثبت رؤية المؤمنين لله
عزَّ وجلَّ يوم القيامة في الجنة.

وقد نفاها المعتزلة؛ بناء على نفيهم الجهة عن الله؛ لأنَّ المرئي يجب
أن يكون في جهة من الرائي، وما دامت الجهة مستحيلة، وهي شرط في
الرؤية؛ فالرؤية كذلك مستحيلة.

واحتجُّوا من النقل بقوله تعالى: ﴿ لَا تَدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ ﴾
[الأنعام: ١٠٣]، وقوله لموسى عليه السلام حين سأله الرؤية: ﴿ كُنْ تَرْنِي
وَلَكِنِ أَنْظِرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ، فَسَوْفَ تَرِنِي ﴾ [الأعراف: ١٤٣].

وأما الأشاعرة؛ فهم مع نفيهم الجهة كالمعتزلة يثبتون الرؤية، ولذلك
حاروا في تفسير تلك الرؤية، فمنهم مَنْ قال: يروونه من جميع الجهات،
ومنهم من جعلها رؤية بالبصيرة لا بالبصر، وقال: المقصود زيادة
الانكشاف والتجلي حتى كأنها رؤية عين.

وهذه الآيات التي أوردها المؤلف حجة على المعتزلة في نفيهم الرؤية؛

فإنَّ الآية الأولى عُدِّي النظر فيها بـ ﴿إِلَى﴾، فيكون بمعنى الإبصار؛ يقال: نظرتُ إليه وأبصرتهُ بمعنى، ومتعلِّق النظر هو الربُّ جلَّ شأنه.

وأما ما يتكلّفه المعتزلة من جعلهم ﴿نَاطِرَةٌ﴾ بمعنى منتظرة، و﴿إِلَى﴾ بمعنى النعمة. والتقدير: ثواب رها منتظرة؛ فهو تأويل مضحك.

وأما الآية الثانية؛ فتفيد أنّ أهل الجنّة، وهم على أرائكهم - يعني: أسرّتهم، جمع أريكة - ينظرون إلى ربهم.

وأما الآيتان الأخيرتان؛ فقد صحّ عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تفسير الزيادة بالنظر إلى وجه الله عزَّ وجلَّ^(١).

ويشهد لذلك أيضًا قوله تعالى في حق الكفار: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥]، فدلَّ حجب هؤلاء على أنّ أولياءه يرونه.

وأحاديث الرؤية متواترة في هذا المعنى عند أهل العلم بالحديث، لا ينكرها إلا ملحد زنديق.

وأما ما احتجَّ به المعتزلة من قوله تعالى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ [الأنعام: ١٠٣]؛ فلا حجة لهم فيه؛ لأنَّ نفي الإدراك لا يستلزم نفي الرؤية، فالمراد أنّ الأبصار تراه، ولكن لا تحيط به رؤية؛ كما أنّ العقول تعلمه

(١) يشير إلى ما رواه مسلم (١٨١)، وأحمد في «المسند» (٣٣٢/٤)، والترمذي (٢٥٥٢)، وفيه أنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «... فيكشف الحجاب، فما أعطوا شيئًا أحبَّ إليهم من النَّظَرِ إلى ربِّهم عزَّ وجلَّ، ثمَّ تلا هذه الآية: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦].»

ولكن لا تحيط به علمًا؛ لأنَّ الإدراك هو الرؤية على جهة الإحاطة، فهو رؤية خاصة، ونفي الخاص لا يستلزم نفي مطلق الرؤية.

وكذلك استدلالهم على نفي الرؤية بقوله تعالى لموسى عليه السلام:

﴿لَنْ تَرِنِّي﴾ لا يصلح دليلاً، بل الآية تدل على الرؤية من وجوه كثيرة؛

منها:

١- وقوع السؤال من موسى، وهو رسول الله وكليمه، وهو أعلم بما يستحيل في حق الله من هؤلاء المعتزلة، فلو كانت الرؤية ممتنعة لما طلبها.

٢- أنَّ الله عزَّ وجلَّ علَّق الرؤية على استقرار الجبل حال التجلِّي وهو ممكنٌ، والمعلَّق على الممكن ممكنٌ.

٣- أنَّ الله تجلَّى للجبل بالفعل، وهو جمادٌ، فلا يمتنع إذاً أن يتجلَّى لأهل محبَّته وأصفيائه.

وأما قولهم: إنَّ، لتأييد النفي، وإنَّها تدل على عدم وقوع الرؤية أصلاً؛

فهو كذب على اللغة فقد قال تعالى حكايةً عن الكفار: ﴿وَلَنْ يَتَمَنَّوهُ

أَبَدًا﴾ [البقرة: ٩٥]، ثمَّ قال: ﴿وَنَادُوا يَمْنٰكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾

[الزخرف: ٧٧]، فأخبر عن عدم تمنِّيهم للموت بـ ﴿لَنْ﴾، ثمَّ أخبر عن

تمنِّيهم له وهم في النَّار.

وإذا؛ فمعنى قوله: ﴿لَنْ تَرِنِّي﴾: لن تستطيع رؤيتي في الدنيا؛ لضعف

قوى البشر فيها عن رؤيته سبحانه، ولو كانت الرؤية ممتنعة لذاتها؛ لقال: إنِّي

لا أرى، أو لا يجوز رؤيتي، أو لست بمريٍّ... ونحو ذلك، والله أعلم.

مباحث عامّة حول آيات الصفات

إنّ الناظر في آيات الصفات التي ساقها المؤلّف رحمه الله يستطيع أن يستنبط منها قواعد وأصولاً هامّة يجب الرجوع إليها في هذا الباب:

الأصل الأوّل: اتفق السلف على أنّه يجب الإيمان بجميع الأسماء الحسنى، وما دلّت عليه من الصفات، وما ينشأ عنها من الأفعال.

مثال ذلك القدرة مثلاً، يجب الإيمان بأنّه سبحانه على كل شيء قدير، والإيمان بكمال قدرته، والإيمان بأنّ قدرته نشأت عنها جميع الكائنات.

وهكذا بقية الأسماء الحسنى على هذا النمط.

وعلى هذا؛ فما ورد في هذه الآيات التي ساقها المصنّف من الأسماء الحسنى؛ فإنّها داخلة في الإيمان بالاسم.

وما فيها من ذكر الصفات؛ مثل: عزّة الله، وقدرته، وعلمه، وحكمته، وإرادته، ومشيتته، فإنّها داخلة في الإيمان بالصفات.

وما فيها من ذكر الأفعال المطلقة والمقيّدة، مثل: يعلم كذا، ويحكم ما يريد، ويرى، ويسمع، وينادي، ويناجي، وكلّم، ويكلّم؛ فإنّها داخلة في الإيمان بالأفعال.

الأصل الثاني: دلّت هذه النصوص القرآنية على أنّ صفات الباري

قسمان:

١ - صفات ذاتية لا تنفك عنها الذات، بل هي لازمة لها أزلاً وأبداً، ولا تتعلق بها مشيئته تعالى وقدرته، وذلك كصفات: الحياة، والعلم، والقدرة، والقوة، والعزة، والملك، والعظمة، والكبرياء، والمجد، والجلال... إلخ.

[صفات الذات]

[صفات الفعل]

٢ - صفات فعلية تتعلق بها مشيئته وقدرته كل وقت وأن، وتحدث بمشيئته وقدرته آحاد تلك الصفات من الأفعال، وإن كان هو لم يزل موصوفاً بها، بمعنى أن نوعها قديم، وأفرادها حادثة، فهو سبحانه لم يزل فعلاً لما يريد، ولم يزل ولا يزال يقول ويتكلم ويخلق ويدبر الأمور، وأفعاله تقع شيئاً فشيئاً، تبعاً لحكمته وإرادته.

فعلى المؤمن الإيمان بكل مانسبه الله لنفسه من الأفعال المتعلقة بذاته؛ كالاستواء على العرش، والمحيء، والإتيان، والنزول إلى السماء الدنيا، والضحك، والرضى، والغضب، والكرهية، والمحبة. والمتعلقة بخلقه؛ كالخلق، والرزق، والإحياء، والإماتة، وأنواع التدبير المختلفة.

الأصل الثالث: إثبات تفرّد الربّ جلّ شأنه بكل صفة كمال، وأنّه ليس له شريك أو مثيل في شيءٍ منها.

وما ورد في الآيات السابقة من إثبات المثل الأعلى له وحده، ونفي الند والمثل والكفاء والسمي والشريك عنه يدل على ذلك؛ كما يدل على أنّه منزّه عن كل نقصٍ وعيبٍ وآفةٍ.

الأصل الرابع: إثبات جميع ما ورد به الكتاب والسنة من الصفات، لا فرق بين الذاتية منها؛ كالعلم والقدرة والإرادة والحياة والسمع والبصر

ونحوها، والفعلية؛ كالرضا والمحبة والغضب والكرهية، وكذلك لا فرق بين إثبات الوجه واليدين ونحوهما، وبين الاستواء على العرش والنزول، فكلها مما اتفق السلف على إثباته بلا تأويل ولا تعطيل، وبلا تشبيه وتمثيل.

والمخالف في هذا الأصل فريقان:

١- الجهمية: ينفون الأسماء والصفات جميعاً.

٢- المعتزلة: فإنهم ينفون جميع الصفات، ويثبتون الأسماء والأحكام، فيقولون: عليم بلا علم، وقدير بلا قدرة، وحي بلا حياة... إلخ.

وهذا القول في غاية الفساد؛ فإن إثبات موصوف بلا صفة، وإثبات ما للصفة للذات المجردة محال في العقل؛ كما هو باطل في الشرع.

أما الأشعرية ومن تبعهم؛ فإنهم يوافقون أهل السنة في إثبات سبع صفات يسمونها صفات المعاني، ويدعون ثبوتها بالعقل، وهي: الحياة، والعلم، والقدرة، والإرادة، والسمع، والبصر، والكلام.

ولكنهم وافقوا المعتزلة في نفي ما عدا هذه السبع من الصفات الخيرية التي صحَّ بها الخبر.

والكل محجوجون بالكتاب والسنة وإجماع الصحابة والقرون المفضلة على الإثبات العام.

(فصل: ثُمَّ فِي سُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَالسُّنَّةُ تُفَسَّرُ الْقُرْآنَ، وَتُبَيِّنُهُ، وَتَدُلُّ عَلَيْهِ، وَتُعَبِّرُ عَنْهُ، وَمَا وَصَفَ الرَّسُولُ بِهِ رَبَّهُ عَزَّ

وَجَلَّ مِنْ الْأَحَادِيثِ الصَّحَاحِ الَّتِي تَلَقَّاهَا أَهْلُ الْمَعْرِفَةِ بِالْقَبُولِ؛ وَجَبَ
الإِيمَانُ بِهَا كَذَلِكَ^(١).

قوله: ((ثُمَّ فِي سُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ)) عطفٌ على قوله فيما تقدّم: ((وقد
دخل في هذه الجملة ما وصف الله به نفسه في سورة الإخلاص... إلخ))؛
يعنى: ودخل فيها ما وصف به الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَبَّهُ فيما وردت
به السنة الصحيحة.

والسنة هي الأصل الثاني الذي يجب الرجوع إليه، والتعويل عليه بعد
كتاب الله عزَّ وجلَّ؛ قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾
[النساء: ١١٣]. والمراد بالحكمة: السنة. وقال: ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ
وَالْحِكْمَةَ﴾ [البقرة: ١٢٩]. وقال أمرًا لنساء نبيّه: ﴿وَأَذْكُرَنَّ مَا يُثَلَّى
فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ﴾ [الأحزاب: ٣٤]. وقال سبحانه:
﴿وَمَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر: ٧].

وقال صلواتُ الله وسلامُهُ عليه وآله: ((ألا إني أوتيت القرآن
ومثله معه))^(٢).

(١) في الأصل: ثُمَّ سُنَّةُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تُفَسِّرُ الْقُرْآنَ، وَتُبَيِّنُهُ،

(٢) رواه أحمد في ((المسند)) (١٣١/٤)، وأبو داود (٤٦٠٤)، والطبراني (٢٨٣/٢٠)، من
حديث المقدم بن معديكرب رضي الله عنه.

والحديث صححه الشوكاني في ((نيل الأوطار)) (١٦٩/٢)، والألباني في ((تحذير الساجد))

[منزلة السنة
من القرآن]

وحكم السنة حكم القرآن في ثبوت العلم واليقين والاعتقاد والعمل؛
فإنَّ السنة توضيح للقرآن، وبيان للمراد منه: تفصّل مجمله، وتقيّد مطلقه،
وتخصّص عمومه؛ كما قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ
إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤].

[موقف أهل
البدع من السنة]

وأهل البدع والأهواء بإزاء السنة الصحيحة فريقان:

١- فريقٌ لا يتورّع عن ردها وإنكارها إذا وردت بما يخالف مذهبه؛
بدعوى أنّها أحاديث آحاد لا تفيد إلاّ الظنّ، والواجب في باب الاعتقاد
اليقين، وهؤلاء هم المعتزلة والفلاسفة.

٢- وفريق يُثبتها ويعتقد بصحة النقل، ولكنه يشتغل بتأويلها؛ كما
يشتغل بتأويل آيات الكتاب، حتى يخرجها عن معانيها الظاهرة إلى ما يريد
من معانٍ بالإلحاد والتحريف، وهؤلاء هم متأخرو الأشعرية، وأكثرهم توسّعاً
في هذا الباب الغزالي^(١)، والرّازي^(٢).

قوله: **((وما وصف الرسول به...))** إلخ؛ يعني: أنّه كما وجب الإيمان
بكل ما وصف الله به نفسه في كتابه من غير تحريفٍ ولا تعطيلٍ ولا تكييفٍ

(١) هو أبو حامد محمد بن محمد بن أحمد الطوسي، الشافعي، المتكلم، المتصوّف،
الفقيه، الأصولي، تاه في مناهات علم الكلام والتصوف فضّل وأضلّ، وقيل: رجع قبل وفاته.
ولد بطوس سنة (٤٥٠هـ)، ومن أشهر تصانيفه: «إحياء علوم الدين».

(٢) هو فخر الدين محمد بن ضياء الدين عمر بن الحسين القرشي البكري الطبرستاني، ولد سنة
(٥٤٤هـ)، أصولي، متكلم، مفسر، له تصانيف كثيرة مليئة بالضلالات والبدع والخرافات
والسحر، منها «التفسير الكبير» أو «مفاتيح الغيب»، مات سنة (٦٠٦هـ) بعد أن رجع وتاب.

ولا تمثيل؛ كذلك يجب الإيمان بكل ما وصفه به أعلم الخلق بربه وبما يجب له، وهو رسوله الصادق المصدوق صلوات الله وسلامه عليه وآله.

قوله: ((كذلك))؛ أي: إيمانًا مثل ذلك الإيمان، خاليًا من التحريف والتعطيل، ومن التكييف والتمثيل بل إثبات لها على الوجه اللائق بعظمة الربِّ جلَّ شأنه.

[أحاديث الصفات]

(فَمِنْ ذَلِكَ: ^(١) مِثْلُ قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَنْزِلُ رَبُّنَا إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا كُلَّ لَيْلَةٍ حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرِ، فَيَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ؟».)
مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ ^(٢).

قوله: ((فمن ذلك مثل قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ...)) إلخ؛ الكلام

على هذا الحديث من جهتين:

[صفة النزول]

الأولى: صحَّته من جهة النقل؛ وقد ذكر المؤلِّف رحمه الله أنه متَّفَق عليه. ويقول الذهبي في كتابه ((العلو للعلِّيِّ الغفَّار)) ^(٣): ((إنَّ أحاديث النزول متواترة، تفيد القطع)).

وعلى هذا؛ فلا مجال لإنكار أو جحود.

(١) ليست في الأصل.

(٢) رواه البخاري (١١٤٥)، ومسلم (٧٥٨).

(٣) انظر: ((العلو للعلِّيِّ الغفَّار)) (ص ٧٣، ٧٩)، و((مختصره)) (ص ١١٠، ١١٦)، ونص عبارته: ((وأحاديث نزول الباري متواترة))، وفي الموضع الآخر؛ قال: ((وقد أُلِّفَتْ أحاديث النزول في جزء، وذلك متواترٌ أقطع به)).

الثانية: ما يفيد هذا الحديث؛ وهو إخباره صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بنزول الربِّ تبارك وتعالى كل ليلة... إلخ.

ومعنى هذا أنَّ النزول صفة لله عزَّ وجلَّ على ما يليق بجلاله وعظمته، فهو لا يماثل نزول الخلق؛ كما أنَّ استواءه لا يماثل استواء الخلق.

يقول شيخ الإسلام رحمه الله في تفسيره سورة الإخلاص: ((فالربُّ سبحانه إذا وصفه رسوله بأنَّه ينزل إلى سماء الدنيا كل ليلة، وأنَّه يدنو عشية عرفة إلى الحجاج، وأنَّه كلَّم موسى بالوادي الأيمن في البقعة المباركة من الشجرة، وأنَّه استوى إلى السماء وهي دخانٌ، فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرهاً؛ لم يلزم من ذلك أن تكون هذه الأفعال من جنس ما نشاهده من نزول هذه الأعيان المشهودة حتى يُقال: ذلك يستلزم تفرغ مكان وشغل آخر))^(١).

فأهل السنَّة والجماعة يؤمنون بالنزول صفة حقيقية لله عزَّ وجلَّ، على الكيفية التي يشاء، فيثبتون النزول كما يثبتون جميع الصفات التي ثبتت في الكتاب والسنة، ويقفون عند ذلك، فلا يكيّفون ولا يمثّلون ولا ينفون ولا يعطلّون، ويقولون: إنَّ الرسول أخبرنا أنَّه ينزل، ولكنه لم يخبرنا كيف ينزل، وقد علمنا أنَّه فعَّال لما يريد، وأنَّه على كل شيء قدير.

ولهذا ترى خواصَّ المؤمنين يتعرَّضون في هذا الوقت الجليل لألطف رهم ومواهبه، فيقومون لعبوديته؛ خاضعين خاشعين، داعين متضرِّعين، يرجون منه حصول مطالبهم التي وعدهم بها على لسان رسوله صَلَّى اللهُ

(١) انظر: ((دقائق التفسير)) (٤٢٤/٦).

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

[صفة الفرح]

(وَقَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((لَلَّهِ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ الْمُؤْمِنِ التَّائِبِ مِنْ أَحَدِكُمْ بِرَاحِلَتِهِ)) مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ^(١)).

قوله: ((لَلَّهِ أَشَدُّ فَرَحًا...)) إلخ؛ تنمة هذا الحديث؛ كما في البخاري وغيره: ((لَلَّهِ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ الْمُؤْمِنِ مِنْ رَجُلٍ بِأَرْضِ فِلاةٍ دَوِيَّةٍ مَهْلِكَةٍ وَمَعَهُ رَاحِلَتُهُ عَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشِرَابُهُ، فَنَزَلَ عَنْهَا، فَنَامَ وَرَاحِلَتُهُ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَاسْتَيْقَظَ وَقَدْ ذَهَبَتْ، فَذَهَبَ فِي طَلِبِهَا، فَلَمْ يَقْدِرْ عَلَيْهَا، حَتَّى أَدْرَكَهُ الْمَوْتُ مِنَ الْعَطَشِ، فَقَالَ: وَاللَّهِ لَأَرْجِعَنَّ فَلَأَمُوتَنَّ حَيْثُ كَانَ رَحْلِي، فَارْجِعْ، فَنَامَ، فَاسْتَيْقَظَ، فِإِذَا رَاحِلَتُهُ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ أَنْتَ عَبْدِي وَأَنَا رِيكُ. أَخْطَأُ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ))^(٢).

وفي هذا الحديث إثبات صفة الفرح لله عَزَّ وَجَلَّ، والكلام فيه كالكلام في غيره من الصفات: أَنَّهُ صِفَةٌ حَقِيقَةٌ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، عَلَى مَا يَلِيقُ بِهِ، وَهُوَ مِنْ صِفَاتِ الْفِعْلِ التَّابِعَةِ لِمَشِئَتِهِ تَعَالَى وَقُدْرَتِهِ، فَيَحْدُثُ لَهُ هَذَا الْمَعْنَى الْمَعْبُورُ عَنْهُ بِالْفَرَحِ عِنْدَمَا يُحْدِثُ عَبْدُهُ التَّوْبَةَ وَالْإِنَابَةَ إِلَيْهِ، وَهُوَ مُسْتَلْزِمٌ لِرِضَاهِ عَنْ عَبْدِهِ التَّائِبِ، وَقَبُولِهِ تَوْبَتِهِ.

وإذا كان الفرح في المخلوق على أنواع؛ فقد يكون فرح خفة وسرور وطرب، وقد يكون فرح أشد وبطري؛ فالله عَزَّ وَجَلَّ مَنْزَهُ عَنْ ذَلِكَ كُلِّهِ،

(١) رواه البخاري (٦٣٠٩)، ومسلم (٢٧٤٧) واللفظ له.

(٢) تقدم تخريجه آنفاً.

ففرحهُ لا يشبه فرح أحد من خلقه، لا في ذاته، ولا في أسبابه، ولا في غاياته، فسببه كمال رحمته وإحسانه التي يجب من عباده أن يتعرَّضوا لها، وغايته إتمام نعمته على التائبين المنيبين.

وأما تفسير الفرح بلازمه، وهو الرضا، وتفسير الرضا بإرادة الثواب؛ فكلُّ ذلك نفْيٌ وتعطيلٌ لفرحه ورضاه سبحانه، أوجبه سوءُ ظنِّ هؤلاء المعطَّلة برهم، حيث توهموا أنَّ هذه المعاني تكون فيه كما هي في المخلوق، تعالى الله عن تشبيههم وتعطيلهم.

﴿وَقَوْلُهُ: صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (يَضْحَكُ اللَّهُ إِلَى رَجُلَيْنِ يَقْتُلُ أَحَدُهُمَا الْآخَرَ؛ كِلَاهُمَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ) مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ^(١).﴾

[إثبات صفة الضحك]

قوله: ﴿يَضْحَكُ اللَّهُ إِلَى رَجُلَيْنِ...﴾ إلخ؛ يثبت أهل السنة والجماعة الضحك لله عزَّ وجلَّ - كما أفاده هذا الحديث وغيره - على المعنى الذي يليق به سبحانه، والذي لا يشبهه ضحك المخلوقين عندما يستخفُّهم الفرح، أو يستفزُّهم الطرب؛ بل هو معنى يحدث في ذاته عند وجود مقتضيه، وإنما يحدث بمشيئته وحكمته؛ فإنَّ الضحك إنما ينشأ في المخلوق عند إدراكه لأمرٍ عجيبٍ يخرج عن نظائره، وهذه الحالة المذكورة في هذا الحديث كذلك؛ فإنَّ تسليط الكافر على قتل المسلم مدعاةً في بادئ الرأي لسخط الله على هذا الكافر، وخذلانه، ومعاقبته في الدنيا والآخرة، فإذا منَّ الله

(١) رواه البخاري (٢٨٢٦)، ومسلم (١٨٩٠)، واللفظ له، ومالك في «الموطأ»، والنسائي في «سننه»، وتمتة الحديث: «يقاتل هذا في سبيل الله، ثمَّ يستشهد، فيتوب الله على القاتل، فيسلم، فيقاتل في سبيل الله، فيستشهد».

على هذا الكافر بعد ذلك بالتوبة، وهداه للدخول في الإسلام، وقاتل في سبيل الله حتى يستشهد فيدخل الجنة؛ كان ذلك من الأمور العجيبة حقًا.

وهذا من كمال رحمته وإحسانه وسعة فضله على عباده سبحانه؛ فإنَّ المسلم يقاتل في سبيل الله، ويقتله الكافر، فيكرم الله المسلم بالشهادة، ثمَّ يمُنُّ على ذلك القاتل، فيهديه للإسلام والاستشهاد في سبيله، فيدخلان الجنة جميعًا.

وأما تأويل ضحكه سبحانه بالرضا أو القبول أو أن الشيء حلَّ عنده بمحلٍّ ما يضحك منه، وليس هناك في الحقيقة ضحك؛ فهو نفي لما أثبتته رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لربه، فلا يُلْتَفَتُ إليه.

(وَقَوْلُهُ: «عَجِبَ رَبُّنَا مِنْ قُنُوطِ عِبَادِهِ وَقُرْبِ خَيْرِهِ، يَنْظُرُ إِلَيْكُمْ أَرْزَلِينَ قَبِيظِينَ، فَيُظَلُّ يَضْحَكُ يَعْلَمُ أَنَّ فَرَجَكُمْ قَرِيبٌ»^(١). حَدِيثٌ حَسَنٌ^(٢)).

[إثبات صفة

العجب]

قوله: **(«عَجِبَ رَبُّنَا...»)** إلخ؛ هذا الحديث يثبت لله عزَّ وجلَّ صفة العجب، وفي معناه قوله عليه الصلاة والسلام: **(«عجب ربك من شابَّ**

(١) (إسناده ضعيف). لم أجده بهذا اللفظ، ولكن بلفظ: **(«يضحك»)**، أو: **(«ضحك ربنا»)**، ولفظ: **(«غَيْرِهِ»)**؛ بدل: **(«خَيْرِهِ»)**. والحديث رواه ابن ماجه في المقدمة، (باب: فيما أنكرت الجهمية)، وأحمد في **(«المسند»)** (٤/١١)، والطبراني في **(«الكبير»)** (٢٠٨/١٩)، والآجري في **(«الشریعة»)** (ص ٢٧٩)، والبيهقي في **(«الأسماء والصفات»)**، واللالكائي في **(«شرح أصول الاعتقاد»)** (٣/٤٢٦)؛ كلهم من طريق وكيع بن حُدُس - وقيل: عُذُس - عن عمه أبي رزين. ووكيع؛ قال عنه الذهبي: **(«لا يعرف»)**. وقال الحافظ: **(«مقبول»)**.

والحديث حسَّنه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (١٨١).

(٢) هذا الحكم ليس في الأصل، وقد يكون من تصرف النساخ.

ليس له صبوة»^(١).

وقرأ ابن مسعود رضي الله عنه: ﴿بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ﴾ [١٢] ^(٢)؛ بضم التاء على أنها ضميرٌ للرَّبِّ جلَّ شأنه.

وليس عجبه سبحانه ناشئاً عن خفاء في الأسباب أو جهل بحقائق الأمور؛ كما هو الحال في عجب المخلوقين؛ بل هو معنى يحدث له سبحانه على مقتضى مشيئته وحكمته وعند وجود مقتضيه، وهو الشيء الذي يستحقُّ أن يتعجب منه.

وهذا العَجَب الذي وصف به الرسول رَبَّهُ هنا من آثار رحمته، وهو من كماله تعالى، فإذا تأخَّر الغيث عن العباد مع فقرهم وشدة حاجتهم، واستولى عليهم اليأس والقنوط، وصار نظرهم قاصراً على الأسباب الظاهرة،

(١) (إسناده ضعيف). رواه أحمد في «المسند» (١٥١/٤)، وأبو يعلى في «مسنده» (٢٨٨/٣)، والقضاعي في «مسند الشهاب» (٣٣٦/١)، والطبراني في «الكبير»؛ كلهم من طريق ابن لهيعة عن أبي عَشَّانة، به. وقال عنه السخاوي في «المقاصد» (ص ١٢٣): «ضعفه شيخنا - يعني: الحافظ ابن حجر - في فتاويه لأجل ابن لهيعة» اهـ. وضعفه الألباني في «السلسلة الضعيفة» (رقم ١٦٥٨).

ويغني عنه وعن الحديث الذي قبله ما رواه البخاري (٣٠١٠) عن أبي هريرة مرفوعاً: «عجب الله من قوم يدخلون الجنة في السلاسل». وما رواه أيضاً (٤٨٨٩) عن أبي هريرة مرفوعاً: «لقد عجب الله عزَّ وجلَّ - أو ضحك - من فلان وفلانة». وهو عند مسلم (٢٠٥٤) بلفظ: «قد عجب الله من صنعكما بضيفكما الليلة».

(٢) وقد ثبتت هذه القراءة عند الحاكم (٤٣٠/٢) بسند صحيح، ومن طريقه البيهقي في «الأسماء والصفات» (٢٢٥/٢). قال الحاكم: «هذا حديث صحيح على شرط البخاري ومسلم ولم يخرجاه ووافقه الذهبي».

وحسبوا أن لا يكون وراءها فرجٌ من القريب المجيب؛ فيعجب الله منهم. وهذا محلٌ عجيبٌ حقاً؛ إذ كيف يقنطون ورحمته وسعت كلَّ شيء، والأسباب لحصولها قد توفّرت؟! فإنَّ حاجة العباد وضرورتهم من أسباب رحمته، وكذا الدعاء بحصول الغيث والرجاء في الله من أسبابها، وقد جرت عادته سبحانه في خلقه أنَّ الفرج مع الكرب، وأنَّ اليسر مع العسر، وأنَّ الشدة لا تدوم، فإذا انضمَّ إلى ذلك قوَّة التجاء وطمع في فضل الله، وتضرع إليه ودعاء؛ فتح اللهم عليهم من خزائن رحمته ما لا يخطر على البال.

والقنوط مصدر (قَنَطَ)، وهو اليأس من رحمة الله؛ قال تعالى: ﴿قَالَ

وَمَنْ يَقْنُطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ﴾ [الحجر: ٥٦].

قوله: ((وَقُرْبٌ خَيْرٌ))؛ أي: فضله ورحمته. وقد رُوِيَ: ((غَيْرِهِ)). والغَيْرُ:

اسم من قولك: غَيَّرَ الشيء فتغيَّرَ.

وفي حديث الاستسقاء: ((مَنْ يَكْفُرُ بِاللَّهِ يَلْقَ الْغَيْرَ))^(١)؛ أي: تغيَّرَ

الحال، وانتقالها من الصلاح إلى الفساد.

قوله: ((أَزْلِينِ قَنْطِينِ)): حالان من الضمير المجرور في ((إليكم)).

(١) (إسناده ضعيف). رواه الطبراني في ((المعجم الكبير)) (٢٥/٢٤٤)، وفي ((الدعاء))

(٣/١٧٧٥)، والبيهقي في ((دلائل النبوة)) (٦/١٤١) من حديث أنس رضي الله عنه الطويل

في الاستسقاء، وفيه أن رجلاً أنشد بين يدي النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قصيدة آخرها:

فمن يشكر الله يلقى المزيد ومن يكفر الله يلقى الغَيْرَ

وعلة إسنادهما: مسلم بن كيسان المالطي؛ وهو ضعيف.

و((أزّلين)): جمع آزل، اسم فاعل من الأزل؛ بمعنى الشدة والضيقة.
يقال: أزل الرجل يأزل أزلاً، من باب فرح؛ أي: صار في ضيق وجذب.

(وَقَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تَزَالُ جَهَنَّمُ يُلْقَى فِيهَا وَهِيَ تَقُولُ: هَلْ مِنْ مَزِيدٍ؟ حَتَّى يَضَعَ رَبُّ الْعِزَّةِ فِيهَا رِجْلَهُ»^(١) [وَفِي رِوَايَةٍ: عَلَيْهَا قَدَمُهُ] فَيَنْزَوِي بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ، فَتَقُولُ: قَطُّ قَطُّ) مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ^(٢).

[إثبات صفة
الرجل، والقدم]

قوله: ((لا تزال جهنم...)) إلخ؛ في هذا الحديث إثبات الرجل والقدم لله عز وجل، وهذه الصفة تُجرى مجرى بقية الصفات، فثبت لله على الوجه اللائق بعظمته سبحانه.

والحكمة من وضع رجله سبحانه في النار أنه قد وعد أن يملأها؛ كما في قوله تعالى: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [هود: ١١٩].

ولما كان مقتضى رحمته وعدله أن لا يعدب أحداً بغير ذنب، وكانت النار في غاية العمق والسعة؛ حقق وعده تعالى، فوضع فيها قدمه، فحينئذ يتلاقى طرفاها، ولا يبقى فيها فضل عن أهلها.

وأما الجنة؛ فإنه يبقى فيها فضل عن أهلها مع كثرة ما أعطاهم وأوسع لهم، فينشئ الله لها خلقاً آخرين؛ كما ثبت بذلك الحديث^(٣).

(١) ليست في الأصل.

(٢) رواه البخاري (٦٦٦١) ومسلم (٢٨٤٨).

(٣) يشير إلى ما رواه الشيخان: ((لا تزال جهنم يُلقى فيها...))، وقد تقدّم تحريجه. وتممة الحديث: ((... ولا تزال الجنة تفضل حتى ينشئ الله لها خلقاً، فيسكنهم فضل الجنة)).

(وَقَوْلُهُ: ((يَقُولُ تَعَالَى: يَا آدَمُ! فَيَقُولُ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ. فَيَنَادِي بِصَوْتٍ: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَخْرُجَ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ بَعَثًا إِلَى النَّارِ)). مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ^(١). وَقَوْلُهُ: ((مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا سَيِّئٌ لِرَبِّهِ وَلَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تَرْجُمَانٌ))^(٢).

قوله: **((يقول تعالى: يا آدم...))** إلخ؛ في هذين الحديثين إثبات القول والنداء والتكليم لله عزَّ وجلَّ، وقد سبق أن بيَّنا مذهب أهل السُّنَّة والجماعة في ذلك، وأنهم يؤمنون بأنَّ هذه صفات أفعال له سبحانه تابعة لمشيئته وحكمته، فهو قال، ويقول، ونادى، وينادي، وكلم، ويكلم، وأنَّ قوله ونداءه وتكليمه إمَّا يكون بحروف وأصوات يسمعها من يناديه ويكلمه، وفي هذا ردُّ على الأشاعرة في قولهم: إنَّ كلامه قديم، وإنَّه بلا حرفٍ ولا صوتٍ.

وقد دلَّ الحديث الثاني على أنَّه سبحانه سيكلم جميع عباده بلا واسطة، وهذا تكليم عامٌّ؛ لأنَّه تكليمٌ محاسبيةٌ، فهو يشمل المؤمنَ والكافرَ والبرَّ والفاجر، ولا ينافيه قوله تعالى: ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ﴾ [البقرة: ١٧٤]، [آل عمران: ٧٧]؛ لأنَّ المنفيَّ هنا هو التكليم بما يسرُّ المكلم، وهو تكليمٌ خاصٌّ، ويقابله تكليمه سبحانه لأهل الجنَّة تكليمَ محبة ورضوان وإحسان.

(١) رواه البخاري (٤٧٤١)، ومسلم (٢٢٢)، وللحديث روايات أخرى.

وتتمة الحديث: «... قال: يا رب! وما بعث النَّار؟ قال: من كل ألف تسع مئة وتسعة وتسعون، فحينئذ تضع الحمل حملها، ويشيب الوليد، ...». فشق ذلك على الناس حتى تغيَّرت وجوههم، قالوا: يا رسول الله! أينما ذلك الرجل؟ فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «(من يأجوج ومأجوج تسع مئة وتسعة وتسعون، ومنكم واحد)».

(٢) رواه البخاري، ومسلم، وقد سبق تخريجه (ص: ١٧٨).

[إثبات
العلو، والفوقية]

(وَقَوْلُهُ فِي رُفْيَةِ الْمَرِيضِ: ((رَبَّنَا اللَّهُ الَّذِي فِي السَّمَاءِ، تَقَدَّسَ
اسْمُكَ، أَمْرُكَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، كَمَا رَحِمْتِكَ فِي السَّمَاءِ اجْعَلْ
رَحِمَتَكَ فِي الْأَرْضِ، اغْفِرْ لَنَا حُوبَنَا وَخَطَايَانَا، أَنْتَ رَبُّ الطَّيِّبِينَ، أَنْزِلْ
رَحْمَةً مِنْ رَحِمَتِكَ، وَشِفَاءً مِنْ شِفَائِكَ عَلَى هَذَا الْوَجْعِ؛ فَيُرَأَى))^(١).
[حَدِيثٌ حَسَنٌ، رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَغَيْرُهُ] ^(٢). وَقَوْلُهُ: ((أَلَا تَأْمُنُونِي وَأَنَا
أَمِينٌ مَنْ فِي السَّمَاءِ))^(٣). [حَدِيثٌ صَحِيحٌ] ^(٤). وَقَوْلُهُ: ((وَالْعَرْشُ فَوْقَ
الْمَاءِ، وَاللَّهُ فَوْقَ الْعَرْشِ)^(٥)، وَهُوَ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ))^(٦) [حَدِيثٌ حَسَنٌ،

(١) رواه أبو داود (٣٨٩٢)، والحاكم (٤٩٤/١)، والطبراني في ((المعجم الأوسط)) (٢٨٠/٨) (٨٦٣٦) من حديث أبي الدرداء. وفيه زيادة بن محمد الأنصاري. قال عنه البخاري والنسائي: ((منكر الحديث)). انظر: ((الميزان)) (٩٨/٢). وقال الذهبي فيه: ((وقد انفرد بحديث الرقية: ربنا الله الذي في السماء))، فالإسناد ضعيف جداً.

ورواه الإمام أحمد في ((المسند)) (٢١/٦) من حديث فضالة بن عبيد الأنصاري، وفي سنده أبو بكر بن أبي مريم الغساني، وهو ضعيف. وهو في ((الكامل)) لابن عدي (١٠٥٤/٣) من طريق فضالة عن أبي الدرداء به.

(٢) ليست في الأصل.

(٣) رواه البخاري (٦٧/٨)، ومسلم (١٦٨/٧).

(٤) ليست في الأصل.

(٥) في الأصل: وَالْعَرْشُ فَوْقَ ذَلِكَ، وَاللَّهُ فَوْقَ عَرْشِهِ....

(٦) رواه أبو داود (٤٧٢٥)، والترمذي (٣٣٢٠)، وابن ماجه (١٩٣)، ولم يصح مرفوعاً، وصحَّ موقوفاً على ابن مسعود رضي الله عنه، وله حكم الرفع، بلفظ: ((العرش فوق الماء، والله فوق العرش، لا يخفى عليه شيء من أعمالكم)). رواه ابن خزيمة في ((التوحيد)) (٢٤٣/١)، والدارمي في ((الرد على المريسي)) (ص٤٦). وأبو الشيخ في ((العظمة)) (٥٦٥/٢)، واللالكائي في ((شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة)) (٣٩٦/٣). =

رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَغَيْرُهُ^(١).

وَقَوْلُهُ لِلْجَارِيَةِ: ((أَيْنَ اللَّهِ؟)). قَالَتْ: فِي السَّمَاءِ. قَالَ: ((مَنْ أَنَا؟)).
قَالَتْ: أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ. قَالَ: ((أَعْتَقَهَا فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ)) رَوَاهُ مُسْلِمٌ^(٢)

قوله: ((رَبَّنَا اللَّهُ الَّذِي فِي السَّمَاءِ...)) إلخ؛ الحديث الأول
[والثاني]^(٣) صريحٌ في علوّه تعالى وفوقيّته؛ فهو كقوله تعالى: ﴿عَٰمِنُّم مِّن فِي
السَّمَآءِ﴾ [الملك: ١٦].

وقد سبق أن قلنا: إنّ هذه النصوص ليس المراد منها أنّ السماء ظرفٌ
حاوٍ له سبحانه؛ بل (في) إمّا أن تكون بمعنى (على)؛ كما قاله كثير من
أهل العلم واللغة، و(في) تكون بمعنى (على) في مواضع كثيرة؛ مثل قوله
تعالى: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ﴾ [طه: ٧١]، وإمّا أن يكون المراد
من السماء جهة العلو، وعلى الوجهين فهي نصٌّ في علوّه تعالى على خلقه.
وفي حديث الرقية المذكور توسّلٌ إلى الله عزّ وجلّ بالثناء عليه بربوبيّته
وإلهيّته وتقديس اسمه وعلوّه على خلقه وعموم أمره الشرعي وأمره القدري، ثمّ
توسّلٌ إليه برحمته التي شملت أهل سماواته جميعاً أن يجعل لأهل الأرض نصيباً

= صحح إسناده ابن القيم كما في «مختصر الصواعق المرسلّة» (٤٣٥) والذهبي في «العرش»

(١٠٥) وفي «العلو» (٧٩)، ووافقه الألباني. انظر: «مختصر العلو» (ص ١٠٣).

(١) ليست في الأصل.

(٢) رواه مسلم (٥٣٧)، ومالك، وأبو داود، والنسائي.

(٣) زيادة يقتضيها السياق.

منها، ثمَّ توسلٌ إليه بسؤال مغفرة الحُوب وهو الذنب العظيم، ثمَّ الخطايا التي هي دونه، ثمَّ توسلٌ إليه بربوبيته الخاصّة للطّيّين من عباده، وهم الأنبياء وأتباعهم، التي كان من آثارها أن غمّهم بنعم الدّين والدّنيا الظاهرة والباطنة.

فهذه الوسائل المتنوّعة إلى الله لا يكاد يُرَدُّ دعاء من توسّل بها، ولهذا دعا الله بعدها بالشفاء الذي هو شفاء الله الذي لا يدع مرضاً إلا أزاله، ولا تعلّق فيه لغير الله.

فهل يفقه هذا عبّاد القبور من المتوسّلين بالذوات والأشخاص والحق والجاه والحرمة ونحو ذلك؟!!

وأما قوله: **((وَالْعَرْشُ فَوْقَ الْمَاءِ...))**^(١) إلخ؛ ففيه الجمع بين الإيمان بعلوّه تعالى على عرشه، وبإحاطة علمه بالموجودات كلها.

فسبحان من هو عليٌّ في دنوّه، قريبٌ في علوّه.

وأما الحديث الرابع^(٢)؛ فقد تضمّن شهادة الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالإيمان للجارية التي اعترفت بعلوه تعالى على خلقه، فدلّ ذلك على أنّ وصف العلوّ من أعظم أوصاف الباري جل شأنه، حيث خصّه بالسؤال عنه دون بقية الأوصاف، ودلّ أيضاً على أنّ الإيمان بعلوّه المطلق من كل وجه هو من أعظم أصول الإيمان، فمن أنكره؛ فقد حرّم الإيمان الصحيح.

(١) هذا هو الحديث الثالث.

(٢) في المطبوعة: «(الثاني)»، والصواب ما أثبتّه، وفيها تقديم شرح الحديث الرابع على الثالث، وجعلته هنا مرتباً حسب ما في المتن.

والعجب من هؤلاء الحمقى من المعطلة النفاة زعمهم أنهم أعلم بالله من رسوله، فينفون عنه الأين بعدما وقع هذا اللفظ بعينه من الرسول مرة سائلاً غيره - كما في هذا الحديث -، ومرة مجيباً لمن سأله بقوله: أين كان ربنا؟

[إثبات
صفة المعية]

وَقَوْلُهُ: ((أَفْضَلُ الْإِيمَانِ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ مَعَكَ حَيْثُمَا كُنْتَ))^(١).

حَدِيثٌ حَسَنٌ.

وَقَوْلُهُ: ((إِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ إِلَى الصَّلَاةِ؛ فَلَا يَبْصُقَنَّ قِبَلَ وَجْهِهِ، وَلَا عَن يَمِينِهِ؛ فَإِنَّ اللَّهَ قِبَلَ وَجْهِهِ، وَلَكِنْ عَن يَسَارِهِ، أَوْ تَحْتَ قَدَمِهِ))^(٢).
مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ^(٣).

وَقَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ

(١) ليس في الأصل.

والحديث رواه الطبراني في ((المعجم الأوسط)) (٣٣٦/٨) (٨٧٩٦)، وأبو نعيم في ((حلية الأولياء)) (١٢٤/٦). من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه. قال الهيثمي في ((مجمع الزوائد)) (٦٠/١): «رواه الطبراني في الأوسط والكبير، وقال: تفرد به عثمان بن كثير. قلت: ولم أرَ مَنْ ذكره بثقة ولا جرح» اهـ. وهو في ((الأسماء والصفات)) للبيهقي (ص ٥٤١) من رواية عثمان بن كثير أيضاً، ولكنه في ((مسند الشاميين)) للطبراني (٣٠٥/١) من رواية عثمان بن سعيد بن كثير؛ قال عنه في ((التقريب)): «ثقة عابد». وفي سنده أيضاً نعيم بن حماد الراوي عنه. انظر ((الحلية)) (١٢٤/٦)؛ قال عنه الذهبي في ((الميزان)): «من الأئمة الأعلام، على لِينٍ في حديثه»، وقال الحافظ في ((التقريب)): «صدوق يخطئ كثيراً». والحديث ضعّفه الألباني في ((ضعيف الجامع)) (١٠٠٢).

(٢) رواه بألفاظ مختلفة: البخاري (٤١٦)، ومسلم (٣٠٠٨)، وغيرهما.

(٣) ليست في الأصل.

[وَالْأَرْضِ] ^(١) وَرَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، رَبَّنَا وَرَبَّ كُلِّ شَيْءٍ، فَالِقَ الْحَبِّ وَالنَّوَى، مُنَزَّلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ [نَفْسِي وَمِنْ شَرِّ] ^(٢) كُلِّ دَابَّةٍ أَنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا، أَنْتَ الْأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْبَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ؛ اقضِ عَنِّي الدَّيْنَ وَأَغْنِنِي مِنَ الْفَقْرِ) ^(٣). [رَوَايَةٌ مُسْلِمٌ] ^(٤).

وَقَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَمَّا رَفَعَ [الصَّحَابَةَ] ^(٥) أَصْوَاتَهُمْ بِالذِّكْرِ: ((أَيُّهَا النَّاسُ! ارْبِعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ؛ فَإِنَّكُمْ لَا تَدْعُونَ أَصَمًّا وَلَا غَائِبًا، إِنَّمَا تَدْعُونَ سَمِيعًا [بَصِيرًا] ^(٦) قَرِيبًا. إِنَّ الَّذِي تَدْعُونَهُ أَقْرَبُ إِلَيَّ أَحَدِكُمْ مِنْ عُنُقِ رَاحِلَتِهِ)) ^(٧). مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ ^(٨).

قوله: ((أَفْضَلُ الْإِيمَانِ أَنْ تَعْلَمَ ...)) إلخ؛ فيه دلالة على أن أفضل الإيمان هو مقام الإحسان والمراقبة، وهو أن يعبد العبد ربه كأنه يراه ويشاهده، ويعلم أن الله معه حيث كان، فلا يتكلم ولا يفعل ولا يخوض في

(١) في الأصل: وَرَبَّ الْأَرْضِ.

(٢) ليست في الأصل.

(٣) (صحيح). سبق تحريجه (ص: ١١٦).

(٤) ليست في الأصل.

(٥) في الأصل: أصحابه.

(٦) ليست في الأصل، وهي إحدى الروايات عند البخاري.

(٧) رواه بالفاظ متقاربة: البخاري (٦٣٨٤)، ومسلم (٢٧٠٤).

(٨) ليست في الأصل.

أمرٍ إلا والله رقيبٌ مطلعٌ عليه؛ قال تعالى: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ [يونس: ٦١].

ولا شكَّ أنَّ هذه المعية إذا استحضرها العبد في كل أحواله؛ فإنه يستحيي من الله عزَّ وجلَّ أن يراه حيث نَهاه، أو أن يفتقده حيث أمره، فتكون عونًا له على اجتناب ما حرَّم الله، والمصارعة إلى فعل ما أمر به من الطاعات على وجه الكمال ظاهراً وباطناً، ولا سيما إذا دخل في الصلاة التي هي أعظم صلة ومناجاة بين العبد وربِّه، فيخشع قلبه، ويستحضر عظمة الله وجلاله، فتقلُّ حركاته، ولا يسيء الأدب مع ربه بالبصق أمامه أو عن يمينه.

قوله: ((إِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ إِلَى الصَّلَاةِ...)) إلخ؛ دلَّ على أنَّ الله عزَّ وجلَّ يكون قِبَلَ وَجْهِ المصليِّ.

قال شيخ الإسلام في ((العقيدة الحموية))^(١).

((إنَّ الحديث حقٌّ على ظاهره، وهو سبحانه فوق العرش، وهو قِبَلَ وجه المصلي، بل هذا الوصف يَثْبُتُ للمخلوقات؛ فإنَّ الإنسان لو أنَّه يناجي السماء أو يناجي الشمس والقمر؛ لكانت السماء والشمس والقمر فوقه، وكانت أيضاً قِبَلَ وجهه)). اهـ

قوله: ((اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَوَاتِ...)) إلخ؛ تضمَّن الحديث إثبات أسماءه تعالى: الأول، والآخر، والظاهر، والباطن، وهي من الأسماء الحسنى، وقد

(١) انظر: ((مجموع الفتاوى)) (١٠٧/٥).

فسرها النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بما لا يدع مجالاً لقائلٍ، فهو أعلم الخلق جميعاً بأسماء ربه وبالمعاني التي تدلُّ عليها، فلا يصحُّ أن يُلتفت إلى قول غيره أيّاً كان.

وفي الحديث أيضاً يعلمنا نبينا صلوات الله وسلامه عليه وآله كيف نشي على ربنا عزَّ وجلَّ قبل السؤال، فهو يشي عليه بربوبيته العامة التي انتظمت كل شيء، ثمَّ بربوبيته الخاصة الممثَّلة في إنزاله هذه الكتب الثلاثة تحمل الهدى والنور إلى عباده، ثمَّ يعوذ ويعتصم به سبحانه من شر نفسه ومن شر كل ذي شر من خلقه، ثمَّ يسأله في آخر الحديث أن يقضي عنه دينه، وأن يغنيه من فقرٍ.

قوله: **((أَيُّهَا النَّاسُ! ارْبِعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ...))** إلخ؛ أفاد هذا الحديث قربه سبحانه من عباده، وأنه ليس بحاجة إلى أن يرفعوا إليه أصواتهم؛ فإنه يعلم السرَّ والنَّجوى، وهذا القرب المذكور في الحديث قرب إحاطة، وعلم، وسمع، ورؤية، فلا ينافي علوه على خلقه.

(قَوْلُهُ: «إِنَّكُمْ سَتَرُونَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرُونَ الْقَمَرَ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، لَا تُضَامُونَ فِي رُؤْيِيهِ، فَإِنْ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لَا تُغْلَبُوا عَلَى صَلَاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَصَلَاةٍ قَبْلَ غُرُوبِهَا؛ فَافْعَلُوا»^(١). مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ^(٢)).

هذا الحديث الصحيح المتواتر يشهد لما دلَّت عليه الآيات السابقة من

(١) رواه البخاري (٥٥٤)، ومسلم (٦٣٣)، وغيرهما.

(٢) ليست في الأصل.

رؤية المؤمنين لله عزَّ وجلَّ في الجنة، وتمتعهم بالنظر إلى وجهه الكريم.

وهذه النصوص من الآيات والأحاديث تدلُّ على أمرين:

أولهما: علوه تعالى على خلقه؛ لأنها صريحة في أنهم يرونه من فوقهم.

ثانيهما: أن أعظم أنواع النعيم هو النظر إلى وجه الله الكريم.

وقوله: ((**كَمَا تَرَوْنَ الْقَمَرَ لَيْلَةَ الْبَدْرِ**))؛ المراد تشبيه الرؤية بالرؤية، لا

[إثبات رؤية

المؤمنين ربهم

يوم القيامة]

تشبيه المرئي بالمرئي؛ يعني: أن رؤيتهم لربهم تكون من الظهور والوضوح

كرؤية القمر في أكمل حالاته، وهي كونه بدرًا، ولا يحجبه سحاب، ولهذا

قال بعد ذلك: ((لا تضامون في رؤيته))؛ روي بتشديد الميم من التّضام؛

بمعنى: التزاحم والتلاصق، والتاء يجوز فيها الضمُّ والفتح، على أن الأصل

تتضامون، فحذفت إحدى التاءين تخفيفًا، وروي بتخفيف الميم من

الضيم؛ بمعنى: الظلم؛ يعني: لا يلحقكم في رؤيته ضيمٌ ولا غبنٌ.

وفي حثّه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في هذا الحديث على صلاة العصر

وصلاة الفجر خاصة إشارة إلى أن من حافظ عليهما في جماعة نال هذا

النعيم الكامل، الذي يضمحلُّ بإزائه كل نعيم، وهو يدلُّ على تأكيد هاتين

الصلاتين كما دلَّ على ذلك الحديث الآخر: ((يتعاقبون فيكم ملائكةٌ

بالليل وملائكة بالنهار، ويجتمعون في صلاة الصبح وصلاة العصر))^(١).

متفق عليه.

(١) جزء من حديث رواه البخاري (٤٨٥)، ومسلم (٦٣٢).

(إِلَى أَمْثَالِ هَذِهِ الْأَحَادِيثِ الَّتِي يُخْبِرُ فِيهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ رَبِّهِ بِمَا يُخْبِرُ بِهِ؛ فَإِنَّ الْفِرْقَةَ النَّاجِيَةَ أَهْلَ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةَ يُؤْمِنُونَ بِذَلِكَ؛ كَمَا يُؤْمِنُونَ بِمَا أَخْبَرَ اللَّهُ بِهِ فِي كِتَابِهِ؛ مِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ وَلَا تَعْطِيلٍ، وَمَنْ غَيْرِ تَكْيِيفٍ وَلَا تَمْثِيلٍ، بَلْ هُمْ الْوَسْطُ فِي فِرْقِ الْأُمَّةِ؛ كَمَا أَنَّ الْأُمَّةَ هِيَ الْوَسْطُ فِي الْأُمَّمِ).

قوله: ((إِلَى أَمْثَالِ هَذِهِ الْأَحَادِيثِ ...)) إلخ. لما كان ما ذكره المؤلف من الأحاديث ليس هو كل ما ورد في باب الصفات من الأخبار؛ نبّه على أنّ أمثال هذه الأحاديث التي ذكرها ممّا يخبر فيه الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن ربه بما يخبر به، فإنّ حكمه كذلك، وهو وجوب الإيمان بما يتضمّنه من أسماء الله وصفاته.

ثم عاد فأكد معتقد أهل السنة والجماعة. وهو أنّهم يؤمنون بما وردت به السنة الصحيحة من صفات؛ كما يمانهم بما أخبر الله به في كتابه، من غير تحريف، ولا تعطيل، ومن غير تكْيِيفٍ، ولا تمثيل.

ثم أخبر عن أهل السنة والجماعة بأنهم وسطٌ بين فرق الضلال والرّبع من هذه الأمة؛ كما أنّ هذه الأمة وسطٌ بين الأمم السابقة؛ قال تعالى:

﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِئَنتُمْ تُشْهَدُوا عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ

عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴿ [البقرة: ١٤٣].

[معنى الوسطية]

ومعنى ﴿وَسَطًا﴾: عُدُولًا خَيْرًا؛ كما وردَ الحديثُ بذلك^(١).

فهذه الأمة وسطٌ بين الأمم التي تَجَنُّحُ إلى الغلوِّ الضارِّ والأمم التي تميلُ إلى التَّفْرِيطِ المهلِكِ.

فإنَّ من الأمم مَنْ غلا في المخلوقين، وجعل لهم من صفات الخالق وحقوقه ما جعل؛ كالنصارى الذين غلّوا في المسيح والرهبان.

ومنهم مَنْ جفا الأنبياء وأتباعهم، حتى قتلهم، وردَّ دعوتهم؛ كاليهود الذين قتلوا زكريا ويحيى، وحاولوا قتل المسيح، ورمّوه بالبُهتان.

وأما هذه الأمة؛ فقد آمنت بكل رسول أرسله الله، واعتقدت رسالتهم، وعرفت لهم مقاماتهم الرّفِعة التي فضّلهم الله بها.

ومن الأمم أيضًا مَنْ استحلَّت كلَّ خبيثٍ وطيبٍ.

ومنها مَنْ حرّم الطّيّبات غلوًّا ومجاوزةً.

وأما هذه الأمة؛ فقد أحلَّ الله لها الطّيّبات، وحرّم عليها الخبائث..

(١) يشير إلى ما رواه البخاري (٤٤٨٧)، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه مرفوعًا: ((يُدعى نوح يوم القيامة، فيقول: لبيك وسعديك يا رب! فيقول: هل بلّغت؟ فيقول: نعم. فيقال لأمته: هل بلّغتم؟ فيقولون: ما أتانا من نذير. فيقول: مَنْ يشهد لك؟ فيقول: محمد وأمته. فيشهدون أنه قد بلّغ، ويكون الرسول عليكم شهيدًا، فذلك قوله جلّ ذكره: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣]). قال الحافظ في «الفتح» (١٧٢/٨): ((قوله: «والوسط: العدل») هو مرفوع من نفس الخبر، وليس بمدرج من قول بعض الرواة؛ كما وهم فيه بعضهم)).

إلى غير ذلك من الأمور التي مَنْ الله على هذه الأمة الكاملة بالتوسُّط فيها.

فكذلك أهل السُّنَّة والجماعة متوسِّطون بين فرق الأمة المبتدعة التي انحرفت عن الصراط المستقيم.

(فَهُمْ وَسَطٌ فِي بَابِ صِفَاتِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بَيْنَ أَهْلِ التَّعْطِيلِ الْجَهْمِيَّةِ^(١)، وَأَهْلِ التَّمْثِيلِ الْمَشْبَهَةِ^(٢)).

[الجهميَّة
والمشبهة]

قوله: ((**فَهُمْ وَسَطٌ فِي بَابِ صِفَاتِ اللَّهِ ...**)) إلخ؛ يعني: أنَّ أهل السُّنَّة والجماعة وَسَطٌ في باب الصفات بين مَنْ ينفىها ويعطلُّ الذات العليَّة عنها، ويحرِّف ما ورد فيها من الآيات والأحاديث عن معانيها الصَّحيحة إلى ما يعتقدُه هو من معانٍ بلا دليلٍ صحيح، ولا عقلٍ صريح؛ كقولهم: رحمة الله: إرادته الإحسان، ويده: قدرته، وعينه: حفظه ورعايته، واستواؤه على العرش: استيلاؤه... إلى أمثال ذلك من أنواع النفي والتَّعطيل التي أوقعهم فيها سوء ظنِّهم برَّهم، وتوهُّمهم أنَّ قيام هذه الصفات به لا يُعقل إلا على النحو الموجود في قيامها بالمخلوق.

ولقد أحسن القائل حيث يقول:

(١) الجهميَّة: طائفة انتشرت في أواخر دولة بني أمية، تنتسب إلى الجهم بن صفوان الترمذي،

ومذهبهم نفي الأسماء والصفات؛ كما أنهم من عُلاة المرجئة والجزرية.

(٢) المشبَّهة: ويسمَّون: المحسِّمة، وهم على النقيض من الجهمية في إثبات الأسماء والصفات،

فقد قالوا: إن لله يداً كيد المخلوقين، وسمَّاء كسمعهم، وبصرًا كبصرهم، تعالى الله عمَّا يقول

الظالمون علوًّا كبيرًا.

وَقُصَارَى أَمْرٍ مَنْ أَوَّلَ أَنْ ظَنُّوا الظُّنُونَا فَيَقُولُونَ عَلَى الرَّحْمَنِ مَا لَا يَعْلَمُونَا
 وَإِنَّمَا سُمِّيَ أَهْلُ التَّعْطِيلِ جَهْمِيَّةً نَسَبَةً إِلَى الْجَهْمِ بْنِ صَفْوَانَ التَّرْمِذِيِّ
 رَأْسَ الْفِتْنَةِ وَالضَّلَالِ، وَقَدْ تَوَسَّعَ فِي هَذَا اللَّفْظِ حَتَّى أَصْبَحَ يُطْلَقُ عَلَى كُلِّ
 مَنْ نَفَى شَيْئًا مِنَ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ، فَهُوَ شَامِلٌ لِجَمِيعِ فِرْقِ النَّفَاةِ؛ مِنْ
 فَلَاسِفَةٍ، وَمَعْتَزَلَةٍ، وَأَشْعَرِيَّةٍ، وَقَرَامِطَةٍ بَاطِنِيَّةٍ^(١).

فَأَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ وَسَطٌ بَيْنَ هَؤُلَاءِ الْجَهْمِيَّةِ النَّفَاةِ وَبَيْنَ أَهْلِ التَّمْثِيلِ
 الْمَشْبُهَةِ الَّذِينَ شَبَّهُوا اللَّهَ بِخَلْقِهِ، وَمَثَّلُوهُ بِعِبَادِهِ.

وَقَدْ رَدَّ اللَّهُ عَلَى الطَّائِفَتَيْنِ بِقَوْلِهِ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾، فَهَذَا يَرُدُّ
 عَلَى الْمَشْبُهَةِ. وَقَوْلُهُ: ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ يَرُدُّ عَلَى الْمَعْطَلَةِ.
 وَأَمَّا أَهْلُ الْحَقِّ؛ فَهَمُ الَّذِينَ يَثْبُتُونَ الصِّفَاتَ لِلَّهِ تَعَالَى إِثْبَاتًا بِلَا تَمْثِيلٍ،
 وَيَنْزِعُونَهُ عَنِ مِشَابَهَةِ الْمَخْلُوقَاتِ تَنْزِيهًا بِلَا تَعْطِيلٍ، فَجَمَعُوا أَحْسَنَ مَا عِنْدَ
 الْفَرِيقَيْنِ؛ أَعْنَى: التَّنْزِيهَ وَالْإِثْبَاتَ، وَتَرَكَوْا مَا أَحْطَؤُوا وَأَسَاءُوا فِيهِ مِنَ التَّعْطِيلِ
 وَالتَّشْبِيهِ.

(وَهُمْ وَسَطٌ فِي بَابِ أَفْعَالِ اللَّهِ بَيْنَ الْجَبْرِيَّةِ^(٢) وَالْقَدْرِيَّةِ^(٣)).

قَوْلُهُ: ((وَهُمْ وَسَطٌ...))؛ الْخُ؛ قَالَ الشَّيْخُ الْعَلَّامَةُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ

(١) يعني الشارح أن نقول عنهم: هم جهمية في الأسماء والصفات.

(٢) الجبرية: هم الجهمية ومن وافقهم؛ القائلون: إن العباد لا إرادة لهم ولا قدرة لهم على فعل الطاعات ولا ترك المنهيات، وهم مجبورون على فعل ذلك كله، وهم نقيض القدرية.

(٣) سبق التعريف بهم (ص: ١٢٢).

بن مانع في تعليقه على هذه العبارة ما نصه^(١): ((اعلم أنّ الناس اختلفوا في أفعال العباد؛ هل هي مقدورة للرب أم لا؟

فقال جهّم وأتباعه - وهم الجبرية -: إنّ ذلك الفعل مقدورٌ للرب لا للعبد.

وكذلك قال الأشعري وأتباعه: إنّ المؤثر في المقدور قدرة الرب دون^(٢) قدرة العبد.

وقال جمهور المعتزلة - وهم القدرية؛ أي: نفاة القدر -: إنّ الرب لا يقدر على عين مقدور العبد. واختلفوا: هل يقدر على مثل مقدوره؟ فأثبتته البصريون؛ كأبي علي، وأبي هاشم، ونفاه الكعبي وأتباعه البغداديون.

وقال أهل الحق: أفعال العباد بما صاروا مطيعين وعصاة، وهي مخلوقة لله تعالى، والحق سبحانه منفردٌ بخلق المخلوقات، لا خالق لها سواه.

فالجبرية غلّوا في إثبات القدر، فنَقَوْا فعل العبد أصلاً.

والمعتزلة نفاة القدر جعلوا العباد خالقين مع الله، ولهذا كانوا مجوس هذه الأمة.

وهدى الله المؤمنين أهل السُنَّة لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه، والله يهدي من يشاء إلى صراطٍ مستقيم، فقالوا: العباد فاعلون، والله

خالقهم وخالق أفعالهم؛ كما قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ ﴿٦١﴾

(١) انظر تعليقه على «الواسطية» (ص ١٤) من طبعة سعد الراشد بالرياض.

(٢) في طبعة الراشد: ((لا))؛ بدل: «دون».

[الصفات: ٩٦].. اهـ

وإنما نقلنا هذه العبارة بنصها؛ لأنها تلخيصٌ جيّدٌ لمذاهب المتكلمين في القدر وأفعال العباد.

(وَفِي بَابِ وَعِيدِ اللَّهِ بَيْنَ الْمَرْجِيَةِ^(١) وَالْوَعِيدِيَّةِ^(٢) مِنَ الْقَدَرِيَّةِ

وغيرهم).

[المرجئة والوعيدية]

قوله: **(وَفِي بَابِ وَعِيدِ اللَّهِ ...)** إلخ؛ يعني: أنّ أهل السنة والجماعة وسط في باب الوعيد بين المفرطين من المرجئة الذين قالوا: لا يضرُّ مع الإيمان ذنبٌ، كما لا تنفع مع الكفر طاعة. وزعموا أنّ الإيمان مجرد التصديق بالقلب، وإن لم ينطق به، وسمّوا بذلك نسبةً إلى الإرجاء؛ أي التأخير؛ لأنهم أخرجوا الأعمال عن الإيمان.

ولا شك أنّ الإرجاء بهذا المعنى كفرٌ يخرج صاحبه عن الملة؛ فإنه لا بد في الإيمان من قولٍ باللسان، واعتقادٍ بالجنان، وعملٍ بالأركان، فإذا اختلَّ واحدٌ منها لم يكن الرجل مؤمناً.

وأما الإرجاء الذي نسب إلى بعض الأئمة من أهل الكوفة؛ كأبي

(١) المرجئة: هم القائلون: الإيمان تصديق بالقلب، ونطق باللسان، والأعمال ليست من الإيمان. والكرامية منهم يقولون: إن الإيمان هو مجرد النطق باللسان، وغلاتهم يقولون: هو تصديق بالقلب فقط، وإن لم ينطق بالشهادتين. وقالوا: لا يضرُّ مع الإيمان ذنب، كما لا ينفع مع الكفر طاعة.

(٢) الوعيدية: هم قدرية يقولون بإنفاذ الوعيد، وأن مرتكب الكبيرة إذا مات ولم يتب؛ فهو مخلّد في النار. وقالوا: إن الله توعد العاصين بالنار والعذاب، وهو لا يخلف الميعاد.

حنيفة وغيره، وهو قولهم: إِنَّ الأَعْمَالِ لَيْسَتْ مِنَ الإِيمَانِ، ولكنهم مع ذلك يوافقون أهل السُّنَّةِ على أَنَّ اللهَ يَعَذِّبُ مَنْ يَعَذِّبُ مِنْ أَهْلِ الكِبَائِرِ بالنَّارِ، ثُمَّ يَخْرُجُهُمْ مِنْهَا بِالشَّفَاعَةِ وَغَيْرِهَا، وَعَلَى أَنَّهُ لَا بَدَّ فِي الإِيمَانِ مِنْ نَطْقٍ بِاللِّسَانِ، وَعَلَى أَنَّ الأَعْمَالِ الْمَفْرُوضَةَ وَاجِبَةَ يَسْتَحِقُّ تَارِكُهَا الذَّمَّ وَالْعِقَابَ؛ فَهَذَا النُّوعُ مِنَ الإِرْجَاءِ لَيْسَ كُفْرًا، وَإِنْ كَانَ قَوْلًا بَاطِلًا مُبْتَدَعًا؛ لِإِخْرَاجِهِمُ الأَعْمَالِ عَنِ الإِيمَانِ.

وَأَمَّا الوَعِيدِيَّةُ؛ فَهِيَ القَائِلُونَ بِأَنَّ اللهَ يَجِبُ عَلَيْهِ عَقْلًا أَنْ يَعَذِّبَ العَاصِيَ؛ كَمَا يَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يُثِيبَ المَطِيعَ، فَمَنْ مَاتَ عَلَى كَبِيرَةٍ وَلَمْ يَتُبْ مِنْهَا لَا يَجُوزُ عِنْدَهُمْ أَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَهُ، وَمَذْهَبُهُمْ بَاطِلٌ مُخَالَفٌ لِلكِتَابِ وَالسُّنَّةِ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨، ١١٦].

وقد استفاضت الأحاديث في خروج عصاة الموحدين من النار ودخولهم الجنة.

فمذهب أهل السُّنَّةِ والجماعة وسطٌ بين نفاة الوعيد من المرجئة وبين موجبيه من القدرية، فَمَنْ مَاتَ عَلَى كَبِيرَةٍ عِنْدَهُمْ؛ فَأَمْرُهُ مَفْوُضٌ إِلَى اللهِ، إِنْ شَاءَ عَاقِبَهُ، وَإِنْ شَاءَ عَفَا عَنْهُ؛ كَمَا دَلَّتْ عَلَيْهِ الآيَةُ السَّابِقَةُ.

وإذا عاقبه بها؛ فإنه لا يخلد خلود الكفار، بل يخرج من النار، ويدخل الجنة.

(وَفِي بَابِ [أَسْمَاءِ] ^(١) الْإِيْمَانِ وَالِدِّينِ بَيْنَ
الْحُرُورِيَّةِ ^(٢) وَالْمَعْتَزَلَةِ ^(٣)، وَبَيْنَ الْمَرْجِيَّةِ وَالْجَهْمِيَّةِ ^(٤)).

[الحرورية]

قوله: ((وَفِي بَابِ أَسْمَاءِ الْإِيْمَانِ ...)) إلخ؛ كانت مسألة الأسماء والأحكام من أول ما وقع فيه النزاع في الإسلام بين الطوائف المختلفة، وكان للأحداث السياسية والحروب التي جرت بين عليٍّ ومعاوية رضي الله عنهما في ذلك الحين، وما ترتب عليها من ظهور الخوارج والرافضة والقدرية أثر كبير في ذلك النزاع.

والمراد بالأسماء هنا أسماء الدين، مثل: مؤمن، ومسلم، وكافر، وفاسق... إلخ.

والمراد بالأحكام أحكام أصحابها في الدنيا والآخرة.

فالخوارج الحرورية والمعتزلة ذهبوا إلى أنه لا يستحق اسم الإيمان إلا من صدق بجنانه، وأقرّ بلسانه، وقام بجميع الواجبات، واجتنب جميع الكبائر. فمرتكب الكبيرة عندهم لا يسمى مؤمناً باتفاق بين الفريقين.

ولكنهم اختلفوا: هل يسمّى كافراً أو لا؟

(١) ليست في الأصل.

(٢) الحرورية: هم الخوارج الذين خرجوا على عليٍّ رضي الله عنه حينما قبل التحكيم بينه وبين معاوية رضي الله عنه، فنزلوا، واجتمعوا بحروراء - وهي بلد قرب الكوفة على ميلين منها، وسمّوا بذلك نسبة إليها.

(٣) سبق التعريف بهم (ص: ١٢٠).

(٤) سبق التعريف بهم (ص: ٢٠٨).

فالخوارج يسمونه كافراً، ويستحلُّون دمه وماله، ولهذا كفَّروا عليّاً ومعاوية وأصحابهما، واستحلُّوا منهم ما يستحلُّون من الكفَّار.

وأما المعتزلة؛ فقالوا: إنَّ مرتكب الكبيرة خرج من الإيمان ولم يدخل في الكفر؛ فهو بمنزلة بين المنزلتين، وهذا أحد الأصول التي قام عليها مذهب الاعتزال.

واتَّفق الفريقان أيضاً على أنَّ مَنْ مات على كبيرة ولم يتب منها فهو مخلَّد في النَّار.

فوقع الاتفاق بينهما في أمرين:

١- نفي الإيمان عن مرتكب الكبيرة.

٢- خلوده في النَّار مع الكفَّار.

ووقع الخلاف أيضاً في موضعين:

أحدهما: تسميته كافراً.

والثاني: استحلال دمه وماله، وهو الحكم الدنيوي.

وأما المرجئة؛ فقد سبق بيان مذهبهم، وهو أنَّه لا يضر مع الإيمان معصية؛ فمرتكب الكبيرة عندهم مؤمنٌ كامل الإيمان، ولا يستحقُّ دخول النَّار.

فمذهب أهل السُّنة والجماعة وسطٌ بين هذين المذهبين؛ فمرتكب الكبيرة عندهم مؤمنٌ ناقص الإيمان، قد نقص من إيمانه بقدر ما ارتكب من معصية، فلا ينفون عنه الإيمان أصلاً؛ كالخوارج والمعتزلة، ولا يقولون بأنَّه

كامل الإيمان؛ كالمرجئة والجهمية. وحكمه في الآخرة عندهم أنه قد يعفو الله عزَّ وجلَّ عنه فيدخل الجنة ابتداءً، أو يعذِّبه بقدر معصيته، ثمَّ يخرجَه ويدخله الجنة كما سبق، وهذا الحكم أيضًا وسط بين مَنْ يقول بخلوده في النَّار، وبين مَنْ يقول: إنَّه لا يستحق على المعصية عقابًا.

(وَفِي أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ الرَّافِضَةِ^(١) وَالْخَوَارِجِ).

[الرافضة]

قوله: ((وَفِي أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ...)) إلخ. المعروف أنَّ الرافضة - قَبَّحَهُمُ اللَّهُ - يسبون الصحابة رضي الله عنهم، ويلعنونهم، وربما كَفَرُوا بهم أو كَفَرُوا بعضهم، والغالبية منهم - مع سبهم لكثير من الصحابة والخلفاء - يغفلون في عليٍّ وأولاده، ويعتقدون فيهم الإلهية.

وقد ظهر هؤلاء في حياة عليٍّ رضي الله عنه بزعامة عبد الله بن سبأ الذي كان يهوديًا وأسلم وأراد أن يكيد للإسلام وأهله؛ كما كاد اليهود من قبل للنصرانية وأفسدوها على أهلها، وقد حرَّقهم عليٌّ بالنَّار لإطفاء فتنهم، وروي عنه في ذلك قوله:

لَمَّا رَأَيْتُ الْأَمْرَ أَمْرًا مُنْكَرًا أَجَّحْتُ نَارِي وَدَعَوْتُ قَبْرًا^(٢)

(١) الرافضة: هم غلاة فرق الشيعة الذين رفضوا زيد بن علي بن الحسين لما تولَّى أبا بكر وعمر، فخذلوه بالكوفة كما خذلوا جده من قبل. وأما الخوارج فهم الحزبية، وقد سبق التعريف بهم.

(٢) ورد هذا الخبر بسند حسنه الحافظ ابن حجر في «الفتح» (٢٧٠/١٢)، وخبر الإحراق ثابت في «صحيح البخاري» عن عكرمة، قال: ((أُتِيَ عَلِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِنَادِقَةٍ، فَأَحْرَقَهُمْ، فَبَلَغَ ذَلِكَ ابْنَ عَبَّاسٍ؛ فَقَالَ: لَوْ كُنْتُ أَنَا لَمْ أَحْرَقَهُمْ؛ لِنَهْيِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ =

وأما الخوارج؛ فقد قابلوا هؤلاء الروافض، فكفروا عليًا ومعاوية ومن معهما من الصحابة، وقتلوهم واستحلوا دماءهم وأموالهم.

وأما أهل السنة والجماعة؛ فكانوا وسطاً بين غلو هؤلاء وتقصير أولئك، وهداهم الله إلى الاعتراف بفضل أصحاب نبيهم، وأنهم أكمل هذه الأمة إيماناً وإسلاماً وعلماً وحكمةً، ولكنهم لم يغلوا فيهم، ولم يعتقدوا عصمتهم؛ بل قاموا بحقوقهم، وأحبوهم لعظيم سابقتهم وحسن بلائهم في نصرته الإسلام وجهادهم مع رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

[موقف أهل
السنة والجماعة
من الصحابة]

(فصل: ^(١) وَقَدْ دَخَلَ فِيمَا ذَكَرْنَاهُ مِنَ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ، الْإِيمَانُ بِمَا أَخْبَرَ اللَّهُ بِهِ فِي كِتَابِهِ، وَتَوَاتَرَ عَنْ رَسُولِهِ، وَأَجْمَعَ عَلَيْهِ سَلَفُ الْأُمَّةِ؛ مِنْ أَنَّهُ سُبْحَانَهُ فَوْقَ سَمَاوَاتِهِ، عَلَى عَرْشِهِ، بَأْنٍ ^(٢) عَلَى خَلْقِهِ، وَهُوَ سُبْحَانَهُ مَعَهُمْ أَيْنَمَا كَانُوا، يَعْلَمُ مَا هُمْ عَامِلُونَ؛ كَمَا جَمَعَ بَيْنَ ذَلِكَ فِي قَوْلِهِ:

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾﴾ [الحديد: ٤].

[صفة الاستواء
على العرش]

= ((لا تُعَذِّبُوا عَذَابَ اللَّهِ))، ولقتلتهم؛ لقول رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((من بدّل دينه فاقتلوه)). ((الفتح)) (٢٦٧/١٢)، ومن روى ذلك: أبو داود، والترمذي، والنسائي، وغيرهم. وانظر في ذلك بحثاً قيماً في كتاب ((عبد الله بن سبأ وأثره في إحداث الفتنة في صدر الإسلام)) (ص ٢١٤) للدكتور سليمان العودة.

(١) ليست في الأصل.

(٢) في الأصل: عليّ.

وَلَيْسَ مَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾ أَنَّهُ مُخْتَلِطٌ بِالْخَلْقِ؛ فَإِنَّ هَذَا لَا تُوجِبُهُ، اللَّغَةُ^(١)، بَلِ الْقَمَرُ آيَةٌ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ مِنْ أَصْغَرِ مَخْلُوقَاتِهِ، وَهُوَ مَوْضُوعٌ فِي السَّمَاءِ، وَهُوَ مَعَ الْمَسَافِرِ (وَعَبْرِ الْمَسَافِرِ)^(٢) أَيْنَمَا كَانَ. وَهُوَ سُبْحَانَهُ فَوْقَ عَرْشِهِ، رَقِيبٌ عَلَى خَلْقِهِ، مُهَيِّمٌ عَلَيْهِمْ، مُطَّلِعٌ [عَلَيْهِمْ]^(٣)... إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ مَعَانِي رَبُّوبِيَّتِهِ.

وَكُلُّ هَذَا الْكَلَامِ الَّذِي ذَكَرَهُ اللَّهُ - مِنْ أَنَّهُ فَوْقَ الْعَرْشِ وَأَنَّهُ مَعَنَا - حَقٌّ عَلَى حَقِيقَتِهِ، لَا يَحْتَاجُ إِلَى تَحْرِيفٍ، وَلَكِنْ يُصَانُ عَنِ الطُّنُونِ الْكَاذِبَةِ؛ (مِثْلُ أَنْ يُظَنَّ أَنَّ ظَاهِرَ قَوْلِهِ: ﴿فِي السَّمَاءِ﴾ [البقرة: ١٤٤]؛ أَنْ السَّمَاءَ تُظَلُّهُ أَوْ تُقَلُّهُ، وَهَذَا بَاطِلٌ بِإِجْمَاعِ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالْإِيمَانِ؛ فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ، وَهُوَ يُمَسِّكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا، وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ؛ إِلَّا بِإِذْنِهِ، وَمَنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ)^(٤).

قوله: ((وقد دخل فيما ذكرناه من الإيمان...)) إلخ. صرح المؤلف هنا بمسألة علو الله تعالى واستوائه على عرشه بائنًا من خلقه؛ كما أخبر الله عن ذلك في كتابه، وكما تواتر الخبر بذلك عن رسوله، وكما أجمع عليه سلف الأمة الذين هم أكملها علمًا وإيمانًا، مؤكِّدًا بذلك ما سبق أن ذكره

(١) زاد في الأصل: (وهو خلاف ما أجمع عليه سلف الأمة، وخلاف ما فطر الله عليه الخلق).

(٢) ليست في الأصل.

(٣) في الأصل: إليهم.

(٤) ليست في الأصل.

في هذا الصدد، ومشددًا النكير على مَنْ أنكر ذلك من الجهمية والمعتزلة
ومَنْ تبعهم من الأشاعرة.

ثم بيّن أنّ استواءه على عرشه لا ينافي معيّته وقربه من خلقه؛ فإنَّ
المعيّة ليس معناها الاختلاط والمجاورة الحسيّة.

وضرب لذلك مثلاً بالقمر الذي هو موضوع في السماء، وهو مع
المسافر وغيره أينما كان؛ بظهوره واتصال نوره، فإذا جاز هذا بالنسبة
للقمر، وهو من أصغر مخلوقات الله؛ أفلا يجوز بالنسبة إلى اللطيف الخبير
الذي أحاط بعباده علمًا وقدرة، والذي هو شهيدٌ مطلعٌ عليهم، يسمعهم،
ويراهم، ويعلم سرّهم ونجواهم، بل العالم كله سماواته وأرضه من العرش إلى
الفرش كله بين يديه سبحانه؛ كأنّه بندقة^(١) في يد أحدنا؛ أفلا يجوز لمن هذا
شأنه أن يقال: إنّه مع خلقه مع كونه عاليًا عليهم بائنًا منهم فوق عرشه؟!

بلى؛ يجب الإيمان بكلّ من علوّه تعالى ومعيّته، واعتقاده أنّ ذلك كله
حقٌّ على حقيقته، من غير أن يُساء فهم ذلك، أو يُحمل على معانٍ فاسدة؛
كأن يُفهم من قوله: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾ [الحديد: ٤] معيّة الاختلاط والامتزاج؛
كما يزعمه الخلولية^(٢)! أو يفهم من قوله: ﴿فِي السَّمَاءِ﴾ [البقرة: ١٤٤]

[الخلولية]

(١) روى عبد الله في «السنة» (٤٧٦/٢)، والطبري في «تفسيره» (٣٢٤/٢١)، وابن بطة في
«الإبانة» (٢٣٧)، عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: «ما السموات السبع والأرضون
السبع وما فيهن وما بينهن في يد الرحمن إلا كخردلة في يد أحدكم».

(٢) الخلولية: هم الذين قالوا: إن الله تعالى حلّ في أشخاص بأعيانهم - تعالى الله عمّا يقولون -
وهم من غلاة المشبهة.

أَنَّ السَّمَاءَ ظَرْفٌ حَاوٍ لَهٗ مَحِيْطٌ بِهِ! كَيْفَ وَقَدْ وَسَّعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضَ جَمِيْعًا؟! وَهُوَ الَّذِي يُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ؟!
فسبحان مَنْ لَا يَبْلُغُهُ وَهْمُ الْوَاهِمِينَ، وَلَا تَدْرِكُهُ أَفْهَامُ الْعَالَمِينَ.

(فَصَلِّ^(١)): وَقَدْ دَخَلَ فِي ذَلِكَ الْإِيْمَانُ بِأَنَّهُ قَرِيبٌ مُّجِيبٌ^(٢)؛ كَمَا

[إثبات قرب

الله ومعينته]

جَمَعَ بَيْنَ ذَلِكَ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾^(٣)
[البقرة: ١٨٦] الْآيَةِ، وَقَوْلُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ الَّذِي تَدْعُونَهُ
أَقْرَبُ إِلَيَّ أَحَدِكُمْ مِّنْ عُنُقِ رَاحِلَتِهِ»^(٤).

وَمَا ذَكَرَ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ مِنْ قُرْبِهِ وَمَعِيَّتِهِ لَا يُنَافِي مَا ذَكَرَ مِنْ
عُلُوِّهِ وَفَوْقِيَّتِهِ؛ فَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ فِي جَمِيعِ نُعُوْتِهِ، وَهُوَ
عَلَيَّ فِي دُنُوِّهِ، قَرِيبٌ فِي عُلُوِّهِ.

قوله: ((وَقَدْ دَخَلَ فِي ذَلِكَ^(٤) الْإِيْمَانُ ...)) إلخ. يجب الإيمان بما

وصف الله به نفسه من أنه قريب مجيب، فهو سبحانه قريب ممن يدعوه
ويناجيه، يسمع دعاءه ونجواه، ويجيب دعاءه متى شاء وكيف شاء، فهو
تعالى قريب قرب العلم والإحاطة؛ كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلْمُ

مَا تُوسَّوْسُ بِهِءَ نَفْسُهُ، وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾^(٥) [ق: ١٦].

(١) ليس في الأصل.

(٢) في الأصل: قريب من خلقه.

(٣) رواه بالفاظ متقاربة: البخاري (٦٣٨٤)، ومسلم (٢٧٠٤).

(٤) أي: الإيمان بالله.

وبهذا يتبين أنه لا منافاة أصلاً بين ما ذكر في الكتاب والسنة من قربه تعالى ومعنيته وبين ما فيهما من علوه تعالى وفوقيته.

فهذه كلها نعوتٌ له على ما يليق به سبحانه، ليس كمثلها شيءٌ في شيءٍ منها.

(وَمِنَ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَكُتُبِهِ الْإِيمَانُ بِأَنَّ الْقُرْآنَ كَلَامُ اللَّهِ، مُنَزَّلٌ، غَيْرُ مَخْلُوقٍ، مِنْهُ بَدَأَ، وَإِلَيْهِ يَعُودُ، وَأَنَّ اللَّهَ تَكَلَّمَ بِهِ حَقِيقَةً، وَأَنَّ هَذَا الْقُرْآنَ الَّذِي أَنْزَلَهُ عَلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هُوَ كَلَامُ اللَّهِ حَقِيقَةً، لَا كَلَامَ غَيْرِهِ.

[القرآن

كلام الله]

وَلَا يَجُوزُ إِطْلَاقُ الْقَوْلِ بِأَنَّهُ حِكَايَةٌ عَنِ كَلَامِ اللَّهِ، أَوْ عِبَارَةٌ (عَنْهُ)^(١)، بَلْ إِذَا قَرَأَهُ النَّاسُ أَوْ كَتَبُوهُ فِي الْمَصَاحِفِ؛ لَمْ يَخْرُجْ بِذَلِكَ عَنِ أَنْ يَكُونَ كَلَامَ اللَّهِ تَعَالَى حَقِيقَةً، فَإِنَّ الْكَلَامَ إِنَّمَا يُضَافُ حَقِيقَةً إِلَى مَنْ قَالَهُ مُبْتَدِئًا، لَا إِلَى مَنْ قَالَهُ مُبَلِّغًا مُؤَدِّيًا.

(وَهُوَ كَلَامُ اللَّهِ؛ حُرُوفُهُ، وَمَعَانِيهِ، لَيْسَ كَلَامُ اللَّهِ الْحُرُوفَ دُونَ الْمَعَانِي، وَلَا الْمَعَانِي دُونَ الْحُرُوفِ)^(٢).

قوله: ((وَمِنَ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَكُتُبِهِ...)) إلخ. جعل المصنّف الإيمان بأن القرآن كلام الله داخلاً في الإيمان بالله؛ لأنّه صفةٌ من صفاته، فلا يتم الإيمان به سبحانه إلا بها، إذ الكلام لا يكون إلا صفةً للمتكلّم، والله

(١) زيادة من الأصل.

(٢) ليست في الأصل.

سبحانه موصوفٌ بأنه متكلمٌ بما شاء متى شاء، وأنه لم يزل ولا يزال يتكلم؛ بمعنى أنّ نوع كلامه قديمٌ وإن كانت آحاده لا تزال تقع شيئاً بعد شيءٍ بحسب حكمته.

وقد قلنا فيما سبق: إنّ الإضافة في قولنا: القرآن كلام الله؛ هي من إضافة الصفة للموصوف، فتفيد أنّ القرآن صفة الرب سبحانه، وأنه تكلم به حقيقةً بالأفاظه ومعانيه، بصوت نفسه.

فمن زعم أنّ القرآن مخلوقٌ من المعتزلة؛ فقد أعظم الفرية على الله، ونفى كلام الله عن الله وصفًا، وجعله وصفًا لمخلوق، وكان أيضًا متجنّبًا على اللغة، فليس فيها متكلمٌ بمعنى خالق للكلام.

ومن زعم أنّ القرآن الموجود بيننا حكاية عن كلام الله؛ كما تقوله الكُلابية، أو أنّه عبارة عنه؛ كما تقوله الأشعرية؛ فقد قال بنصف قول المعتزلة؛ حيث فرّق بين الألفاظ والمعاني، فجعل الألفاظ مخلوقة، والمعاني عبارة عن الصفة القديمة؛ كما أنّه ضاهى النصارى في قولهم بحلول اللاهوت (وهو الكلمة) في الناسوت (وهو جسد عيسى عليه السلام)؛ إذ قال بحلول المعاني التي هي الصفة القديمة في هذه الألفاظ المخلوقة، فجعل الألفاظ ناسوتًا لها.

والقرآن كلام الله؛ حيث تصرّف، فمهما كتبناه في المصاحف، أو تلوناه بالألوان؛ لم يخرج بذلك عن أن يكون كلام الله؛ لأنّ الكلام - كما قال المصنّف - إنّما يضاف إلى من قاله مبتدئًا؛ لا إلى من قاله مبلّغًا مؤدّيًا.

وأما معنى قول السلف: ((منه بدأ وإليه يعود))؛ فهو من البدء؛ يعني: أنّ

الله هو الذي تكلم به ابتداءً، لم يُبتدأ من غيره، ويحتمل أن يكون من البُدو؛ بمعنى الظهور؛ يعني أنه هو الذي تكلم به وظهر منه، لم يظهر من غيره. ومعنى: ((إليه يعود))؛ أي: يرجع إليه وصفًا؛ لأنه وصفه القائم به، وقيل: معناه يعود إليه في آخر الزمان، حين يرفع من المصاحف والصدور؛ كما ورد في أشراط الساعة^(١).

وأما كون الإيمان بأن القرآن كلام الله داخلاً في الإيمان بالكتب؛ فإن الإيمان بها إيماناً صحيحاً يقتضي إيمان العبد بأن الله تكلم بها بألفاظها ومعانيها، وأنها جميعاً كلامه هو؛ لا كلام غيره، فهو الذي تكلم بالتوراة بالعبرانية، وبالإنجيل بالسريانية، وبالقرآن بلسان عربيّ مبين.

﴿وَقَدْ دَخَلَ أَيْضًا فِيمَا ذَكَرْنَاهُ مِنَ الْإِيمَانِ (بِهِ وَبِكُتُبِهِ وَبِمَلَائِكَتِهِ

(١) يشير إلى ما رواه ابن ماجه (٤٠٤٨)، والحاكم في «المستدرک» (٤٧٣/٤ و ٥٤٥٠)؛ والبيهقي في «شعب الإيمان» (٣٥٦/٢) (٢٠٢٨). عن حذيفة بن اليمان مرفوعاً: ((يُدْرُسُ الإسلام كما يدرس وشي الثوب؛ حتى لا يُدْرَى ما صيام ولا صلاة ولا نسك ولا صدقة، ولْيُسْرَى على كتاب الله عزَّ وجلَّ في ليلة فلا يبقى في الأرض منه آية، وتبقى طوائف من الناس: الشيخ الكبير، والعجوز؛ يقولون: أدركنا آباءنا على هذه الكلمة: (لا إله إلا الله)؛ فنحن نقولها)).

قال الحاكم: حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، وقال البوصيري في «زوائد ابن ماجه» (٢٩١/٢): هذا إسناد صحيح رجاله ثقات، وقال ابن حجر في «فتح الباري» (١٩/١٣): إسناده قوي، وصححه الألباني في «صحيح سنن ابن ماجه» (٣٢٨٩)، والوادعي في «الصحيح المسند» (٣٠٣).

ويدرس؛ يعني: ينقرض. ووشي الثوب: نقشه. قال الألباني تعليماً على الحديث: ((وذلك لا يكون قطعاً إلا بعد أن يسيطر الإسلام على الكرة الأرضية جميعها، وتكون كلمته هي العليا)).

وَبُرُسُلِهِ^(١): الْإِيمَانُ بِأَنَّ الْمُؤْمِنِينَ يَرَوْنَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَيْنًا بِأَبْصَارِهِمْ كَمَا يَرَوْنَ الشَّمْسَ صَحْوًا لَيْسَ بِهَا^(٢) سَحَابٌ، وَكَمَا يَرَوْنَ الْقَمَرَ لَيْلَةَ الْبَدْرِ لَا يُضَامُونَ فِي رُؤْيَيْهِ.

[رؤية أهل
الموقف ربهم]

يَرَوْنَهُ سُبْحَانَهُ وَهُمْ فِي عَرَصَاتِ الْقِيَامَةِ، ثُمَّ يَرَوْنَهُ بَعْدَ دُخُولِ الْجَنَّةِ؛ كَمَا يَشَاءُ اللَّهُ تَعَالَى.

قوله: ((وَقَدْ دَخَلَ أَيْضًا فِيمَا ذَكَرْنَاهُ...)) إلخ؛ تقدم الكلام على رؤية المؤمنين لربهم عز وجل في الجنة؛ كما دلت على ذلك الآيات والأحاديث الصريحة، فلا حاجة بنا إلى إعادة الكلام فيها.

غير أن قوله: ((يَرَوْنَهُ سُبْحَانَهُ وَهُمْ فِي عَرَصَاتِ الْقِيَامَةِ)) قد يوهم أن هذه الرؤية أيضًا خاصة بالمؤمنين، ولكن الحق أنها عامّة لجميع أهل الموقف؛ حين يجيء الرب لفصل القضاء بينهم^(٣)؛ كما يدل عليه قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ﴾ [البقرة: ٢١٠] الآية^(٤).

(١) في الأصل: بِكُتْبِهِ وَرُسُلِهِ.

(٢) في الأصل: لَيْسَ دُونَهَا.

(٣) انظر: رسالة شيخ الإسلام لأهل البحرين في رؤية الكفار ربهم من ((مجموع الفتاوى))

(٤٨٥/٦-٥٠٧)، فقد فصل فيها الشيخ رحمه الله، وفي الرسالة فوائد تربوية عظيمة.

وانظر الفصل الثالث من كتاب ((دلالة القرآن والأثر على رؤية الله تعالى بالبصر)) للشيخ

عبدالعزیز الرومي.

(٤) أقول بل ما يفيد ظاهر كلام شيخ الإسلام من أن الكفار لا يرونه في عرصات القيامة هو

الحق كما يفيد قوله تعالى: ﴿وَجُودٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ (٢٢) إِلَى رَبِّهَا نَاطِرَةٌ (٢٣) وَوُجُودٌ يَوْمَئِذٍ

بَاسِرَةٌ (٢٤) تَنْظُرُ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ (٢٥)﴾ [سورة القيامة] فقسّم الوجوه إلى قسمين =

= ناظرة وباسرة، و ظاهره أنها غير ناظرة وذلك في يوم القيامة، ويدل لذلك أيضاً قوله تعالى في المطففين: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥] والمراد به يوم القيامة يوم يقوم الناس لرب العالمين، ويدل لذلك أيضاً قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (يجمع الله الناس يوم القيامة فيقول من كان يعبد شيئاً فليتبعه إلى أن قال: وتبقى هذه الأمة فيها منافقوها فيأتيهم الله في صورة غير صورته التي يعرفون)، وفي حديث آخر (إذا كان يوم القيامة أدن مؤذنٌ لتتبع كل أمة ما كانت تعبد فلا يبقى أحد كان يعبد غير الله إلا يتساقطون في النار حتى إذا لم يبق إلا من كان يعبد الله من برِّ وفاجرٍ أتاهم رب العالمين) وفي حديث آخر (يجمع الله الأولين والآخرين لميقات يوم معلوم قال وينزل الله في ظلل من الغمام من العرش إلى الكرسي ثم ينادي مناد أيها الناس ألم ترضوا من ربكم الذي خلقكم ورزقكم وأمركم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً أن يولي كل ناس منكم ما كانوا يتولون ويعبدون في الدنيا أليس ذلك عدلاً من ربكم؟ قالوا: بلى. فينطلق كل قوم إلى ما كانوا يعبدون ويتولون في الدنيا قال: ويبقى محمد وأمته فيأتيهم الرب عزَّ وجلَّ. ويدل لذلك ما جاء عن السلف الصالح من أن الكفار لا يرون الله قال محمد بن عبدالله بن الحكم وقد سئل هل يرى الخلق كلهم ربهم يوم القيامة؟ قال: لا يراه إلا المؤمنون، وقال السفاريني في شرح عقيدته: وقد قيل: إن الكفار كالمنافقين يرونه ثم يحجبون عنه فتكون الحجة حسرة عليهم، وخص النووي الخلاف بالمنافق وأما الكافر غير المنافق فلا يراه تعالى اتفاقاً كما لا يراه غير العقلاء من سائر الحيوانات والله أعلم. اهـ. (ص ٢٥٠ ج ٢) الطبعة الجديدة.

وأما استدلال المؤلف بالآية فغير صريح فإن الإتيان لا يلزم منه الرؤية فقد يأتي الآتي إلى المكان فيراه البعض ولا يراه البعض الآخر كما هو مشاهد.

ثم إنِّي رأيت في حادي الأرواح لابن القيم (ص ٥٧ ج ٢) أن في المسألة ثلاثة أقوال لأهل السنة أحدها: لا يراه إلا المؤمنون. الثاني: يراه جميع أهل الموقف من مسلم وكافر ثم يحتجب عنه الكفار. والثالث: يراه المؤمنون والمنافقون دون الكفار. وقد قال قبل ذلك: فقد دلت الأحاديث الصحيحة الصريحة على أن المنافقين يرونه في عرصات القيامة بل والكفار أيضاً كما في حديث التجلي. اهـ. لكن تأملت حديث التجلي فلم أجد فيه ما يدل على أن الكفار يرون ربهم على وجه صريح بحيث يصلح لتأويل ظاهر الآية: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥] فإن تأويلها يحتاج إلى نص صريح =

والعَرَصَات: جمع عَرَصَة، وهي كل موضع واسع لا بناء فيه.

(فَصْلٌ^(١)): وَمِنَ الْإِيمَانِ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ الْإِيمَانُ بِكُلِّ مَا أَخْبَرَ بِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِمَّا يَكُونُ بَعْدَ الْمَوْتِ، فَيُؤْمِنُونَ بِفِتْنَةِ الْقَبْرِ، وَبِعَذَابِ الْقَبْرِ وَنَعِيمِهِ.

[الإيمان بفتنة

وعذاب القبر]

فَأَمَّا الْفِتْنَةُ؛ فَإِنَّ النَّاسَ يُمْتَحَنُونَ^(٢) فِي قُبُورِهِمْ، فَيُقَالُ لِلرَّجُلِ: مَنْ رَبُّكَ؟ وَمَا دِينُكَ؟ وَمَنْ نَبِيُّكَ^(٣)؟

فِيثَبَّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ (فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ)^(٤)، فَيَقُولُ الْمُؤْمِنُ: [رَبِّي اللَّهُ]^(٥)، وَالْإِسْلَامُ دِينِي، وَمُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَبِيِّ.

وَأَمَّا الْمَرْتَابُ؛ فَيَقُولُ: هَاهُ هَاهُ؛ لَا أَذْرِي، سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ شَيْئًا فُقِلْتُهُ، فَيَضْرِبُ بِمِرْزَبَةٍ مِنْ حَدِيدٍ، فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهَا كُلُّ شَيْءٍ؛ إِلَّا الْإِنْسَانَ، وَلَوْ سَمِعَهَا الْإِنْسَانُ؛ لَصَعِقَ^(٦).

= يقوى على تأويلها. نعم في حديث التحلي إن المنافقين يرون الله تعالى وهو يقوى القول

الثالث الذي نقلناه عن ابن القيم والله أعلم). (ابن عثيمين)

(١) ليست في الأصل.

(٢) في الأصل: يُفْتَنُونَ.

(٣) في طبعة الإفتاء والجامعة الإسلامية: [أو ما]، والصواب ما أثبتته كما في الأصل.

(٤) ليست في الأصل.

(٥) في الأصل: اللَّهُ رَبِّي.

(٦) يشير إلى ما رواه البخاري (١٣٣٨)، وأبو داود (٤٧٥١)، والنسائي (٢٠٥١) من حديث

أنس بن مالك رضي الله عنه، وإلى ما رواه أحمد في المسند (١٨٥٣٤)، وأبو داود (٤٧٥٣)

من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه وهو حديث ثابت مشهور.

ثُمَّ بَعْدَ هَذِهِ الْفِتْنَةِ إِمَّا نَعِيمٌ وَإِمَّا عَذَابٌ، إِلَى أَنْ تَقُومَ الْقِيَامَةُ
الْكُبْرَى^(١)، فَتَعَادُ الْأَرْوَاحُ إِلَى الْأَجْسَادِ.

قوله: ((وَمِنَ الْإِيمَانِ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ ...)) إلخ؛ إذا كان الإيمان باليوم
الآخر أحد الأركان الستة التي يقوم عليها الإيمان؛ فإنَّ الإيمان به إيماناً تاماً
كاملاً لا يتحقق إلَّا إذا آمن العبد بكل ما أخبر به النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ من أمور الغيب التي تكون بعد الموت.

والضابط في ذلك أنَّها أمورٌ ممكنةٌ أخبر بها الصادق صلوات الله عليه
وسلامه وآله، وكل ممكن أخبر به الصادق يجب الإيمان بوقوعه كما أخبر^(٢)؛
فإنَّ هذه الأمور لا تستفاد إلا من خبر الرسول، فأهل السُّنَّة والجماعة
يؤمنون بذلك كله.

(١) في الأصل: إلى يوم القيامة الكبرى.

(٢) في هذا التعبير نظر من وجهين أحدهما: أن ظاهره يقتضي تقسيم ما أخبر الصادق بوقوعه
إلى قسمين: ممكن ومستحيل، وهذا خطأ فإن ما أخبر الصادق بوقوعه لا يمكن أن يكون
مستحيلاً إذ لو فرض أنه يجوز أن يكون مستحيلاً لم يكن صادقاً في ذلك بل يكون كاذباً
فجميع ما أخبر الصادق بوقوعه إمَّا ممكن وإمَّا واجب ليس غير، الثاني: إن تعليق وجوب
الإيمان بما كان ممكناً من أخبار الصادق مثار للتكذيب والتحريف إذ كل من تصور أن هذا
الشيء مستحيل أمكن على هذا الضابط أن يرد خبر الصادق لأن هذا الضابط يقتضي
تعليق وجوب الإيمان بخبر الصادق بما إذا كان الشيء ممكناً ومن أجل هذا الضابط كُذِّب
كثير من أهل التعطيل بأحاديث نقلها الثقات عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وحرَّفوا ما
لا يمكنهم تكذيبه بناء على ظنهم أن مدلول هذه النصوص مستحيل، وحينئذ فالصواب أن
يقال: وكل ما أخبر الصادق بوقوعه فإنه يجب الإيمان بوقوعه كما أخبر لأن الصادق لا يمكن
أن يخبر بوقوع مستحيل). (ابن عثيمين)

وأما أهل المروق والإلحاد من الفلاسفة والمعتزلة؛ فينكرون هذه الأمور؛ من سؤال القبر، ومن نعيم القبر، وعذابه، والصراط، والميزان، وغير ذلك؛ بدعوى أنّها لم تثبت بالعقل، والعقل عندهم هو الحاكم الأوّل الذي لا يجوز الإيمان بشيء إلاّ عن طريقه، وهم يردّون الأحاديث الواردة في هذه الأمور بدعوى أنّها أحاديث آحاد لا تُقبل في باب الاعتقاد، وأما الآيات، فيؤوّلونها بما يصرفها عن معانيها.

والإضافة في قوله: ((بِفِتْنَةِ الْقَبْرِ)) على معنى في؛ أي: بالفتنة التي تكون في القبر.

[فتنة القبر]

وأصل الفتنة وضع الذهب ونحوه على النّار لتخليصه من الأوضار والعناصر الغريبة، ثمّ استُعْمِلَتْ في الاختبار والامتحان.

[عذاب القبر]

وأما عذاب القبر ونعيمه؛ فيدل عليه قوله تعالى في حقّ آل فرعون: ﴿النّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾ [غافر: ٤٦]، وقوله سبحانه عن قوم نوح: ﴿مِمَّا خَطَبْتَهُمْ أَغْرِقُوا فَادْخُلُوا نَارًا﴾ [نوح: ٢٥]، وقوله عليه الصلاة والسلام: ((القبر إمّا روضة من رياض الجنّة، أو حفرة من حفر النّار))^(١).

(١) (ضعيف). رواه الترمذي (٢٤٦٠) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، وقال: (غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه)، وقال ابن عساكر في ((معجم الشيوخ)) (٨٦٨/٢): (غريب جدًّا من هذا الوجه)، وضعف إسناده ابن رجب في ((التخويف من النّار)) (١٨١)، وقال ابن حجر في ((تخريج الكشاف)) (ص: ٣٥) (رقم ٢٩١): ((رواه الترمذي من حديث أبي سعيد، وهو ضعيف)) اهـ. وقد ضعّفه من قبله شيخه العراقي في ((تخريج الإحياء)) (٣٠٢/١)، وضعّفه الألباني في ((ضعيف الجامع)) (١٢٣١).

والمُرزبة - بالتخفيف-: المطرقة الكبيرة، ويقال لها أيضاً: إِرزبة؛
بالهمزة والتشديد.

(وَتَقُومُ الْقِيَامَةُ الَّتِي أَخْبَرَ اللَّهُ بِهَا فِي كِتَابِهِ، وَعَلَى لِسَانِ رَسُولِهِ،
وَأَجْمَعَ عَلَيْهَا الْمُسْلِمُونَ.

[الإيمان
بقيام القيامة]

فَيَقُومُ النَّاسُ مِنْ قُبُورِهِمْ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ حُفَاةً غُرَاةً غُرَلًا، وَتَدْنُو
مِنْهُمْ الشَّمْسُ، وَيُلْجِمُهُمُ الْعَرَقُ.

فَتُنْصَبُ الْمَوَازِينُ، فَتُوزَنُ بِهَا أَعْمَالُ الْعِبَادِ^(١)، ﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ،
فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (١٠٢) وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ، فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا
أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ﴾ (١٠٣) [المؤمنون: ١٠٢-١٠٣].

وَتُنَشَّرُ الدَّوَابُّ، وَهِيَ صَحَائِفُ الْأَعْمَالِ، فَأَخِذْ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ، وَأَخِذْ
كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ أَوْ مِنْ وَرَاءِ ظَهْرِهِ؛ كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَكُلَّ إِنْسَانٍ
أَلَمْنَهُ لَطْفٌ لَهُ فِي عُنُقِهِ، وَنُجِّرْ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا﴾ (١٣) أَقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى
بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ (١٤) [الإسراء: ١٣-١٤].

قوله: ((وَتَقُومُ الْقِيَامَةُ...)) إلخ؛ يعني: القيامة الكبرى، وهذا الوصف
للتخصيص، احتراز به عن القيامة الصغرى التي تكون عند الموت؛ كما في
الخبر: ((من مات فقد قامت قيامته))^(٢).

(١) في الأصل: فَيُوزَنُ فِيهَا أَعْمَالُ الْعِبَادِ.

(٢) (ضعيف مرفوعاً). رواه أبو نعيم في ((حلية الأولياء)) (٦/٢٦٨). من حديث أنس بن مالك

وذلك أن الله عزَّ وجلَّ إذا أذن بانقضاء هذه الدنيا؛ أمر إسرافيل عليه السلام أن ينفخ في الصور النفخة الأولى، فيصعق كل من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله، وتصبح الأرض صعيدًا جُرُزًا، والجبال كثيبًا مهيلًا، ويحدث كل ما أخبر الله به في كتابه، لا سيما في سورتي التكوير والانفطار، وهذا هو آخر أيام الدنيا.

[النفخ في الصور]

ثم يأمر الله السماء، فتمطر مطرًا كمنيّ الرجال أربعين يومًا، فينبت منه الناس في قبورهم من عَجَبِ أذناهم، وكل ابن آدم يلى إلا عجب الذنب^(١).

حتى إذا تمَّ خلقهم وتركيبهم؛ أمر الله إسرافيل بأن ينفخ في الصور النفخة الثانية، فيقوم الناس من الأجداث أحياء، فيقول الكفار والمنافقون حينئذ: ﴿يَوَلِّبْنَا مِنْ بَعَثْنَا مِنْ مَرِّدِنَا﴾، ويقول المؤمنون: ﴿هَذَا مَا وَعَدَ

= والحديث ضعّف إسناده العراقي في ((تخريج الإحياء)) (٧٩/٤)، والألباني في ((السلسلة الضعيفة)) (١١٦٦).

(١) يشير لما رواه البخاري (٥٥١/٨)، ومسلم (٣٠٣/١٨)، وأبو داود، والنسائي؛ من حديث أبي هريرة بألفاظ متقاربة.

و(العجب) - بفتح العين-: هو العظم اللطيف الذي في أسفل الصلب، وهو رأس العصص، وهو مكان رأس الذنب من ذوات الأربع.

وتشبيه المطر بمني الرجال ورد في حديث ضعيف. انظر: ((شرح الطحاوية)) (ص: ٤١٠).
وتقييده بأربعين يومًا ورد في حديث ضعيف أيضًا. انظر: ((البعث)) لابن أبي داود (ص ٧٩).
والذي ثبت في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: ((ما بين النفختين أربعون))، وأبي أبوهريّة أن يحددها بيوم أو شهر أو سنة. والله أعلم.

الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ ﴿يس:٥٢﴾.

[الحشر] ثم تحشرهم الملائكة إلى الموقف حفاةً غير مُتَعَلِّين، عُراءَ غير مكتسبين، عُراءَ غير مختننين؛ جمع أغرل، وهو الأقف، والعُرلة: القلفة. وأول من يكتسي يوم القيامة إبراهيم؛ كما في الحديث^(١).

وهناك في الموقف تدنو الشمس من رؤوس الخلائق، ويُلجِمُهُم العرق، فمنهم مَنْ يبلغ كعبيه، ومنهم من يبلغ ركبتيه، ومنهم مَنْ يبلغ ثدييه، ومنهم من يبلغ ترقوته؛ كلٌّ على قدر عمله، ويكون أناسٌ في ظلِّ الله عزَّ وجلَّ. فإذا اشتدَّ بهم الأمر، وعظَّم الكرب؛ استشفعوا إلى الله عزَّ وجلَّ بالرسول والأنبياء أن ينقذهم مما هم فيه، وكلُّ رسولٍ يحيلهم على مَنْ بعده؛ حتى يأتوا نبينا صلى الله عليه وسلم، فيقول: ((أنا لها))، ويشفع فيهم، فينصرفون إلى فصل القضاء.

[نصب لموازن]

وهناك تُنصَّب الموازين، فتوزنُّ بها أعمال العباد، وهي موازين حقيقية، كل ميزان منها له لسانٌ وكفتان، ويُقَلِّبُ الله أعمال العباد - وهي أعراضٌ - أجساماً؛ لها ثقلٌ، فتوضع الحسنات في كفة، والسيئات في كفة؛ كما قال تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أُنزِلْنَا بِهَا وَكُفَىٰ﴾ ﴿٤٧﴾ [الأنبياء: ٤٧].

ثم تُنشر الدواوين، وهي صحائف الأعمال، فأما مَنْ أوتي كتابه بيمينه؛

(١) يشير إلى ما رواه البخاري (٤٦٢٥) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إن أول الخلائق يُكسى يوم القيامة إبراهيم الخليل)).

فسوف يحاسب حساباً يسيراً، وينقلب إلى أهله مسروراً، [وأما من أوتي كتابه بشماله أو من وراء ظهره]^(١)، فسوف يدعو ثبوراً، ويصلى سعيراً، ويقول: يا ليتني لم أوتَ كتابيه، ولم أدر ما حساييه؛ قال تعالى: ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا لَ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩].

وأما قوله تعالى: ﴿وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَلِبَةً فِي عُنُقِهِ﴾؛ فقد قال الراغب: ((أي: عمله الذي طار عنه من خيرٍ وشرٍّ))^(٢).

ولكن الظاهر أنَّ المراد بالطائر هنا نصيبه في هذه الدنيا، وما كُتِبَ له فيها من رزق وعمل^(٣)؛ كما في قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ الْكِتَابِ﴾ [الأعراف: ٣٧].

يعني: ما كُتِبَ عليهم فيه.

[الإيمان بالحساب]

(وَيُحَاسِبُ اللَّهُ الْخَلَائِقَ، وَيَخْلُو بَعْدَهُ الْمُؤْمِنُ، فَيَقَرُّهُ بِذُنُوبِهِ؛ كَمَا

(١) قال ابن كثير رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ﴾: (أي: بشماله من وراء ظهره، تثنى يده إلى ورائه ويعطى كتابه بها كذلك)؛ انظر: ((تفسير ابن كثير))، سورة الانشقاق، آية (١٠).

(٢) وهذا الذي رجحه ابن كثير في تفسير الآية.

(٣) انظر: ((زاد المسير)) (١٥/٥)، وقد ذكر لمعنى الآية أربعة أقوال، وهذا الذي رجَّحه الشارح هنا، نسبة ابن الجوزي لأبي عبيدة وابن قتيبة.

وُصِفَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ.

وَأَمَّا الْكُفَّارُ؛ فَلَا يُحَاسِبُونَ مُحَاسِبَةً مِّنْ تُوْزُنِ حَسَنَاتِهِ وَسَيِّئَاتِهِ؛ فَإِنَّهُ لَا حَسَنَاتَ لَهُمْ، وَلَكِنْ تُعَدُّ^(١) أَعْمَالُهُمْ، فَتُحْصَى، فَيُوقَفُونَ عَلَيْهَا وَيُقَرَّرُونَ بِهَا^(٢).

قوله: ((وَيُحَاسِبُ اللَّهُ الْخَلَائِقَ...)) إلخ؛ المراد بتلك المحاسبة تذكيرهم وإنباؤهم بما قدموه من خير وشرٍّ أحصاه الله ونسوه؛ قال تعالى: ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٠٨].

وفي الحديث الصحيح: ((مَنْ نَوَقَشَ الْحِسَابَ عُذِّبَ)). فقالت عائشة رضي الله عنها: يا رسول الله! أوليس الله يقول: ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ [الانشقاق: ٨]؟ فقال: ((إنما ذلك العرض، ولكن من نوقش الحساب يهلك))^(٣).

[العرض]

وأما قوله: ((وَيَخْلُو بِعَبْدِهِ الْمُؤْمِنِ))؛ فقد ورد عن ابن عمر رضي الله عنهما أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُدْنِي مِنْهُ عَبْدَهُ الْمُؤْمِنَ، فَيُضِعُ عَلَيْهِ كَنَفَهُ، وَيُحَاسِبُهُ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ، وَيَقَرُّرُهُ بِذُنُوبِهِ، فيقول: ألم تفعل كذا يوم كذا؟ ألم تفعل كذا يوم كذا؟ حتى إذا قرَّره بذنوبه، وأيقن أنه قد هلك؛ قال له: سترتها

(١) في الأصل: تُعَدُّ.

(٢) زاد في الأصل: وَيُجَزَّوْنَ بِهَا.

(٣) رواه البخاري (١٠٣)، ومسلم (٢٨٧٦)، وأبو داود، والترمذي.

عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم^(١).

وأما قوله: **((فَإِنَّهُ لَا حَسَنَاتَ لَهُمْ))**؛ يعني: الكفار؛ لقوله تعالى:
﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾ [الفرقان: ٢٣]،
 وقوله: **﴿مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَىٰ شَيْءٍ﴾** [إبراهيم: ١٨].

والصحيح [أن]^(٢) أعمال الخير التي يعملها الكافر يجازى بها في الدنيا فقط، حتى إذا جاء يوم القيامة وجد صحيفة حسناته بيضاء.

وقيل: يخفف بها عنه من عذاب غير الكفر.

[صفة الحوض]

(وَفِي عَرَصَاتِ الْقِيَامَةِ الْحَوْضُ الْمُرْوُودُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مَاؤُهُ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ، وَأَحْلَىٰ مِنَ الْعَسَلِ، آيَتُهُ عَدَدُ نُجُومِ السَّمَاءِ، طَوْلُهُ شَهْرٌ، وَعَرْضُهُ شَهْرٌ، مَنْ يَشْرَبُ مِنْهُ شَرْبَةً؛ لَا يَظْمَأُ بَعْدَهَا أَبَدًا^(٣)).

وأما قوله: **((فِي عَرَصَاتِ الْقِيَامَةِ...))**؛ فإن الأحاديث الواردة في ذكر الحوض تبلغ حدَّ التواتر، رواها من الصحابة بضْعُ وثلاثون صحابياً^(٤)، فمن

(١) رواه البخاري (٢٤٤١)، ومسلم (٢٧٦٨).

(٢) لفظة يقتضيها السياق، ليست في أصل الشرح؛ كما ذكر ذلك الأنصاري في طبعة الإفتاء.

(٣) يشير إلى ما رواه مسلم في صحيحه (٢٣٠٠) عن أبي ذر رضي الله عنه.

(٤) ذكر ذلك الحافظ في «الفتح» (٤٦٧/١١)، وقال: «منهم في الصحيحين ما ينيف على

العشرين، وفي غيرها بقية ذلك».

أنكره؛ فأخْلِقْ به أن يُجَالَ بينه وبين وروده يوم العطش الأكبر، وقد ورد في أحاديث: ((إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوْضًا))^(١).

ولكن حوض نبيِّنا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أعظمها وأحلاها وأكثرها إيرادًا. جعلنا الله منهم بفضلهم وكرمه.

[صفة الصراط] **(وَالصِّرَاطُ مَنْصُوبٌ عَلَى مَتْنِ جَهَنَّمَ، وَهُوَ الْجِسْرُ الَّذِي بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالتَّارِ، يَمُرُّ النَّاسُ [عَلَيْهِ]^(٢) عَلَى قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَلْمَحِ البَصْرِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَالْبَرْقِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَالرَّيْحِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَالْفَرَسِ الْجَوَادِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَرِكَابِ الإِبِلِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَعْدُو عَدْوًا، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي مَشْيًا، وَمِنْهُمْ مَنْ يَزْحَفُ زَحْفًا، وَمِنْهُمْ مَنْ يُخْطِفُ خُطْفًا وَيُلْقَى فِي جَهَنَّمَ؛ فَإِنَّ الْجِسْرَ عَلَيْهِ كَالإِيبِ تُخْطِفُ النَّاسَ**

(١) رواه الترمذي (٢٤٤٣) وقال: (هذا حديث غريب وقد روى الأشعث بن عبد الملك هذا الحديث عن الحسن عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مرسلًا ولم يذكر فيه عن سمرة وهو أصح) والحديث رواه الطبراني في «الكبير» (٢٥٦/٧)، والبخاري في «التاريخ» (٤٤/١)، وابن أبي عاصم في «السنة» (٧٣٤)؛ كلهم من طريق الحسن عن سمرة. وفي سماع الحسن من سمرة خلاف، والحسن البصري مدلس، ولم يصرح هنا بالسماع. قال ابن كثير في نهاية البداية والنهاية (٣٧١/١): مرسل حسن، وصحح ابن حجر في الفتح (٤٧٥/١١) إسناد المرسل وضعف إسناد المرفوع، وكذا شيخه العراقي في تخريج الإحياء (٢٩٢/٥)، والحديث حسنه الألباني بمجموع طرقه في «الصحيحة» (١٥٨٩)، وانظر: «الفتح» (٤٦٧/١١).

وعن سماع الحسن من سمرة. انظر: «المعجم الكبير» للطبراني (٢٣١/٧-٢٣٦-هامش)؛ ففيه تفصيلٌ جيّد.

(٢) زيادة من الأصل.

بِأَعْمَالِهِمْ، فَمَنْ مَرَّ عَلَى الصِّرَاطِ؛ دَخَلَ الْجَنَّةَ.

فَإِذَا عَبَرُوا عَلَيْهِ؛ وَقَفُوا عَلَى قَنْطَرَةٍ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، فَيُقْتَصُّ لِبَعْضِهِمْ مِّنْ بَعْضٍ، فَإِذَا هُدُّبُوا وَنُقُّوا؛ أُذِنَ لَهُمْ فِي دُخُولِ الْجَنَّةِ^(١).

قوله: ((وَالصِّرَاطُ مَنْصُوبٌ...)) إلخ. أصل الصراط الطريق الواسع؛ قيل: سمي بذلك لأنه يستترط السابلة؛ أي: يتلعمهم إذا سلكوه، وقد يستعمل في الطريق المعنوي؛ كما في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

والصراط الأخروي الذي هو الجسر الممدود على ظهر جهنم بين الجنة والنار^(٢) حقٌّ لا ريب فيه؛ لورود خبر الصادق به، ومَن استقام على صراط الله الذي هو دينه الحق في الدنيا استقام على هذا الصراط في الآخرة، وقد ورد في وصفه أنه: ((أدق من الشعرة، وأحد من السيف))^(٣).

(١) روى البخاري نحوه (٦٥٣٥).

(٢) لم أجد في السنة ما يثبت أنه بين الجنة والنار، والذي ثبت أنه بين ظهري جهنم. انظر: «الفتح» (٤١٩/١٣، ٢٩٢/٢).

(٣) لم يصحَّ مرفوعاً. لذلك قال البيهقي في «شعب الإيمان» (٢٤٧/٢): «وهذا اللفظ من الحديث لم أجد في الروايات الصحيحة» اهـ. ولكن روى مسلم في «صحيحه» (١٨٣) عن سعيد بن أبي هلال عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري أنه قال: «قلنا: يا رسول الله! أنرى ربنا؟...». إلى أن قال: «قال أبو سعيد: بلغني أن الجسر أدق من الشعرة، وأحد من السيف». ورواه ابن منده في «كتاب الإيمان» (٨٠٢/٢) بتمامه وبالسنن نفسه، ولكن قال: «قال سعيد بن أبي هلال: بلغني أن الجسر أدق من الشعرة، وأحد من السيف». وقد وصله البيهقي في «شعب الإيمان» (٢٤٦/٢) عن أنس عن =

﴿وَأَوَّلُ مَنْ يَسْتَفْتَحُ بَابَ الْجَنَّةِ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنَ الْأُمَّمِ أُمَّتُهُ﴾ [أول الناس دخولا الجنة]

قوله: ((وَأَوَّلُ مَنْ يَسْتَفْتَحُ بَابَ الْجَنَّةِ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ))؛ يعني: أول من يحرك حلقها طالبا أن يُفْتَحَ له بابها؛ كما قال عليه السلام: ((أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر، وأنا أول من تنشق عنه الأرض ولا فخر، وأنا أول من يحرك حلق الجنة، فأدخلها ويدخلها معي

= النبي صلى الله عليه وسلم، وفيه سعيد بن زربي ويزيد الرقاشي، وهما ضعيفان؛ لذا قال الحافظ في «الفتح» (٤٥٤/١١): ((وفي سنده لين)). وروي أيضا عن زياد التَّمِيرِي عن أنس مرفوعا.

وزياد ضعيف؛ لذا قال البيهقي في «الشعب» (٢٤٨/٢): ((وهي أيضا رواية ضعيفة (٢٤٨/٢). ومن عجائب التصحيف أنها تصحفت في «كشف الخفاء» (٢٤/٢) رقم (١٥٩٩) إلى: ((وهي أيضا رواية صحيحة))!!

وروي عن عبيد بن عمير عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مرسلًا، وكذا عن سعيد بن أبي هلال رواية أخرى مرسله أو معضلة. انظر: «الفتح» (٤٥٤/١١).

ولكن ثبت عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: ((والصراط كحد السيف، دحض مزلّة)). أخرجه الحاكم (٢٧٦/٢). وقال: حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه بهذا اللفظ، وقال السيوطي في «البدور السافرة» (١٥٨): طريقه صحيحة متصلة رجالها ثقات، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٣٦٢٩).

وثبت أنه كحد موسى من حديث سلمان مرفوعا: ((... ويوضع الصراط مثل حد موسى)). أخرجه الحاكم (٥٨٦/٤)، وقال: صحيح على شرط مسلم، وقال ابن رجب في «التخويف من النار» (٢٢٤): المعروف أنه موقوف على سلمان الفارسي من قوله، وقال الألباني في «سلسلة الأحاديث الصحيحة» (٩٤١): إسناده صحيح موقوفاً وله حكم الرفع.

فقراء أمتي))^(١).

يعني: بعد دخول الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام يكون فقراء هذه الأمة أول الناس دخولا الجنة.

[أنواع لشفاعات]

وَلَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْقِيَامَةِ ثَلَاثُ شَفَاعَاتٍ:

أَمَّا الشَّفَاعَةُ الْأُولَى؛ فَيَشْفَعُ فِي أَهْلِ الْمَوْقِفِ حَتَّى يُقْضَى بَيْنَهُمْ بَعْدَ أَنْ يَتَرَاجَعَ الْأَنْبِيَاءُ؛ آدَمُ، وَنُوحٌ، وَإِبْرَاهِيمُ، وَمُوسَى، وَعِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ عَنِ الشَّفَاعَةِ حَتَّى تَنْتَهِيَ إِلَيْهِ.

وَأَمَّا الشَّفَاعَةُ الثَّانِيَةُ؛ فَيَشْفَعُ فِي أَهْلِ الْجَنَّةِ أَنْ يَدْخُلُوا الْجَنَّةَ.

وَهَاتَانِ الشَّفَاعَتَانِ خَاصَّتَانِ لَهُ.

(١) (إسناده ضعيف). رواه الترمذي (٣٦١٦)، والدارمي (٣٩/١) (٤٧)، عن ابن عباس رضي الله عنهما، وفي سنده زمعة بن صالح، وهو ضعيف. وقال الترمذي: ((هذا حديث غريب))، وقال ابن كثير في التفسير (٣٧٥/٢): (غريب من هذا الوجه)، وضعفه الألباني في ((ضعيف سنن الترمذي)) (٣٦١٦).

لكن يشهد لأوله أحاديث أخرى: منها حديث: ((أنا أكثر الأنبياء تبعًا، وأنا أول من يقرع باب الجنة))، وحديث: ((آتي باب الجنة يوم القيامة، فأستفتح، فيقول الخازن: من أنت؟ فأقول: محمد. فيقول: بك أمرت، لا أفتح لأحد قبلك))؛ رواهما مسلم (١٩٧).

ويشهد لوسطه حديث أنس مرفوعًا: ((أنا أول من يأخذ بملقمة باب الجنة، فأقعقعها))؛ رواه أحمد والترمذي والدارمي وغيرهم، وفي صحته نظر.

ويشهد لآخره ما رواه أحمد وابن ماجه والترمذي واللفظ له من رواية أبي هريرة: ((يدخل الفقراء الجنة قبل الأغنياء بخمس مئة عام)). قال الترمذي: (حسن صحيح)، وانظر:

((صحيح سنن الترمذي)) للألباني (٢٧٥/٢).

وَأَمَّا الشَّفَاعَةُ الثَّلَاثَةُ؛ فَيَشْفَعُ فِيْمَنِ اسْتَحَقَّ النَّارَ، وَهَذِهِ الشَّفَاعَةُ لَهُ
وَلِسَائِرِ النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ وَغَيْرِهِمْ، فَيَشْفَعُ فِيْمَنِ اسْتَحَقَّ النَّارَ أَنْ لَا
يَدْخُلَهَا، وَيَشْفَعُ فِيْمَنْ دَخَلَهَا أَنْ يُخْرَجَ مِنْهَا.

وَيُخْرِجُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ أَقْوَامًا بغيرِ شَفَاعَةٍ؛ بَلْ بِفَضْلِهِ وَرَحْمَتِهِ، وَيَبْقَى
فِي الْجَنَّةِ فَضْلٌ عَمَّنْ دَخَلَهَا مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا، فَيُنشِئُ اللَّهُ لَهَا أَقْوَامًا
فَيَدْخُلُهُمُ الْجَنَّةَ)

[معنى الشفاعة] وأمّا قوله: ((وَلَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْقِيَامَةِ ثَلَاثُ

شَفَاعَاتٍ))^(١)؛ فأصل الشفاعة من قولنا: شفع كذا بكذا إذا ضمّه إليه،
وسمي الشافع شافعاً لأنه يضمُّ طلبه ورجاءه إلى طلب المشفوع له.

والشفاعة من الأمور التي ثبتت بالكتاب والسنة، وأحاديثها متواترة؛

قال تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

فنفي الشفاعة بلا إذن إثباتٌ للشفاعة من بعد الإذن.

قال تعالى عن الملائكة: ﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ

شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَبَرَضَى﴾ [النجم: ٢٦].

فبيّن الله الشفاعة الصحيحة، وهي التي تكون بإذنه، ولمن يرتضي قوله

وعمله.

(١) عن الشفاعة انظر كتاب «الشفاعة عند أهل السنة والرد على المخالفين فيها» للدكتور

ناصر الجديع، وكتاب «القيامة الكبرى» للشيخ عمر الأشقر (ص ١٧٣-١٩١).

وأما ما يتمسك به الخوارج والمعتزلة في نفي الشفاعة من مثل قوله تعالى: ﴿فَمَا نَنْفَعُهُمْ شَفَعَةُ الشَّافِعِينَ﴾ (المدثر: ٤٨)، ﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنْفَعُهَا﴾ (البقرة: ١٢٣)، ﴿فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ﴾ (الشعراء: ١٠٠). إلخ؛ فإنَّ الشفاعة المنفِية هنا هي الشفاعة في أهل الشرك، وكذلك الشفاعة الشركية التي يثبتها المشركون لأصنامهم، ويثبتها النصارى للمسيح والرهبان، وهي التي تكون بغير إذن الله ورضاه.

[الشفاعة الأولى]

وأما قوله: ((أَمَّا الشَّفَاعَةُ الْأُولَى؛ فَيَشْفَعُ فِي أَهْلِ الْمَوْقِفِ حَتَّى يُفْضَى بَيْنَهُمْ))؛ فهذه هي الشفاعة العظمى، وهي المقام المحمود الذي يغبطه به النبيون، والذي وعده الله أن يعثه إياه بقوله: ﴿عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾ (الإسراء: ٧٩).

يعني: يحمده عليه أهل الموقف جميعًا.

وقد أمرنا نبيُّنا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا سمعنا النداء أن نقول بعد الصلاة عليه: ((اللهم ربَّ هذه الدعوة التَّامَّة، والصلاة القائمة، آت محمدًا الوسيلة والفضيلة، وابعثه مقامًا محمودًا الذي وعدته))^(١).

[الشفاعة الثانية]

وأما قوله: ((وَأَمَّا الشَّفَاعَةُ الثَّانِيَةُ؛ فَيَشْفَعُ فِي أَهْلِ الْجَنَّةِ أَنْ يَدْخُلُوا الْجَنَّةَ))؛ يعني: أھم - وقد استحقُّوا دخول الجنة - لا يؤذن لهم بدخولها

(١) رواه البخاري (٦١٤)، وأبو داود، والترمذي، والنسائي.

إلا بعد شفاعته^(١).

وأما قوله: **((وَهَاتَانِ الشَّفَاعَتَانِ خَاصَّتَانِ لَهُ))**؛ يعني: الشفاعة في أهل الموقف، والشفاعة في أهل الجنة أن يدخلوها.

وتنضمُّ إليهما ثالثة، وهي شفاعته في تخفيف العذاب عن بعض^(٢) المشركين؛ كما في شفاعته لعمه أبي طالب، فيكون في ضحاح من نار؛ كما ورد بذلك الحديث^(٣).

[الشفاعة الثالثة]

وأما قوله: **((وَأَمَّا الشَّفَاعَةُ الثَّلَاثَةُ؛ فَيَشْفَعُ فِيْمَنِ اسْتَحَقَّ النَّارَ))** إلخ. وهذه هي الشفاعة التي ينكرها الخوارج والمعتزلة؛ فإنَّ مذهبهم أنَّ مَنْ اسْتَحَقَّ النَّارَ؛ لا بدَّ أن يدخلها، ومن دخلها؛ لا يخرج منها لا بشفاعة ولا بغيرها.

(١) لما رواه مسلم (١٩٥)، عن حذيفة بن اليمان وأبي هريرة رضي الله عنهما مرفوعًا: «يجمع الله تبارك وتعالى الناس، فيقوم المؤمنون حتى تُزْلَفَ لهم الجنة، فيأتون آدم، فيقولون: يا أبانا! استفتح لنا...». ثمَّ ذكر في الحديث إتيانهم إبراهيم وموسى وعيسى... إلى أن قال: «فيأتون محمدًا صلى الله عليه وسلم، فيقوم، فيؤذن له».

(٢) لم أعلم أن ذلك ورد إلا في عمه أبي طالب فإذا كان كذلك فالأولى أن يقال: وهي شفاعته في تخفيف العذاب عن عمه لأن كلمة بعض ربما يظن أنها تناول غير أبي طالب). (ابن عثيمين)

(٣) من ذلك ما رواه البخاري (٣٨٨٥)، ومسلم (٢١٠) عن أبي سعيد الخدري أنه سمع رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وذكر عنده عمه أبو طالب - فقال: «لعله تنفعه شفاعتي يوم القيامة...» الحديث.

والأحاديث المستفيضة المتواترة تردُّ على زعمهم وتبطله^(١).

**(وَأَصْنَافُ مَا تَضَمَّنَتْهُ الدَّارُ الآخِرَةُ مِنَ الحِسَابِ وَالثَّوَابِ وَالعِقَابِ
وَالجَنَّةِ وَالنَّارِ وَتَفَاصِيلُ ذَلِكَ مَذْكُورَةٌ فِي الكُتُبِ المَنْزَلَةِ مِنَ السَّمَاءِ،
وَالآثَارِ مِنَ العِلْمِ المَأْتُورِ عَنِ الأنْبِيَاءِ^(٢))، وَفِي العِلْمِ المَوْزُوثِ عَنِ
مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ ذَلِكَ مَا يَشْفِي وَيَكْفِي، فَمَنْ ابْتَعَاهُ
وَجَدَهُ).**

وأما قوله: **((وَأَصْنَافُ مَا تَضَمَّنَتْهُ الدَّارُ الآخِرَةُ مِنَ الحِسَابِ...))**
إلخ؛ فاعلم أن أصل الجزاء على الأعمال خيرا وشرا ثابت بالعقل كما هو
ثابت بالسمع، وقد نبه الله العقول إلى ذلك في مواضع كثيرة من كتابه؛ مثل
قوله تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾^(١١٥)
[المؤمنون: ١١٥]، ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى﴾^(٣٦) [القيامة: ٣٦].

فإنه لا يليق في حكمة الحكيم أن يترك الناس سُدىً مهملين، ولا
يؤمرون، ولا يُنْهَوْنَ، ولا يُثَابُونَ ولا يُعَاقَبُونَ؛ كما لا يليق بعدله وحكمته أن
يسوي بين المؤمن والكافر، والبر والفاجر؛ كما قال تعالى: ﴿أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ
ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ﴾^(٢٨)
[ص: ٢٨].

(١) منها ما رواه البخاري (٦٥٦٦)، عن عمران بن حصين مرفوعاً: «يُخْرَجُ قَوْمٌ مِنَ النَّارِ بِشَفَاعَةِ
مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَيَدْخُلُونَ الجَنَّةَ، يَسْمُونَ الجَهَنَّمِيِّينَ».
(٢) في الأصل: والآثار من العلم المأثورة عن الأنبياء.

فإنَّ العقول الصحيحة تأبى ذلك وتنكره أشدَّ الإنكار.

وكذلك نَبَّهَهُم اللهُ على ذلك بما أوقعه من أيامه في الدنيا من إكرام الطائعين، وخذلان الطاغين.

وأما تفاصيل الأجزية ومقاديرها؛ فلا يدرك إلا بالسمع والنقول الصحيحة عن المعصوم الذي لا يَنْطِقُ عن الهوى صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله.

(وَتُؤْمِنُ الْفِرْقَةُ النَّاجِيَةُ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ بِالْقَدْرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ.

[الإيمان بالقدر]

وَالْإِيمَانُ بِالْقَدْرِ عَلَى دَرَجَتَيْنِ؛ كُلُّ دَرَجَةٍ تَتَضَمَّنُ شَيْئِينَ).

والإيمان بالقدر خيره وشره من الله تبارك وتعالى أحدُ الأركان الستة التي يدور عليها فلكُ الإيمان؛ كما دلَّ عليه حديث جبريل وغيره، وكما دلَّت عليه الآيات الصريحة من كتاب الله عزَّ وجلَّ.

وقد ذكر المؤلف هنا أنَّ الإيمان بالقدر على درجتين، وأنَّ كلاً منهما تتضمن شيئين:

(فَالدَّرَجَةُ الْأُولَى: الْإِيمَانُ بِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى [عَلِيمٌ بِالْخَلْقِ وَهُمْ] ^(١)

عَامِلُونَ بِعِلْمِهِ الْقَدِيمِ الَّذِي هُوَ مَوْصُوفٌ بِهِ أَرْزَاقًا وَأَبْدَاءً، وَعَلِمَ جَمِيعَ أَحْوَالِهِمْ مِّنَ الطَّاعَاتِ وَالْمَعَاصِي وَالْأَرْزَاقِ وَالْآجَالِ، ثُمَّ كَتَبَ اللَّهُ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ مَقَادِيرَ الْخَلْقِ ^(٢).

(١) في الأصل: عَلِمَ مَا الْخَلْقُ.

(٢) في الأصل: الْخَلَائِقِ.

فَأَوَّلَ^(١) مَا خَلَقَ اللَّهُ الْقَلَمَ قَالَ لَهُ: اكْتُبْ. قَالَ: مَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: اكْتُبْ مَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

فَمَا أَصَابَ الْإِنْسَانَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَهُ، وَمَا أَخْطَأَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَهُ، جَفَّتِ الْأَقْلَامُ، وَطَوِيَتِ الصُّحُفُ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾﴾ [الحج: ٧٠]، وَقَالَ: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾﴾ [الحديد: ٢٢].

وَهَذَا التَّقْدِيرُ التَّابِعُ لِعِلْمِهِ سُبْحَانَهُ يَكُونُ فِي مَوَاضِعَ جُمْلَةً وَتَفْصِيلاً: فَقَدْ كَتَبَ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ مَا شَاءَ.

وَإِذَا خَلَقَ جَسَدَ الْجَنِينِ قَبْلَ نَفْخِ الرُّوحِ فِيهِ؛ بَعَثَ إِلَيْهِ مَلَكًا، فَيُؤَمِّرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ، (فَيَقَالُ لَهُ: اكْتُبْ: رِزْقَهُ، وَأَجَلَهُ، وَعَمَلَهُ، وَشَقِيَّ أَمْ سَعِيدٍ)^(٢). وَنَحْوَ ذَلِكَ...

فَهَذَا التَّقْدِيرُ قَدْ كَانَ يُنْكَرُهُ غُلَاةُ الْقَدَرِيَّةِ قَدِيمًا، وَمُنْكَرُهُ الْيَوْمَ قَلِيلٌ^(٣).

(١) منصوب على الظرفية.

(٢) في الأصل: يَكْتُبُ رِزْقَهُ، وَأَجَلَهُ، وَعَمَلَهُ، وَشَقِيَّ أَوْ سَعِيدٍ.

(٣) هذا التقسيم بهذه الصورة وجعل القدر أربع مراتب لم يكن معروفًا من قبل، وقد يكون أول من فضَّله هو شيخ الإسلام رحمه الله، فزعم بعض المعترضين أنها بدعة ابتدعتها، لكن من قرأ كلام السلف علم أنهم يعنون بالإيمان بالقدر الإيمان بهذه المراتب، وعدم الإيمان بواحدة =

فالدرجة الأولى تتضمَّن:

أَوَّلًا: الإيمان بعلمه القديم المحيط بجميع الأشياء، وأنه تعالى عَلم بهذا العلم القديم الموصوف به أزلاً وأبداً كلَّ ما سيعمله الخلق فيما لا يزال، وعلم به جميع أحوالهم من الطاعات والمعاصي والأرزاق والآجال. فكل ما يوجد من أعيان وأوصاف ويقع من أفعال وأحداث فهو مطابق لما علمه الله عزَّ وجلَّ أزلاً.

ثانيًا: أنَّ الله كتب ذلك كله وسجَّله في اللوح المحفوظ، فما علم الله كونه ووقوعه من مقادير الخلائق وأصناف الموجودات وما يتبع ذلك من الأحوال والأوصاف والأفعال ودقيق الأمور وجليلها قد أمر القلم بكتابتها؛ كما قال صلى الله عليه وسلم: ((قدَّر الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة، وكان عرشه على الماء))^(١).

[العرش والقلم]

وكما قال في الحديث الذي ذكره المؤلف: ((إنَّ أول ما خلق الله القلم؛ قال له: اكتب. قال: وما أكتب؟ قال: اكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة))^(٢). و(أوَّل) هنا بالنصب على الظرفية، والعامل فيه (قال)؛ أي: قال له ذلك أول ما خلقه.

= منها لا يحقُّq الإيمان بالقدر، والمراتب هي: علم الله بكل شيء، وكتابته، ومشيعته النافذة وأنه خالق كل شيء. فلا حرج من التقسيم والتبويب من أجل التوضيح.

(١) رواه مسلم (٢٦٥٣)؛ بلفظ: ((كتب الله مقادير...)).

(٢) رواه بنحوه أحمد (٢٢٧٥٧)، وأبو داود (٤٧٠٢)، والترمذي (٢١٥٥)، وغيرهم.

قال الترمذي: حسن غريب، وصححه ابن جرير الطبري في ((التاريخ)) (٣٢/١)، وابن العربي

في ((أحكام القرآن)) (٣٣٥/٢)، والألباني في صحيح الجامع (٢٠١٧).

وقد روي بالرفع على أنه مبتدأ، وخبره القلم.

ولهذا اختلف العلماء في العرش والقلم؛ أيهما خُلِقَ أولاً^(١).

وحكى العلامة ابن القيم في ذلك قولين، واختار أن العرش مخلوق قبل

القلم. قال في ((النونية))^(٢):

«وَالنَّاسُ مُخْتَلِفُونَ فِي الْقَلَمِ الَّذِي كُتِبَ الْقَضَاءُ بِهِ مِنَ الدِّيَانِ هَلْ كَانَ قَبْلَ الْعَرْشِ أَوْ هُوَ بَعْدَهُ وَالْحَقُّ أَنَّ الْعَرْشَ قَبْلُ لِأَنَّهُ وَكَتَابَةُ الْقَلَمِ الشَّرِيفِ تَعَقَّبَتْ

كُتِبَ الْقَضَاءُ بِهِ مِنَ الدِّيَانِ قَوْلَانِ عِنْدَ أَبِي الْعَلَا الهَمْدَانِي [وَقْتُ] ^(٣) الْكِتَابَةِ كَانَ ذَا أَرْكَانٍ إِجَادَهُ مِنْ غَيْرِ فَضْلِ زَمَانٍ»

وإذا كان القلم قد جرى بكل ما هو كائن إلى يوم القيامة بكل ما يقع من كائنات وأحداث؛ فهو مطابق لما كتب فيه، فما أصاب الإنسان لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه؛ كما جاء في حديث ابن عباس رضي الله عنهما وغيره^(٤).

(١) للشيخ الألباني تخریج لطيف للحديث السابق، رجَّح فيه زيادة (الفاء) أو (ثم) عند قوله: «قال له: اكتب»، وعليه فقد رجَّح أسبقية خلق القلم على العرش، وأسبقية خلق العرش على الكتابة، فراجعهُ إن شئت في «شرح الطحاوية» (ص ٢٦٤)، وانظر «السلسلة الصحيحة» (١٣٣). وانظر كتاب «القدر» للقرشي (هامش صفحة ١٢٢).

(٢) انظر: «شرح النونية» للهراس (١/١٦٥)، ولا بن عيسى (١/٣٧٤).

(٣) في المرجعين السابقين: [قبل]؛ بدل: [وقت].

(٤) جزء من حديث رواه أحمد في المسند (١/٢٩٣) (٢٦٦٩)، والترمذي (٢١٤٤)، والحاكم (٢/٦٢٣)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١/٢١٦) (١٩٥). من حديث جابر بن عبد الله =

وهذا التقدير التابع للعلم القديم تارة يكون جملةً؛ كما في اللوح المحفوظ؛ فإنَّ فيه مقادير كل شيء، ويكون في مواضع تفصيلاً يخصُّ كل فرد؛ كما في الكلمات الأربع التي يؤمر الملك بكتابتها عند نفخ الروح في الجنين؛ يكتب رزقه، وأجله، وعمله، وشقيُّ أم سعيد^(١).

فهذا تقديرٌ خاصٌّ، وهذا التقدير السابق على وجود الأشياء قد كان ينكره غلاة القدرية قديماً؛ مثل: معبد الجهني^(٢)، وغيلان الدمشقي^(٣)، وكانوا يقولون: إنَّ الأمر أنْف.

ومنكر هذه الدرجة من القدر كافر؛ لأنَّه أنكر معلوماً من الدين بالضرورة، وقد ثبت بالكتاب والسنة والإجماع.

وَأَمَّا الدَّرَجَةُ الثَّانِيَّةُ؛ فَهِيَ مَشِيئَةُ اللَّهِ النَّافِذَةُ، وَقُدْرَتُهُ الشَّامِلَةُ،

= مرفوعاً: ((لا يؤمن عبد، حتى يؤمن بالقدر خيره وشره من الله، وحتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وأن ما أخطأه لم يكن ليصيبه)). انظر: ((صحيح الجامع)) (٧٤٦١).

كما رواه أبو داود، والترمذي، وغيرهما؛ عن ابن عباس، وأبي بن كعب، وعبادة بن الصامت رضي الله عنهم مرفوعاً وموقوفاً.

(١) لما رواه البخاري (٧٤٥٤)، ومسلم (٢٦٤٣)، وهو جزء من حديث ابن مسعود المشهور: ((إن خلق أحدكم يجمع في بطن أمه...)) الحديث.

(٢) هو معبد بن عبد الله بن عليم الجهني البصري، أول من قال بالقدر، نحى الحسن عن مجالسته، وقال: ((هو ضالٌّ مضلٌّ)). قتله الحجاج سنة (٨٠هـ)، وقيل: صلبه عبد الملك بن مروان. انظر: ((ميزان الاعتدال)) (١٤١/٤)، و((الأعلام)) (٢٦٤/٧).

(٣) هو غيلان بن مسلم بن أبي غيلان، أبو مروان الدمشقي، كاتب بليغ، ثاني من تكلم في القدر، أخذه عن معبد الجهني، صلبه هشام بن عبد الملك بدمشق بعد عام (١٠٥هـ). انظر: ((الأعلام)) (١٢٤/٥).

وَهُوَ: الْإِيمَانُ بِأَنَّ مَا شَاءَ اللَّهُ كَانَ، وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ، وَأَنَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ حَرَكَةٍ وَلَا سُكُونٍ؛ إِلَّا بِمَشِيئَةِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ، (لَا يَكُونُ فِي مُلْكِهِ مَا لَا يُرِيدُ)^(١)، وَأَنَّهُ سُبْحَانَهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ مِنَ الْمَوْجُودَاتِ وَالْمَعْدُومَاتِ، فَمَا مِنْ مَخْلُوقٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ إِلَّا اللَّهُ خَالِقُهُ سُبْحَانَهُ، لَا خَالِقَ غَيْرُهُ، وَلَا رَبَّ سِوَاهُ.

وَمَعَ ذَلِكَ؛ فَقَدْ أَمَرَ الْعِبَادَ بِطَاعَتِهِ وَطَاعَةِ رُسُلِهِ، وَنَهَاهُمْ عَنِ مَعْصِيَتِهِ.

وَهُوَ سُبْحَانَهُ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ وَالْمُحْسِنِينَ وَالْمُقْسِطِينَ، وَيَرْضَى عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ، وَلَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ، وَلَا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ، وَلَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ، وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ، وَلَا يُحِبُّ الْفُسَادَ.

قوله: ((وَأَمَّا الدَّرَجَةُ الثَّانِيَةُ...)) إلخ؛ فهي تتضمن شيئين أيضاً:

أولهما: الإيمان بعموم مشيئته تعالى، وأنَّ ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وأنه لا يقع في ملكه ما لا يريد، وأنَّ أفعال العباد من الطاعات والمعاصي واقعة بتلك المشيئة العامة التي لا يخرج عنها كائنٌ؛ سواءً كان مما يحبه الله ويرضاه أم لا.

وثانيهما: الإيمان بأنَّ جميع الأشياء واقعة بقدرته الله تعالى، وأَنَّها مخلوقة له؛ لا خالق لها سواه، لا فرق في ذلك بين أفعال العباد وغيرها؛ كما قال

(١) في الأصل: لَا يَكُونُ فِي مُلْكِهِ إِلَّا مَا يُرِيدُ.

تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ (٦١) ﴿[الصفات: ٩٦].

ويجبُ الإيمان بالأمر الشرعيِّ، وأنَّ الله تعالى كلَّف العباد، فأمرهم بطاعته وطاعة رسله، ونهاهم عن معصيته.

ولا منافاة أصلاً بين ما ثبت من عموم مشيئته سبحانه لجميع الأشياء وبين تكليفه العباد بما شاء من أمر ونهي؛ فإنَّ تلك المشيئة لا تنافي حرية العبد واختياره للفعل، ولهذا جمع الله بين المشيئتين بقوله: ﴿لَمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ﴾ (٢٨) ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ (٢٩) ﴿[التكوير: ٢٨-٢٩].

كما أنَّه لا تلازم بين تلك المشيئة وبين الأمر الشرعيِّ المتعلِّق بما يحبه الله ويرضاه، فقد يشاء الله ما لا يحبه، ويحبُّ ما لا يشاء كونه: فالأول: كمشيئته وجود إبليس وجنوده.

والثاني: كمحبة إيمان الكفار، وطاعات الفجار، وعدل الظالمين، وتوبة الفاسقين، ولو شاء ذلك؛ لوجد كله؛ فإنَّه ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن.

(وَالْعِبَادُ فَاعِلُونَ حَقِيقَةً، وَاللَّهُ خَلَقَ^(١) أفعالهم.

[أفعال العباد]

وَالْعَبْدُ هُوَ: الْمُؤْمِنُ، وَالْكَافِرُ، وَالْبُرُّ، وَالْفَاجِرُ، وَالْمَصَلِّي، وَالصَّائِمُ.

وَلِلْعِبَادِ قُدْرَةٌ عَلَى أَعْمَالِهِمْ، وَلَهُمْ إِرَادَةٌ، [وَاللَّهُ خَالِقُهُمْ وَقُدْرَتِهِمْ

(١) في الأصل: خَالِقٌ.

وَأَرَادَتْهِمْ^(١)؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ﴾ (٢٨) وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ (٢٩) ﴿التكوير: ٢٨-٢٩﴾.

وكذلك لا منافاة بين عموم خلقه تعالى لجميع الأشياء، وبين كون العبد فاعلاً لفعله؛ فالعبد هو الذي يوصفُ بفعله، فهو المؤمن والكافر، والبر والفاجر، والمصلي والصائم، والله خالقه، وخالق فعله؛ لأنَّه هو الذي خلق فيه القدرة والإرادة اللتين بهما يفعل.

يقول العلامة الشيخ عبد الرحمن بن ناصر آل سعدي^(٢) غفر الله له وأجزل مثوبته: ((إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا صَلَّى، وَصَامَ، وَفَعَلَ الْخَيْرَ، أَوْ عَمَلَ شَيْئًا مِنَ الْمَعَاصِي؛ كَانَ هُوَ الْفَاعِلَ لِذَلِكَ الْعَمَلِ الصَّالِحِ، وَذَلِكَ الْعَمَلِ السَّيِّئِ، وَفَعَلَهُ الْمَذْكُورَ بِلَا رَيْبٍ قَدْ وَقَعَ بِاخْتِيَارِهِ، وَهُوَ يَحْسُ ضَرُورَةَ أَنَّهُ غَيْرُ مُجْبُورٍ عَلَى الْفِعْلِ أَوْ التَّرْكِ، وَأَنَّهُ لَوْ شَاءَ لَمْ يَفْعَلْ، وَكَانَ هَذَا هُوَ الْوَاقِعُ؛ فَهُوَ الَّذِي نَصَّ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي كِتَابِهِ، وَنَصَّ عَلَيْهِ رَسُولُهُ؛ حَيْثُ أَضَافَ الْأَعْمَالَ صَالِحِهَا وَسَيِّئِهَا إِلَى الْعِبَادِ، وَأَخْبَرَ أَنَّ الْفَاعِلِينَ لَهَا، وَأَنَّهم مَمْدُوحُونَ عَلَيْهَا - إِنْ كَانَتْ صَالِحَةً - وَمَثَابُونَ، وَمَلُومُونَ عَلَيْهَا - إِنْ كَانَتْ سَيِّئَةً - وَمَعَاقِبُونَ عَلَيْهَا.

فقد تبين بلا ريب أنَّها واقعة منهم باختيارهم، وأنَّهم إذا شاؤوا فعلوا،

(١) في الأصل: وَاللَّهُ خَالِقُهُمْ وَخَالِقُ قُدْرَتِهِمْ وَإِرَادَتِهِمْ.

(٢) انظر: ((التنبيهات اللطيفة)) (ص ٤٧)، مع تغييرات يسيرة فيما نقله الشارح هنا وفيما هو

مثبت في الطبعة التي أشرف عليها الأستاذان عبد الرحمن بن رويشد وسليمان بن حماد.

وإذا شأؤوا تركوا، وأنَّ هذا الأمر ثابت عقلاً وحسناً وشرعاً ومشاهدةً.

ومع ذلك؛ إذا أردت أن تعرف أنَّها وإن كانت كذلك واقعة منهم كيف تكون داخلية في القدر، وكيف تشملها المشيئة؟! فيقال: بأي شيء وقعت هذه الأعمال الصادرة من العباد خيرها وشرها؟ فيقال: بقدرتهم وإرادتهم؛ هذا يعترف به كل أحد. فيقال: ومن خلق قدرتهم وإرادتهم ومشيتهم؟ فالجواب الذي يعترف به كلُّ أحد أنَّ الله هو الذي خلق قدرتهم وإرادتهم، والذي خلق ما به تقع الأفعال هو الخالق للأفعال.

فهذا هو الذي يحلُّ الإشكال، ويتمكَّن العبد أن يعقل بقلبه اجتماع القدر والقضاء والاختيار.

ومع ذلك فهو تعالى أمدَّ المؤمنين بأسباب وألطف وإعانات متنوِّعة وصرف عنهم الموانع؛ كما قال صلى الله عليه وسلم: ((أما من كان من أهل السعادة؛ فسييسر لعمل أهل السعادة))^(١).

وكذلك خذل الفاسقين، ووكلمهم إلى أنفسهم؛ لأنَّهم لم يؤمنوا به، ولم يتوكَّلوا عليه، فولَّاهم ما تولَّوا لأنفسهم)). اهـ

وخلاصة مذهب أهل السنَّة والجماعة في القدر وأفعال العباد ما دلَّت عليه نصوص الكتاب والسنة من أنَّ الله سبحانه هو الخالق لكل شيء من الأعيان والأوصاف والأفعال وغيرها، وأنَّ مشيئته تعالى عامة شاملة لجميع الكائنات، فلا يقع منها شيء إلا بتلك المشيئة، وأنَّ خلقه سبحانه

[القدر وأفعال

العباد]

(١) جزء من حديث رواه البخاري (٤٩٤٩)، ومسلم (٢٦٧٤) من حديث علي رضي الله عنه.

الأشياء بمشيئته إنما يكون وفقاً لما علمه منها بعلمه القديم، ولما كتبه وقدره في اللوح المحفوظ، وأنَّ للعباد قدرة وإرادة تقع بها أفعالهم، وأنَّهم الفاعلون حقيقة لهذه الأفعال بمحض اختيارهم، وأنَّهم لهذا يستحقُّون عليها الجزاء: إمَّا بالمدح والمثوبة، وإمَّا بالذم والعقوبة، وأنَّ نسبة هذه الأفعال إلى العباد فعلاً لا ينافي نسبتها إلى الله إيجاباً وخلقاً؛ لأنَّه هو الخالق لجميع الأسباب التي وقعت بها.

**(وَهَذِهِ الدَّرَجَةُ مِنَ الْقَدْرِ يُكْذَبُ بِهَا عَامَّةُ الْقَدَرِيَّةِ الَّذِينَ سَمَّاهُمْ
(النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)^(١): مَجُوسِ هَذِهِ الْأُمَّةِ، وَيَعْلُو فِيهَا قَوْمٌ مِنْ
أَهْلِ الْإِثْبَاتِ، حَتَّى سَلَبُوا الْعَبْدَ قُدْرَتَهُ وَاخْتِيَارَهُ، وَيُخْرِجُونَ عَنْ أَعْمَالِ
اللَّهِ وَأَحْكَامِهِ حِكْمَهَا وَمَصَالِحَهَا).**

وضلاً في القدر طائفتان؛ كما تقدم:

[الضلال في القدر]

الطائفة الأولى: القدرية نفاة القدر، الذين هم مجوس هذه الأمة؛ كما ورد ذلك في بعض الأحاديث مرفوعاً وموقوفاً^(٢)، وهؤلاء ضلُّوا بالتفريط

(١) في الأصل: (السَّلْفُ)، ولا شك أنه هو الصواب، لضعف الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم.

(٢) من ذلك ما رواه أبو داود (٤٦٩١) من حديث ابن عمر عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «القدرية مجوس هذه الأمة، إن مرضوا؛ فلا تعودوهم، وإن ماتوا؛ فلا تشهدوهم». وفي سنده زكريا بن منصور. قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٢٠٥/٧). «وثقه أحمد بن صالح وغيره وضعفه جماعة». اهـ

وإنكار القدر، وزعموا أنه لا يمكن الجمع بين ما هو ثابت بالضرورة من اختيار العبد في فعله ومسؤوليته عنه، وبين ما دلّت عليه النصوص من عموم خلقه تعالى ومشيعته؛ لأنّ ذلك العموم في زعمهم إبطال لمسؤولية العبد عن فعله، وهدمٌ للتكاليف، فرجحوا جانب الأمر والنهي، وخصّصوا النصوص الدّالة على عموم الخلق والمشيعّة بما عدا أفعال العباد، وأثبتوا أنّ العبد خالق لفعله بقدرته وإرادته، فأثبتوا خالقين غير الله، ولهذا سمّوا مجوس هذه الأمة؛ لأنّ المجوس يزعمون أنّ الشيطان يخلق الشر والأشياء المؤذية، فجعلوه خالقًا مع الله، فكذلك هؤلاء جعلوا العباد خالقين مع الله.

والطائفة الثانية: يقال لها: الجبرية، وهؤلاء غلّوا في إثبات القدر، حتى أنكروا أن يكون للعبد فعل حقيقة، بل هو في زعمهم لا حرية له، ولا اختيار، ولا فعل؛ كالريشة في مهبّ الرياح، وإنما تُسندُ الأفعال إليه مجازًا، فيقال: صلى، وصام، وقتل، وسرق؛ كما يقال: طلعت الشمس، وجرت الرياح، ونزل المطر، فاتهموا ربهم بالظلم وتكليف العباد بما لا قدرة لهم عليه، ومجازاتهم على ما ليس من فعلهم، واتّهموه بالعبث في تكليف العباد، وأبطلوا الحكمة من الأمر والنهي، ألا ساء ما يحكمون.

(فَصْلٌ^(١): وَمِنْ أَصُولِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ^(١) أَنْ

والحديث أورده اللالكائي في «شرح أصول الاعتقاد» (٦٩٣/٣) بأسانيد ضعيفة. وقال ابن

أبي العز في «شرح الطحاوية» (ص ٢٧٣): «كل أحاديث القدرية المرفوعة ضعيفة، وإنما

يصحُّ الموقوف منها».

(١) ليست في الأصل.

الدِّينَ وَالْإِيمَانَ قَوْلٌ وَعَمَلٌ، قَوْلُ الْقَلْبِ^(٢) وَاللِّسَانِ^(٣)،
وَعَمَلُ الْقَلْبِ^(٤) وَاللِّسَانِ^(٥) وَالْجَوَارِحِ^(٦).

[تعريف الإيمان]

وَأَنَّ الْإِيمَانَ يَزِيدُ بِالطَّاعَةِ، وَيَنْقُصُ بِالْمَعْصِيَةِ.

سبق أن ذكرنا في مسألة الأسماء والأحكام أن أهل السنة والجماعة يعتقدون أن الإيمان قول باللسان واعتقاد بالجنان وعمل بالأركان، وأن هذه الثلاثة داخلة في مسمى الإيمان المطلق.

فالإيمان المطلق يدخل فيه جميع الدين: ظاهره وباطنه، أصوله وفروعه، فلا يستحقُّ اسم الإيمان المطلق إلا من جمع ذلك كله ولم ينقص منه شيئاً.

ولما كانت الأعمال والأقوال داخلة في مسمى الإيمان؛ كان الإيمان قابلاً للزيادة والنقص، فهو يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية؛ كما هو صريح الأدلة من الكتاب والسنة، وكما هو ظاهرٌ مشاهدٌ من تفاوت المؤمنين في عقائدهم وأعمال قلوبهم وأعمال جوارحهم^(٧).

(١) في الأصل: وَمِنْ أُصُولِ الْفِرْقَةِ النَّاجِيَةِ.

(٢) قول القلب: تصديقه وإيقانه.

(٣) قول اللسان: النطق بالشهادتين.

(٤) عمل القلب: النية، والإخلاص، والمحبة والانقياد ...

(٥) عمل اللسان: ما لا يؤدي إلا به؛ كتلاوة القرآن وسائر الأذكار.

(٦) عمل الجوارح: ما لا يؤدي إلا بها؛ مثل: القيام، والركوع، والسجود.

انظر: «معارج القبول» (٢/١٧-٢٠).

(٧) اعلم أن من قال بإحدى هذه العبارات فقد وقع في الإرجاء أو دخلت عليه شبهته:

١- الإيمان تصديق بالقلب فقط. (جهمية)

- ٢- الإيمان نطق باللسان فقط. (كِرَامِيَّة)
- ٣- الإيمان تصديق بالقلب ونطق باللسان. (مرجئة الفقهاء)
- ٤- الإيمان تصديق بالقلب، وقول باللسان، وعمل بالقلب دون الجوارح.
- ٥- الإيمان لا يزيد ولا ينقص والناس في أصله سواء.
- ٦- الكفر تكذيب فقط. (جهمية)
- ٧- الكفر لا يكون إلا بالاعتقاد أو المحوود والاستحلال، ويستشهدون بقول الطحاوي رحمه الله في عقيدته: ((ولا نكفر أحداً من أهل القبلة بذنب، ما لم يستحله)).
(والصواب أن يقال: الكفر يكون بالقول أو الفعل أو الاعتقاد، ولا نكفر أحداً من أهل القبلة بذنب -دون الشرك أو الكفر-، ما لم يستحله).
- ٨- ترك جميع أعمال الجوارح (جنس الأعمال كما يسميه ابن تيمية) ليس كفراً مخرجاً من الملة.
- (ووجه كونه إرجاءً لأنه يلزم منه أن أعمال الجوارح ليست ركناً في الإيمان، بل و لا عمل القلب كذلك، وهذا باطل لارتباط الظاهر بالباطن، فيمتنع وجود عمل القلب مع انتفاء عمل الجوارح)
- ٩- أعمال الجوارح شرط كمال في الإيمان وليست ركناً ولا شرط صحة.
(والصواب في هذا أن يقال: جنس أعمال الجوارح ركناً في الإيمان، وأحاديها - عدا الصلاة- من مكملاته)
- ١٠- الأقوال والأعمال الكفرية ليست كفراً ولكنها تدل على الكفر.
- ١١- المكفرات القولية والعملية المخرجة من الملة هي ما كان مضاداً للإيمان من كل وجه أو ما كانت دليلاً على الكفر، وجعلُ مناط التكفير كونها مضادةً للإيمان من كل وجه أو كونها تدل على ذلك.
- (والصواب أن يقال: المكفرات القولية والعملية المخرجة من الملة هي ما دل الدليل على كونها كذلك، وهي مضادة للإيمان من كل وجه وتدل على كفر الباطن، ولا بد فتأمل الفرق).
- ١٢- جعلهم الشهوة وعدم القصد من موانع التكفير.

ومن الأدلة على زيادة الإيمان ونقصه أن الله قسم المؤمنين ثلاث طبقات، فقال سبحانه: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بإِذْنِ اللَّهِ﴾ [فاطر: ٣٢].

فالسابقون بالخيرات هم الذين أدّوا الواجبات والمستحبات وتركوا المحرمات والمكروهات، وهؤلاء هم المقرَّبون.

(وجه كونه إرجاءً أن ماله إلى حصر الكفر في الاعتقاد، أما إن عُني بالقصد: العمد المقابل للخطأ فنعم، فالخطأ من موانع التكفير، لكن ليُعلم أنه يكفي أن يقصد (بتعمد) عمل الكفر، ولا يلزم منه أن يقصد الوقوع في الكفر)

١٣- ترك الصلاة ليس كفرًا لأنه من أعمال الجوارح، وعمل الجوارح شرط في كمال الإيمان. (وجه كونه إرجاءً أن قائله لا يكفر بالعمل وإنما الكفر عنده اعتقاد فقط، فمسألة الصلاة من أظهر المسائل التي أجمع الصحابة على كفر تاركها، أما لو رجح عدم كفر من يصلي تارة ويترك تارة لأدلة شرعية لديه - كما قد وقع من بعض السلف - أو أن الإجماع لم يبلغه، فهذا لا صلة له بالارجاء)

ومن هنا يُعلم خطأ ما يردده البعض من مقولة لبعض السلف: ((من قال إن الإيمان قول وعمل واعتقاد، وأنه يزيد وينقص، فقد قد بريء من الإرجاء كله وأخره)) وهي مقولة حق ولا شك ولكن على فهم قائلها من السلف، وهو أن العمل والقول والاعتقاد أركان في الإيمان لا يجزيء أحدها عن الآخر، وإلا فمن قال ذلك وهو لا يرى أعمال الجوارح ركنًا في الإيمان، أو قال ذلك وهو يحصر الكفر في التكذيب والاستحلال فإنه قد نطق بما قاله السلف في تعريف الإيمان لكن لا على الوجه الذي أرادوه، وهذه العبارة شبيهة بقول النبي صلى الله عليه وسلم: ((من قال لا إله إلا الله دخل الجنة)) فما يقول هؤلاء فيمن قالها ولم ينطق بشطر الشهادة الآخر - محمد رسول الله -، أو قالها وارتكب ناقضًا من نواقضها، فهذه كتلك. ولهذا حذر أهل العلم من بعض الكتب مع تبنيها أن الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص. والله أعلم.

والمقتصدون هم الذين اقتصروا على أداء الواجبات وترك المحرّمات.
والظالمون لأنفسهم هم الذين اجتروا على بعض المحرّمات وقصّروا
ببعض الواجبات مع بقاء أصل الإيمان معهم.

ومن وجوه زيادته ونقصه كذلك أنّ المؤمنين متفاوتون في علوم الإيمان،
فمنهم من وصل إليه من تفاصيله وعقائده خيرٌ كثيرٌ، فازداد به إيمانه، وتمّ
يقينه، ومنهم من هو دون ذلك، حتى يبلغ الحال ببعضهم أن لا يكون معه إلا
إيمانٌ إجماليٌّ لم يتيسّر له من التفاصيل شيء، وهو مع ذلك مؤمن.

وكذلك هم متفاوتون في كثير من أعمال القلوب والجوارح، وكثرة
الطاعات وقتلتها.

وأما من ذهب إلى أنّ الإيمان مجرد التصديق بالقلب، وأنّه غير قابل
للزيادة أو النقص؛ كما يُروى عن أبي حنيفة وغيره؛ فهو محجوجٌ بما ذكرنا
من الأدلة، قال عليه السلام: ((الإيمان بضغٌ وسبعون شعبةً؛ أعلاها: قول:
لا إله إلا الله، وأدناها إمطة الأذى عن الطريق))^(١).

**(وَهُمْ مَعَ ذَلِكَ لَا يُكْفَرُونَ أَهْلَ الْقِبْلَةِ بِمُطْلَقِ الْمَعَاصِي وَالْكَبَائِرِ؛
كَمَا يَفْعَلُهُ الْخَوَارِجُ)^(٢)؛ بَلِ الْأُخُوَّةُ الْإِيمَانِيَّةُ ثَابِتَةٌ مَعَ الْمَعَاصِي؛ كَمَا قَالَ**

(١) رواه البخاري (٩)، ومسلم (٣٥).

(٢) اعلم أن هناك سماتٍ من اتسم بها أو ببعضها فهو خارجي، أو وقع فيما وقعت فيه

الخوارج من الغلو:

١- تكفير صاحب الكبيرة.

٢- تكفير من وقع في معصية وأصر عليها.

سُبْحَانَهُ: ﴿فَمَنْ عَفَىٰ لَدُنَّ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَأَتْبَاعُهُ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: ١٧٨]،
 وَقَالَ: ﴿وَلِإِن طَافَيْتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَفْتَلَوْا فَاصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى
 الْأُخْرَىٰ فَقْتُلُوا الَّتِي تَبَغَىٰ حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءَتْ فَاصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ
 وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٩١﴾ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَاصْلِحُوا بَيْنَ أَخْوَيْكُمْ﴾
 [الحجرات: ٩-١٠].

ومع أنّ الإيمان المطلق مركّب من الأقوال والأعمال والاعتقادات؛
 فهي ليست كلها بدرجة واحدة؛ بل العقائد أصلٌ في الإيمان، فمن أنكر
 شيئاً مما يجب اعتقاده في الله أو ملائكته أو كتبه أو رسله أو اليوم الآخر أو
 مما هو معلومٌ من الدين بالضرورة؛ كوجوب الصلاة، والزكاة، وحرمة الزنا
 والقتل... إلخ؛ فهو كافّر، قد خرج من الإيمان بهذا الإنكار.

٣- القول بأن الإيمان شيء واحد لا ينقص، فإذا ذهب بعضه ذهب كله.

٤- جواز الخروج على الحاكم المسلم لجوره وظلمه، وإن لم يُر منه كفرٌ بواحد.

(ووجه كونه خارجية، أنه قد استقر رأي أهل السنّة والجماعة على عدم جواز ذلك،

وخالفت الخوارج)

٥- عدم العذر بالجهل مطلقاً.

٦- تكفير كل من حكم بغير ما أنزل الله ولو في قضية معينة.

والصواب: التفريق بين التشريع العام وجعله ديناً متبعاً وقانوناً ملزماً، وبين جعل الشريعة

الإسلامية هي الدين الملزم، ومخالفتها وعدم الحكم بها في قضية أو قضايا معينة.

وانظر: (ص: ٢٩٩).

٧- التسرع في تكفير المعين دون مراعاةٍ لتحقيق الشروط وانتفاء الموانع.

(وَلَا يَسْتَبُونَ الْفَاسِقَ الْمَلِيَّ^(١) [الإسلام]^(٢) بِالْكَلْبِيَّةِ، وَلَا يُخَلِّدُونَهُ فِي النَّارِ؛ كَمَا تَقُولُ الْمُعْتَزِلَةُ.

بَلِ الْفَاسِقُ يَدْخُلُ فِي اسْمِ الْإِيمَانِ الْمَطْلُوقِ^(٣)؛ كَمَا فِي قَوْلِهِ:
﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ﴾ [النساء: ٩٢].

وَقَدْ لَا يَدْخُلُ فِي اسْمِ الْإِيمَانِ الْمَطْلُوقِ؛ كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى:
﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾ [الأنفال: ٢]، وَقَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَسْرِقُ السَّارِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَشْرَبُ الْخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَنْتَهَبُ نَهْبَةً ذَاتَ شَرَفٍ يَرْفَعُ النَّاسُ إِلَيْهِ فِيهَا أَبْصَارَهُمْ حِينَ يَنْتَهَبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ))^(٤).

وَنَقُولُ: هُوَ مُؤْمِنٌ نَاقِصُ الْإِيمَانِ، أَوْ مُؤْمِنٌ بِإِيمَانِهِ فَاسِقٌ بِكَبِيرَتِهِ، فَلَا يُعْطَى الْاسْمَ الْمَطْلُوقَ، وَلَا يُسَلَّبُ مُطْلَقَ الْاسْمِ

وأما الفاسق المَلِي الذي يرتكب بعض الكبائر مع اعتقاده حرمتها؛ فأهل السُّنَّة والجماعة لا يسلبون عنه اسم الإيمان بالكَلْبِيَّة، ولا يخلِّدونه في النَّار؛ كما تقول المعتزلة والخوارج، بل هو عندهم مؤمن ناقص الإيمان، قد

(١) أي: الذي على ملة الإسلام.

(٢) في الأصل: (اسم الإيمان)، وهو الصواب.

(٣) في الأصل: بدون (المطلق) وهو الصواب، وما ها هنا لا يستقيم.

(٤) رواه البخاري (٢٤٧٥)، ومسلم (٥٧)، ورواه أبو داود، والترمذي، والنسائي.

نقص من إيمانه بقدر معصيته، أو هو مؤمنٌ فاسقٌ، لا يعطونه اسم الإيمان المطلق، ولا يسلبونه مطلق الإيمان.

وأدلة الكتاب والسنة دالة على ما ذكره المؤلف رحمه الله من ثبوت مطلق الإيمان مع المعصية؛ قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ ءَوْلِيَاءَ﴾ [الممتحنة: ١].

فناداهم باسم الإيمان، مع وجود المعصية، وهي موالاة الكفار منهم.. إلخ.

[الإيمان والإسلام]

فائدة: الإيمان والإسلام الشرعيان متلازمان في الوجود، فلا يوجد أحدهما بدون الآخر، بل كلما وجد إيمانٌ صحيحٌ معتدٌّ به، وُجد معه إسلامٌ، وكذلك العكس، ولهذا قد يُستغنى بذكر أحدهما عن الآخر؛ لأنَّ أحدهما إذا أفرد بالذكر؛ دخل فيه الآخر، وأما إذا ذُكِرَا معًا مقترنين؛ أُريد بالإيمان التصديق والاعتقاد، وأُريد بالإسلام الانقياد الظاهري من الإقرار باللسان وعمل الجوارح.

ولكن هذا بالنسبة إلى مطلق الإيمان، أما الإيمان المطلق؛ فهو أخصُّ مطلقًا من الإسلام، وقد يوجد الإسلام بدونَه؛ كما في قوله تعالى: ﴿قَالَتِ

الْأَعْرَابُ ءَامَنَّا قُلْ لَمْ نُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا﴾ [الحجرات: ١٤].

فأخبر بإسلامهم مع نفي الإيمان عنهم^(١).

(١) أي: الإيمان المطلق.

وفي حديث جبريل ذكر المراتب الثلاث: الإسلام، والإيمان، والإحسان، فدل على أنّ كلاً منها أخصُّ مما قبله.

[حب الصحابة]

(فصل^(١)): وَمِنْ أَصُولِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ سَلَامَةٌ قُلُوبِهِمْ وَالسُّنَّتِمْ لِأَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كَمَا وَصَفَهُمُ اللَّهُ بِهِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠]، وَطَاعَةُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي قَوْلِهِ: «لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدًّا أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ»^(٢).

وَيَقْبَلُونَ مَا جَاءَ بِهِ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ وَالْإِجْمَاعُ مِنْ فَضَائِلِهِمْ وَمَرَاتِبِهِمْ).

يقول المؤلف: إنّ من أصول أهل السنة والجماعة التي فارقوا بها من عداهم من أهل الزيغ والضلال أنّهم لا يُزرون بأحد من أصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولا يطعنون عليه، ولا يحملون له حقداً ولا بغضاً ولا احتقاراً، فقلوبهم وألسنتهم من ذلك كله براء، ولا يقولون فيهم إلا ما حكاها الله عنهم بقوله: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾ [الحشر: ١٠] الآية.

(١) ليست في الأصل.

(٢) رواه البخاري (٣٦٧٣)، ومسلم (٢٥٤١) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

فهذا الدعاء الصادر مَنَّ جاء بعدهم مَنَّ اتَّبَعُوهم بِإِحْسَانٍ يَدُلُّ عَلَى كَمَالِ مَحَبَّتِهِمْ لِأَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَثَنَائِهِمْ عَلَيْهِمْ، وَهَمُّ أَهْلِ لَذَلِكَ الْحُبِّ وَالتَّكْرِيمِ؛ لِفَضْلِهِمْ، وَسَبْقِهِمْ، وَعَظِيمِ سَابِقَتِهِمْ، وَإِخْتِصَاصِهِمْ بِالرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَإِحْسَانِهِمْ إِلَى جَمِيعِ الْأُمَّةِ؛ لِأَنَّهم هُمُ الْمَبْلُغُونَ لَهُمْ جَمِيعَ مَا جَاءَ بِهِ نَبِيُّهم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَمَا وَصَلَ لِأَحَدٍ عِلْمٌ وَلَا خَبْرٌ إِلَّا بِوَسْطَتِهِمْ، وَهَمُّ يَوْقُرُوهُمْ أَيْضًا طَاعَةً لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ حَيْثُ نَهَى عَنْ سَبِّهِمْ وَالغَضِّ مِنْهُمْ، وَبَيَّنَّ أَنَّ الْعَمَلَ الْقَلِيلَ مِنْ أَحَدٍ أَصْحَابِهِ يَفْضَلُ الْعَمَلَ الْكَثِيرَ مِنْ غَيْرِهِمْ، وَذَلِكَ لِكَمَالِ إِخْلَاصِهِمْ، وَصَادِقِ إِيمَانِهِمْ.

[التفضيل بين
الصحابة]

وَيُفَضِّلُونَ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ - وَهُوَ صُلْحُ الْحُدَيْبِيَّةِ - وَقَاتَلَ، عَلَى مَنْ أَنْفَقَ مِنْ بَعْدِ وَقَاتَلَ.

وَيُقَدِّمُونَ الْمُهَاجِرِينَ عَلَى الْأَنْصَارِ.

وَيُؤْمِنُونَ بِأَنَّ اللَّهَ قَالَ لِأَهْلِ بَدْرٍ - وَكَانُوا ثَلَاثَ مِائَةٍ وَبِضْعَةَ عَشَرَ -: ((اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ. فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ))^(١).

وَبِأَنَّهُ لَا يَدْخُلُ النَّارَ أَحَدٌ بَايَعَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ؛ كَمَا أَخْبَرَ بِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ^(٢)، بَلْ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ، وَكَانُوا

(١) رواه البخاري (٤٨٩٠)، ومسلم (٢٤٩٤) من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

(٢) يشير لما رواه مسلم (٢٤٩٦)، من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((لا يدخل النار إن شاء الله من أصحاب الشجرة أحد، الذين بايعوا تحتها)).

أَكْثَرَ مِنْ أَلْفٍ وَأَرْبَعِ مِائَةٍ^(١).

وَيَشْهَدُونَ بِالْجَنَّةِ لِمَنْ شَهِدَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،
كَالْعَشْرَةِ، وَثَابِتِ بْنِ قَيْسِ بْنِ شَمَّاسٍ، وَغَيْرِهِمْ مِّنَ الصَّحَابَةِ).

وأما قوله: ((وَيُفَضَّلُونَ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ - وَهُوَ صَلْحُ
الْحُدَيْبِيَّةِ - وَقَاتَلَ عَلَى مَنْ أَنْفَقَ مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلَ))؛ فلورود النص القرآني
بذلك، قال تعالى في سورة الحديد: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ
وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَكْبَرُ مِنْ أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَلَا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ﴾^(٢)
[الحديد: ١٠].

وأما تفسير الفتح بصلح الحديبية؛ فذلك هو المشهور، وقد صحَّ أن
سورة الفتح نزلت عقيبها^(١).

وسمي هذا الصلح فتحًا؛ لما ترتَّب عليه من نتائج بعيدة المدى في عزَّة
الإسلام، وقوَّته وانتشاره، ودخول الناس فيه.

وَأَمَّا قَوْلُهُ: ((وَيُقَدِّمُونَ الْمُهَاجِرِينَ عَلَى الْأَنْصَارِ))؛ فَلَأَنَّ الْمُهَاجِرِينَ
[المهاجرون
والأنصار]

جمعوا الوصفين: النصره والهجرة، ولهذا كان الخلفاء الراشدون وبقية العشرة
من المهاجرين، وقد جاء القرآن بتقديم المهاجرين على الأنصار في سورة

(١) صح هذا العدد في صحيح البخاري (٤١٥٤)، ومسلم (١٨٥٦) من حديث جابر بن
عبدالله رضي الله عنه؛ قال: قال لنا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوم الحديبية: ((أنتم خير
أهل الأرض))، وكنا ألفًا وأربع مئة، ولو كنت أبصر اليوم؛ لأريتكم مكان الشجرة.

(٢) كما في صحيح البخاري (٣١٨٢)، ومسلم (١٧٨٦).

التوبة^(١) والحشر^(٢)، وهذا التفضيل إنما هو للجملة على الجملة، فلا ينافي أن في الأنصار من هو أفضل من بعض المهاجرين.

وقد زوي عن أبي بكر أنه قال في خطبته يوم السقيفة: ((نحن المهاجرون، وأول الناس إسلامًا، أسلمنا قبلكم، وقُدِّمنا في القرآن عليكم، فنحن الأمراء، وأنتم الوزراء))^(٣).

[أهل بدر]

وأما قوله: **((وَيُؤْمِنُونَ بِأَنَّ اللَّهَ قَالَ لِأَهْلِ بَدْرٍ...))** إلخ؛ فقد ورد أن عمر رضي الله عنه لما أراد قتل حاطب بن أبي بلتعة وكان قد شهد بدرًا لكتابته كتابًا إلى قريش يخبرهم فيه بمسير الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال له الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((وما يُدريك يا عمر؟ لعلَّ الله اطلع على أهل بدرٍ فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم))^(٤).

وأما قوله: **((وَبِأَنَّهُ لَا يَدْخُلُ النَّارَ أَحَدٌ بَايَعَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ...))** إلخ؛ فلاخبره صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بذلك، ولقوله تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ [الفتح: ١٨] الآية.

(١) ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَكْبَرُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ [التوبة: ٢٠].

(٢) ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [الحشر: ٨].

(٣) صحَّ عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه قال يوم السقيفة للأنصار: ((نحن الأمراء، وأنتم الوزراء)). رواه البخاري في صحيحه (٣٦٦٧).

(٤) رواه البخاري (٤٨٩٠)، ومسلم (٢٤٩٤) من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

فهذا الرضا مانعٌ من إرادة تعذيبهم، ومستلزمٌ لإكرامهم ومثوبتهم.

[المبشرون بالجنة] وأما قوله: ((وَيَشْهَدُونَ بِالْجَنَّةِ لِمَنْ شَهِدَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كَالْعَشْرَةِ، وَثَابِتِ بْنِ قَيْسِ بْنِ شَمَّاسٍ، وَغَيْرِهِمْ مِّنَ الصَّحَابَةِ)).

أما العشرة؛ فهم: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وطلحة، والزبير، وسعد بن أبي وقاص، وسعيد بن زيد، وعبد الرحمن بن عوف، وأبو عبيدة بن الجراح^(١).

وأما غيرهم؛ فكتابت بن قيس^(٢)، وعُكَّاشة بن محصن^(٣)، وعبد الله بن

(١) روى ذلك الترمذي في «السنن» (٣٧٤٧) عن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه، وقال: ((حسن صحيح)).

ورواه أبو داود (٤٦٤٩)؛ وابن ماجه (١٣٣)، عن سعيد بن زيد رضي الله عنه، ولكنه جعل العاشر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بدل أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه. وصححه إسناده أحمد شاكر في «مسند أحمد» (١١٢/٣). وصححه الألباني في «صحيح سنن ابن ماجه» (١٣٣).

(٢) لما رواه مسلم (١١٩)، وأحمد في «المسند» (١٣٧/٣): ((لما نزل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ [الحجرات: ٢]؛ قال ثابت: أنزلت هذه الآية ولقد علمتُ أي من أرفعكم صوتاً على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فأنا من أهل النار. فذكر ذلك سعدٌ للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال: بل هو من أهل الجنة)).

(٣) للحديث المشهور: ((سبقك بها عُكَّاشة)). رواه البخاري (٥٧٠٥)، ومسلم (٢٢٠).

سلام^(١)، وكل من ورد الخبر الصحيح بأنه من أهل الجنة^(٢).

[الخلفاء الراشدون]

(وَيَقْرُونَ بِمَا تَوَاتَرَ بِهِ النَّفْلُ عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَغَيْرِهِ مِنْ أَنَّ خَيْرَ هَذِهِ الْأُمَّةِ بَعْدَ نَبِيِّهَا: أَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ عُمَرُ.

وَيُثَلِّثُونَ بِعُثْمَانَ، وَيُرَبِّعُونَ بِعَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ؛ كَمَا دَلَّتْ عَلَيْهِ الْأَثَارُ، وَكَمَا أَجْمَعَ الصَّحَابَةُ عَلَى تَقْدِيمِ عُثْمَانَ فِي الْبَيْعَةِ.

مَعَ أَنَّ بَعْضَ أَهْلِ السُّنَّةِ كَانُوا قَدْ اخْتَلَفُوا فِي عُثْمَانَ وَعَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - بَعْدَ اتِّفَاقِهِمْ عَلَى تَقْدِيمِ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ - أَيُّهُمَا أَفْضَلُ؟ فَقَدَّمَ قَوْمٌ عُثْمَانَ: وَسَكَتُوا، أَوْ رَبَّعُوا بِعَلِيِّ، وَقَدَّمَ قَوْمٌ عَلِيًّا، وَقَوْمٌ تَوَقَّفُوا.

لَكِنْ اسْتَقَرَّ أَمْرُ أَهْلِ السُّنَّةِ عَلَى تَقْدِيمِ عُثْمَانَ، ثُمَّ عَلِيٍّ.

وَإِنْ كَانَتْ هَذِهِ الْمَسْأَلَةُ - مَسْأَلَةُ عُثْمَانَ وَعَلِيِّ - لَيْسَتْ مِنَ الْأَصُولِ الَّتِي يُضَلَّلُ الْمُخَالَفُ فِيهَا عِنْدَ جُمْهُورِ أَهْلِ السُّنَّةِ.

لَكِنْ الَّتِي يُضَلَّلُ فِيهَا: مَسْأَلَةُ الْخِلَافَةِ^(٣)، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ يُؤْمِنُونَ أَنَّ الْخَلِيفَةَ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَبُو بَكْرٍ، وَ^(٤) عُمَرُ، ثُمَّ

(١) لما رواه البخاري (٣٨١٢)، ومسلم (٢٤٨٣)، واللفظ له؛ من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه؛ قال: «(ما سمعتُ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول لحيٍّ يمشي على الأرض: إنه في الجنة؛ إلا لعبد الله بن سلام)».

(٢) مثل خديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد صلى الله عليه وسلم، والحسن والحسين ابني علي بن أبي طالب، وبلال بن رباح؛ رضي الله عنهم أجمعين.. وغيرهم كثير.

(٣) في الأصل: لكنَّ المسألة الَّتِي يُضَلَّلُ الْمُخَالَفُ فِيهَا مسألة الخِلافة.

(٤) في الأصل: (ثمَّ)

عُثْمَانُ، ثُمَّ عَلِيٌّ.

وَمَنْ طَعَنَ فِي خِلَافَةِ أَحَدٍ مِنْ هَؤُلَاءِ؛ فَهُوَ أَضَلُّ مِنْ حِمَارِ أَهْلِهِ).

وأما قوله: ((وَيَقْرُونَ بِمَا تَوَاتَرَ بِهِ النَّفْلُ عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَغَيْرِهِ مِنْ أَنَّ خَيْرَ هَذِهِ الْأُمَّةِ بَعْدَ نَبِيِّهَا: أَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ عُمَرُ.))؛ فقد ورد أنَّ عليًّا رضي الله عنه قال ذلك على منبر الكوفة، وسمعه منه الجهم الغفيري؛ وكان يقول: ((ما مات رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتى علمنا أنَّ أفضلنا بعده أبو بكر، وما مات أبو بكر حتى علمنا أنَّ أفضلنا بعده عمر))^(١).

وأما قوله: ((وَيُثَلَّثُونَ بِعُثْمَانَ، وَيُرَبِّعُونَ بِعَلِيٍّ...)) إلخ؛ فمذهب جمهور أهل السنة أنَّ ترتيب الخلفاء الراشدين في الفضل على حسب ترتيبهم في الخلافة، وهم لهذا يفضلون عثمان على علي، محتجِّين بتقدم الصحابة عثمان في البيعة على عليّ.

وبعض أهل السنة يفضل عليًّا؛ لأنَّه يرى أنَّ ما ورد من الآثار في مزايا عليٍّ ومناقبه أكثر. وبعضهم يتوقَّف في ذلك.

(١) رواه ابن أبي عاصم في «السنة» (٥٧٠/٢)، بهذا اللفظ، وضعف إسناده الألباني.

ولكن صحَّ بالتواتر عن علي وابن عمر رضي الله عنهما قولهما: «خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر، وبعد أبي بكر عمر». وفي بعض الروايات (ثمَّ عثمان).

وفي «صحيح البخاري» (٣٦٩٧) عن ابن عمر رضي الله عنهما؛ قال: كنا في زمن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا نعدل بأبي بكر أحدًا، ثمَّ عمر، ثمَّ عثمان، ثمَّ نترك أصحاب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا نفاضل بينهم.

وعلى كل حال؛ فمسألة التفضيل ليست - كما قال المؤلف - من مسائل الأصول التي يُضلل فيها المخالف، وإنما هي مسألة فرعية يتسع لها الخلاف.

[مسألة الخلافة]

وأما مسألة الخلافة؛ فيجب الاعتقاد بأن خلافة عثمان كانت صحيحة؛ لأنها كانت بمشورة من الستة^(١)، الذين عيّنهم عمر رضي الله عنه ليختاروا الخليفة من بعده، فمن زعم أنّ خلافة عثمان كانت باطلة، وأنّ عليّاً كان أحق بالخلافة منه؛ فهو مبتدع ضالّ يغلب عليه التشيع؛ مع ما في قوله من إزراءٍ بالمهاجرين والأنصار.

[حب آل البيت]

(وَيُحِبُّونَ أَهْلَ بَيْتِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَيَتَوَلَّوْنَهُمْ، وَيَحْفَظُونَ فِيهِمْ وَصِيَّةَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: حَيْثُ قَالَ يَوْمَ غَدِيرِ خُمٍّ: «أَذْكُرْكُمْ اللَّهُ فِي أَهْلِ بَيْتِي»^(٢).

وَقَالَ أَيْضًا لِلْعَبَّاسِ عَمَّهُ - وَقَدْ اشْتَكَى إِلَيْهِ أَنْ بَعْضَ قُرَيْشٍ يَجْفُو بَنِي هَاشِمٍ - فَقَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ؛ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحِبُّوكُمْ؛ لِلَّهِ وَلِقَرَابَتِي»^(٣).

(١) وهم: علي، وعثمان، والزبير، وطلحة، وسعد، وعبد الرحمن. رضي الله عنهم أجمعين. انظر:

«صحيح البخاري» (٣٧٠٠).

(٢) رواه مسلم (٢٤٠٨).

(٣) روى الترمذي (٣٧٥٨) عن عبدالمطلب بن ربيعة مرفوعاً: «والذي نفسي بيده؛ لا يدخل

قلب رجل إيماناً حتى يحبكم الله ولرسوله». وقال الترمذي: «حسن صحيح»، ورواه الإمام

أحمد بهذا اللفظ (١٧٧٢، و١٧٧٣)، وبلغظ: «لقرابتي» (١٧٧٧)، وصحح إسنادهما أحمد

شاکر، وضعّفه الألباني في «ضعيف الجامع» (٦١١٢).

وَقَالَ: ((إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ بَنِي إِسْمَاعِيلَ، وَاصْطَفَىٰ مِنْ بَنِي إِسْمَاعِيلَ كِنَانَةَ، وَاصْطَفَىٰ مِنْ كِنَانَةَ قُرَيْشًا، وَاصْطَفَىٰ مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ))^(١).

[أهل بيت النبي]

أهل بيته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هم مَنْ تحُرِّم عليهم الصدقة، وهم: آل علي، وآل جعفر، وآل عقيل، وآل العباس، وكلهم من بني هاشم، ويلحق بهم بنو المطلب؛ لقوله عليه السلام: ((إِنَّهُمْ لَمْ يَفَارِقُونَا جَاهِلِيَّةً وَلَا إِسْلَامًا))^(٢).

فأهل السُّنَّة والجماعة يراعون لهم حرمتهم وقرابتهم من رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ كما يحبونهم لإسلامهم، وسبقهم، وحسن بلائهم في نصرته

ورواه الإمام أحمد في ((فضائل الصحابة)) (١٧٥٦) بلفظ: «حتى يجبوكم الله ولقرابتي».. بإسناد مرسل ضعيف، ولكن قال محققه وصي الله عباس: «ووجدته موصولاً في أمالي طراد الرِّبَيعي (٨٨ب) من طريق سفيان عن أبيه عن أبي الضحى عن ابن عباس؛ قال: قال العباس.. وهذا إسناد موصول صحيح» اهـ. والله أعلم.

(١) رواد مسلم (٢٢٧٦) من حديث واثلة بن الأسقع الليثي رضي الله عنه.

(٢) تمام الحديث: «(إنهم لم يفارقوني في جاهلية ولا إسلام، إنما بنو هاشم وبنو المطلب شيء واحد، وشبك بين أصابعه)». رواه النسائي (٤١٣٧)، واللفظ له، وبنحوه رواد أبو داود (٢٩٧٨).

والحديث قال عنه ابن حزم في ((المحلى)) (٣٢٧/٣): إسناده في غاية الصحة، وصححه الألباني في ((صحيح الجامع)) (٢٣١٨).

وروى البخاري (٣٥٠٢) الجزء الأخير منه فقط: «(إنما بنو هاشم وبنو المطلب شيء واحد)» والشاهد فيه أقوى.

وهاشم والمطلب أخوان؛ أبوهما عبد مناف بن قُصَيِّ بن كلاب، فبنوهما أبناء عمومة.

دين الله عزَّ وجلَّ.

و((غدير حُـم)) - بضم الحاء-؛ قيل: اسم رجل صباغ أضيف إليه الغدير الذي بين مكَّة والمدينة بالجحفة. وقيل: حُـم اسم غَيْصَةَ هناك تُسبب إليها الغدير، والغَيْصَةَ: الشجر الملتف.

وأما قوله عليه السلام لعمه: ((وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ؛ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحِبُّوكُمْ؛ لِلَّهِ وَلِقَرَابَتِي))؛ فمعناه: لا يتم إيمان أحدٍ حتى يحب أهل بيت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اللهُ؛ أولاً: لأئهم من أوليائه وأهل طاعته الذين تجب محبتهم وموالاتهم فيه. وثانياً: لمكانهم من رسول الله، واتصال نسبهم به.

[حب أمهات
المؤمنين]

(وَيَتَوَلَّوْنَ أَزْوَاجَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ، وَيُؤْمِنُونَ^(١) بَأَنَّهِنَّ أَزْوَاجُهُ فِي الْآخِرَةِ: خُصُوصًا خَدِيجَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أُمَّ أَكْثَرِ أَوْلَادِهِ، وَأَوَّلَ مَنْ آمَنَ بِهِ وَعَاضَدَهُ عَلَى أَمْرِهِ، وَكَانَ لَهَا مِنْهُ الْمَنْزِلَةُ الْعَالِيَةُ.

وَالصَّديقَةُ بِنْتُ الصَّديقِ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، الَّتِي قَالَ فِيهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((فَضْلُ عَائِشَةَ عَلَى النَّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ))^(٢).

أزواجه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هن مَنْ تزوجهنَّ بنكاح، فأولهن خديجة

(١) في الأصل: وَيُؤْمِنُونَ.

(٢) رواه البخاري (٣٤١١)، ومسلم (٢٤٣١)، والترمذي، والنسائي.

بنت خويلد رضي الله عنها، تزوّجها بمكة قبل البعثة، وكانت سنُّه خمسًا وعشرين، وكانت هي تكبره بخمسة عشر عامًا، ولم يتزوّج عليها حتى توفّيت، وقد رُزقَ منها بكل أولاده إلا إبراهيم، وكانت أول من آمن به، وقوّاه على احتمال أعباء الرسالة، وقد مات قبل الهجرة بثلاث سنين عن خمس وستين سنة، فتزوج بعدها سودة بنت زمعة (رضي الله عنها).

وعقد على عائشة رضي الله عنها، وكانت بنت ست سنين، حتى إذا هاجر إلى المدينة بنى بها وهي بنت تسع.

ومن زوجاته أيضًا أم سلمة رضي الله عنها، تزوجها بعد زوجها أبي سلمة.

وزينب بنت جحش تزوجها بعد تطليق زيد بن حارثة لها، أو على الأصح زوجه الله إياها.

وجويرية بنت الحارث، وصفية بنت حيي، وحفصة بنت عمر، وزينب بنت خزيمة، وكلهن أمهات المؤمنين، وهن أزواجه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الآخرة، وأفضلهن على الإطلاق خديجة وعائشة رضي الله عنهما.

[موقف الروافض

والنواصب من الصحابة] (وَيَتَبَرَّرُونَ مِنْ طَرِيقَةِ الرَّوَافِضِ الَّذِينَ يُبْغِضُونَ الصَّحَابَةَ وَيَسُبُّونَهُمْ.

وَطَرِيقَةُ النَّوَاصِبِ^(١) الَّذِينَ يُؤْذُونَ أَهْلَ الْبَيْتِ بِقَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ.

وَيُمْسِكُونَ عَمَّا شَجَرَ بَيْنَ الصَّحَابَةِ، وَيَقُولُونَ: إِنَّ هَذِهِ الْآثَارَ

(١) النواصب: هم الذين ناصبوا العداوة لأهل البيت، وطعنوا فيهم، وكفروهم، وهم ضد

المروية في مساويهم منها ما هو كذب، ومنها ما قد زيد فيه ونقص
وعبر عن وجهه، والصحيح منه هم فيه معذورون: إما مجتهدون
مصيبون، وإما مجتهدون مخطئون.

وهم مع ذلك لا يعتقدون أن كل واحد من الصحابة معصوم عن
كباير الإثم وصغائره، بل تجوز عليهم الذنوب في الجملة.

[الصحابة

غير معصومين]

ولهم من السوابق والفضائل ما يوجب مغفرة ما يصدر منهم - إن
صدر-، حتى إنه يغفر لهم من السيئات ما لا يغفر لمن بعدهم؛ لأن
لهم من الحسنات التي تمحو السيئات ما ليس لمن بعدهم.

[الصحابة خير

القرون]

وقد ثبت بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم أنهم خير القرون،
وأن المد من أحدهم إذا تصدق به كان أفضل من جبل أحد ذهباً ممن
بعدهم.

ثم إذا كان قد صدر من أحدهم ذنب؛ فيكون قد تاب منه، أو
أتى بحسنات تمحوه، أو غفر له؛ بفضل سابقته، أو بشفاعته محمد
صلى الله عليه وسلم الذي هم أحق الناس بشفاعته، أو ابتلي ببلاء في
الدنيا كفر به عنه.

فإذا كان هذا في الذنوب المحققة؛ فكيف الأمور التي كانوا فيها
مجتهدين: إن أصابوا؛ فلهم أجران، وإن أخطأوا؛ فلهم أجر واحد،
والخطأ مغفور.

ثُمَّ إِنَّ الْقَدَرَ الَّذِي يُنَكِّرُ مِنْ فِعْلِ بَعْضِهِمْ قَلِيلٌ نَزَرَ مَغْفُورٌ^(١) فِي جَنْبِ فَضَائِلِ الْقَوْمِ وَمَحَاسِنِهِمْ؛ مِنَ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ، وَرَسُولِهِ، وَالْجِهَادِ فِي سَبِيلِهِ، وَالْهَجْرَةِ، وَالنُّصْرَةَ، وَالْعِلْمَ النَّافِعَ، وَالْعَمَلَ الصَّالِحَ.

وَمَنْ نَظَرَ فِي سِيرَةِ الْقَوْمِ بَعْلِمٍ وَبَصِيرَةٍ^(٢)، وَمَا مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ بِهِ مِنْ الْفَضَائِلِ؛ عِلْمَ يَقِينًا أَنَّهُمْ خَيْرُ الْخَلْقِ بَعْدَ الْأَنْبِيَاءِ، لَا كَانَ وَلَا يَكُونُ مِثْلُهُمْ، وَأَنََّّهُمُ الصَّفْوَةُ مِنْ قُرُونِ هَذِهِ الْأُمَّةِ الَّتِي هِيَ خَيْرُ الْأُمَّمِ وَأَكْرَمُهَا عَلَى اللَّهِ).

يريد أن أهل السنة والجماعة يتبرؤون من طريقة الروافض التي هي الغلو في علي وأهل بيته، وبغض من عداه من كبار الصحابة، وسبهم، وتكفيرهم. وأول من سماهم بذلك زيد بن علي^(٣) رحمه الله لأنهم لما طلبوا منه أن يتبرأ من إمامة الشيخين أبي بكر وعمر لبياعوه أبي ذلك، فتفرقوا عنه، فقال: ((رفضتموني))، فمن يومئذ قيل لهم: رافضة.

وهم فرق كثيرة: منهم الغالية، ومنهم دون ذلك.

ويتبرؤون كذلك من طريقة النواصب الذين ناصبوا أهل بيت النبوة العدا لأسباب وأمور سياسية معروفة، ولم يعد لهؤلاء وجود الآن.

(١) في الأصل: (مَعْمُورٌ)، وهو أصوب.

(٢) في الأصل: (بَعْلِمٍ وَعَدْلٍ وَبَصِيرَةٍ).

(٣) هو زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، رضي الله عنهم أجمعين، وإليه تنسب الزيدية؛ إحدى فرق الشيعة، وهم معتزلة في الأصول، تفرقوا إلى عدة فرق؛ منها من هو أقرب إلى السنة، ومنها ما هو أقرب إلى الرافضة، والمتقدمون منهم أفضل من المتأخرين.

[موقف أهل

السنة والجماعة من
النزاع بين الصحابة]

ويمسك أهل السنة والجماعة عن الخوض فيما وقع من نزاع بين الصحابة رضي الله عنهم؛ لا سيما ما وقع بين علي وطلحة والزبير بعد مقتل عثمان، وما وقع بعد ذلك بين علي ومعاوية وعمرو بن العاص وغيرهم، ويرون أنَّ الآثار المروية في مساوئهم أكثرها كذبٌ أو محرَّفٌ عن وجهه، وأما الصحيح منها؛ فيعذرونهم فيه، ويقولون: إنَّهم متأولون مجتهدون.

وهم مع ذلك لا يدَّعون لهم العصمة من كبار الذنوب وصغارها، ولكن ما لهم من السوابق والفضائل وصحبة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والجهاد معه قد يوجب مغفرة ما يصدر منهم من زلات؛ فهم بشهادة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خير القرون، وأفضلها، ومُؤدُّ أحدهم أو نصيفه أفضل من جبل أحدٍ ذهبًا يتصدَّق به مَنْ بعدهم، فسيئاتهم مغفورة إلى جانب حسناتهم الكثيرة.

يريد المؤلِّف رحمه الله أن ينفي عن الصحابة رضي الله عنهم أن يكون أحدهم قد مات مصرًّا على ما يوجب سخط الله عليه من الذنوب، بل إذا كان قد صدر الذنب من أحدهم فعلاً؛ فلا يخلو عن أحد هذه الأمور التي ذكرها؛ فإمَّا أن يكون قد تاب منه قبل الموت، أو أتى بحسنات تذهبته وتمحوه، أو عُفِّر له بفضل سالفته في الإسلام؛ كما عُفِّر لأهل بدر وأصحاب الشجرة، أو بشفاعته رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهم أسعد الناس بشفاعته، وأحقُّهم بها، أو ابتلي ببلاء في الدنيا في نفسه أو ماله أو ولده فَكُفِّر عنه به.

فإذا كان هذا هو ما يجب اعتقاده فيهم بالنسبة إلى ما ارتكبه من الذنوب المحققة؛ فكيف في الأمور التي هي موضع اجتهاد والخطأ فيها مغفور.

ثم إذا قيس هذا الذي أخطؤوا فيه إلى جانب ما لهم من محاسن وفضائل؛ لم يعد أن يكون قطرةً في بحر.

فالله الذي اختار نبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو الذي اختار له هؤلاء الأصحاب، فهم خير الخلق بعد الأنبياء، والصفوة المختارة من هذه الأمة التي هي أفضل الأمم.

ومن تأمل كلام المؤلف رحمه الله في شأن الصحابة عجب أشد العجب مما يرميه به الجهلة المتعصبون، وادّعائهم عليه أنه يتهجم على أقدارهم، ويغض من شأنهم، ويخرق إجماعهم... إلى آخر ما قالوه من مزاعم ومفتريات.

(وَمِنْ أَصُولِ أَهْلِ السُّنَّةِ: التَّصَدِيقُ بِكَرَامَاتِ الْأَوْلِيَاءِ وَمَا يُجْرِي اللهُ عَلَى أَيْدِيهِمْ مِّنْ خَوَارِقِ الْعَادَاتِ فِي أَنْوَاعِ الْعُلُومِ وَالْمَكْشَفَاتِ وَأَنْوَاعِ الْقُدْرَةِ وَالتَّأْثِيرَاتِ^(١))، والمأثور عن سالف الأمم في سورة الكهف

[الإيمان بكرامات
الأولياء]

(١) قوله: «أنواع العلوم والمكشفات وأنواع القدرة والتأثيرات»؛ أي أن كرامات الأولياء تنقسم إلى قسمين: (١) علم وكشف. (٢) قدرة وتأثير. أما الأول فكأن يُعلمه الله ويُطلعه ويكشف له ما لا يكشف لغيره يقظة أو منامًا، كما حدث لعمر بن الخطاب رضي الله عنه في قصة: يا سارية الجبل. وأما الثاني؛ فكأن تكون له قدرة وتأثير على الأشياء ليست لغيره،

وغيرها، وعن صدر هذه الأمة من الصحابة والتابعين وسائر فرق الأمة، وهي موجودة فيها إلى يوم القيامة^(١).

وقد تواترت نصوص الكتاب والسنة، ودلت الوقائع قديماً وحديثاً على وقوع كرامات الله لأوليائه المتبعين لهدي أنبيائهم.

والكرامة أمر خارق للعادة، يجريه الله على يد وليٍّ من أوليائه^(٢)؛ معونةً له على أمر دينيٍّ أو دنيويٍّ.

[الفرق بين

المعجزة والكرامة]

ويفرق بينها وبين المعجزة بأن المعجزة تكون مقرونة بدعوى الرسالة، بخلاف الكرامة.

ويتضمن وقوع هذه الكرامات حكم ومصالح كثيرة؛ أهمها:

أولاً: أنها كالمعجزة، تدل أعظم دلالة على كمال قدرة الله، ونفوذ مشيئته، وأنه فعال لما يريد، وأن له فوق هذه السنن والأسباب المعتادة سنناً أخرى لا يقع عليها علم البشر، ولا تدركها أعمالهم.

فمن ذلك قصة أصحاب الكهف، والنوم الذي أوقعه الله بهم في تلك المدة الطويلة، مع حفظه تعالى لأبدانهم من التحلل والفناء.

كما وقع لمريم عليها السلام وما حدث لأصحاب الكهف. انظر: «مجموع الفتاوى» (١١/٣١٤-٣١٨)، وهذا في حق أولياء الله الصالحين لا الدجاجلة الكذابين.

(١) كل هذا ليس في الأصل.

(٢) الوليُّ: هو من فعل المأمور، وترك المحظور، وصبر على المقذور، فأحب الله وأحبه، ورضي عنه. انظر: رسالة «الفرقان» لشيخ الإسلام ابن تيمية.

ومنها ما أكرم الله به مريم بنت عمران من إيصال الرزق إليها وهي في المحراب؛ حتى عجب من ذلك زكريا عليه السلام، وسألها: ﴿أَنَّى لَكَ هَذَا﴾ [آل عمران: ٣٧].

وكذلك حملها بعيسى بلا أب، وولادتها إياه، وكلامه في المهد، وغير ذلك.

ثانياً: أن وقوع كرامات الأولياء هو في الحقيقة معجزة للأنبياء؛ لأن تلك الكرامات لم تحصل لهم إلا ببركة متابعتهم لأنبيائهم، وسيرهم على هديهم.

ثالثاً: أن كرامات الأولياء هي البشرية التي عجلها الله لهم في الدنيا؛ فإن المراد بالبشرى كل أمر يدل على ولايتهم وحسن عاقبتهم، ومن جملة ذلك الكرامات.

هذا؛ ولم تنزل الكرامات موجودة لم تنقطع في هذه الأمة إلى يوم القيامة، والمشاهدة أكبر دليل.

وأنكرت الفلاسفة^(١) كرامات الأولياء كما أنكروا معجزات الأنبياء،

(١) الفلسفة اليونانية: محبة الحكمة. والفيلسوف هو: (فيلا) و(سופا). و(فيلا): هو المحب. و(سופا): الحكمة؛ أي: هو محب الحكمة.

وفلاسفة العرب: من اتبع فلاسفة اليونان في كفرهم وضلالاتهم؛ كأرسطو طاليس، وأفلاطون، وغيرهما، ومن فلاسفة العرب ابن رشد وابن سينا والرازي الطيب وغيرهم. وهؤلاء لا يؤمنون بالأنبياء ومعجزاتهم، ولا الأولياء وكراماتهم. وانظر (ص: ١٢٢).

وأنكرت الكرامات أيضاً المعتزلة، وبعض الأشاعرة؛ بدعوى التباسها بالمعجزة، وهي دعوى باطلة؛ لأنَّ الكرامة - كما قلنا - لا تقتزن بدعوى الرسالة.

لكن يجب التنبه إلى أنَّ ما يقوم به الدجاجلة والمشعوذون من أصحاب الطرق المبتدعة الذين يسمون أنفسهم بالمتصوِّفة من أعمال ومخاريق شيطانية؛ كدخول النَّار، وضرب أنفسهم بالسلاح، والإمساك بالشعابين، والإخبار بالغيب... إلى غير ذلك؛ ليس من الكرامات في شيء؛ فإنَّ الكرامة إنما تكون لأولياء الله بحق، وهؤلاء أولياء الشيطان^(١).

[اتباع لا ابتداء]

(فَصْلٌ^(٢) : ثُمَّ مِنْ طَرِيقَةِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ اتَّبَاعِ آثَارِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَاطِنًا وَظَاهِرًا، وَاتَّبَاعِ سَبِيلِ السَّابِقِينَ الْأَوْلِيَاءِ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، وَاتَّبَاعِ وَصِيَّةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حَيْثُ قَالَ: «عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمُهْدِيِّينَ مِنْ بَعْدِي، تَمَسَّكُوا بِهَا، وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِدِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحَدَّثَاتِ الْأُمُورِ؛ فَإِنَّ كُلَّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ»^(٣) .

(١) وهناك نوعٌ آخر؛ وهو استعانة بعضهم بالجن لقضاء بعض الحاجات يظن بعض العوام أنه من الكرامات؛ وهو نوعٌ من الشعوذة إذا فسدت النيئات.

(٢) ليست في الأصل.

(٣) رواه أحمد (١٢٦/٤) (١٧١٨٤)، والترمذي (٢٦٧٦)، وأبو داود (٤٦٠٧)، وابن ماجه

(٤٢)، والحاكم (١٧٦/١). من حديث العرياض بن سارية رضي الله عنه.

وَيَعْلَمُونَ أَنَّ أَصْدَقَ الْكَلَامِ كَلَامُ اللَّهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَيُؤْتِرُونَ كَلَامَ اللَّهِ عَلَى غَيْرِهِ مِنْ كَلَامِ أَصْنَافِ النَّاسِ، وَيُقَدِّمُونَ هَدْيَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى هَدْيِ كُلِّ أَحَدٍ. وَلِهَذَا سُمُّوا أَهْلَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَسُمُّوا أَهْلَ الْجَمَاعَةِ؛ لِأَنَّ الْجَمَاعَةَ هِيَ الْإِجْمَاعُ^(١)، وَضِدُّهَا الْفُرْقَةُ، وَإِنْ كَانَ لَفْظُ الْجَمَاعَةِ قَدْ صَارَ اسْمًا لِنَفْسِ الْقَوْمِ الْمُجْتَمِعِينَ.

وَالْإِجْمَاعُ هُوَ الْأَصْلُ الثَّلَاثُ الَّذِي يُعْتَمَدُ عَلَيْهِ فِي الْعِلْمِ وَالِدِينِ. وَهُمْ يَزْنُونَ بِهَذِهِ الْأُصُولِ الثَّلَاثَةِ جَمِيعَ مَا عَلَيْهِ النَّاسُ مِنْ أَقْوَالٍ وَأَعْمَالٍ بَاطِنَةٍ أَوْ ظَاهِرَةٍ مِمَّا لَهُ تَعَلُّقٌ بِالدِّينِ.

وَالْإِجْمَاعُ الَّذِي يَنْضَبُطُ هُوَ مَا كَانَ عَلَيْهِ السَّلْفُ الصَّالِحُ؛ إِذْ بَعْدَهُمْ كَثُرَ الْاِخْتِلَافُ، وَانْتَشَرَ فِي الْأُمَّةِ^(٢). [أصول منهج أهل السنة والجماعة]

قوله: ((ثُمَّ مِنْ طَرِيقَةِ أَهْلِ السُّنَّةِ...)) إلخ؛ هذا بيان المنهج لأهل السنة والجماعة في استنباط الأحكام الدينية كلها، أصولها وفروعها، بعد طريقتهم في مسائل الأصول، وهذا المنهج يقوم على أصول ثلاثة:

والحديث صححه الترمذي والحاكم ووافقه الذهبي، وابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (١١٦٤/٢)، وابن تيمية في «منهاج السنة» (١٦٤/٤)، والألباني في «صحيح سنن ابن ماجه» (٤٢)، وحسنه البغوي في «شرح السنة» (١٨١/١).

(١) في الأصل: الْإِجْتِمَاعُ.

(٢) في الأصل: وَانْتَشَرَتْ الْأُمَّةُ.

أولها: كتاب الله عزَّ وجلَّ، الذي هو خير الكلام وأصدقاه، فهم لا يقدمون على كلام الله كلام أحد من الناس.

وثانيها: سنة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وما أثر عنه من هدي وطريقة، لا يقدمون على ذلك هَدْيٍ أحد من الناس.

وثالثها: ما وقع عليه إجماع الصدر الأول من هذه الأمة قبل التفرُّق والانتشار وظهور البدعة والمقالات، وما جاءهم بعد ذلك مما قاله الناس وذهبوا إليه من المقالات وزونها بهذه الأصول الثلاثة التي هي الكتاب، والسنة، والإجماع، فإن وافقها؛ قبلوه، وإن خالفها ردُّوه؛ أيًا كان قائله.

وهذا هو المنهج الوسط، والصرط المستقيم، الذي لا يضلُّ سالكه، ولا يشقى مَنْ اتَّبعه، وسطٌ بين مَنْ يتلاعب بالنصوص، فيتأوَّل الكتاب، وينكر الأحاديث الصحيحة، ولا يعبأ بإجماع السلف، وبين من يخبط خبط عشواء، فيقبل كل رأي، ويأخذ بكل قول، لا يفرق في ذلك بين غثٍّ وسمينٍ، وصحيحٍ وسقيمٍ.

[جماع مكارم

الأخلاق]

(فصل^(١)): ثُمَّ هُمْ مَعَ هَذِهِ الْأُصُولِ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ، وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ عَلَى مَا تَوْجِبُهُ الشَّرِيعَةُ.

وَيَرُونَ إِقَامَةَ الْحَجِّ وَالْجِهَادِ وَالْجَمْعِ وَالْأَعْيَادِ مَعَ الْأَمْرَاءِ أَبْرَارًا كَانُوا أَوْ فُجَّارًا، وَيُحَافِظُونَ عَلَى الْجَمَاعَاتِ.

(١) ليست في الأصل.

وَيَدِينُونَ بِالنَّصِيحَةِ لِلْأُمَّةِ، وَيَعْتَقِدُونَ مَعْنَى قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ الْمَرْصُوصِ؛ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا، وَشَبَكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ»^(١)، وَقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ كَمَثَلِ الْجَسَدِ؛ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عَضْوٌ؛ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالْحُمَى وَالسَّهْرِ»^(٢).

وَيَأْمُرُونَ بِالصَّبْرِ عِنْدَ الْبَلَاءِ، وَالشُّكْرِ [عِنْدَ الرِّخَاءِ]^(٣)، وَالرِّضَا بِمُرِّ الْقَضَاءِ.

وَيَدْعُونَ إِلَى مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ، وَمَحَاسِنِ الْأَعْمَالِ، وَيَعْتَقِدُونَ مَعْنَى قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا»^(٤).
وَيَنْدُبُونَ إِلَى أَنْ تَصِلَ مَنْ قَطَعَكَ، وَتُعْطِيَ مَنْ حَرَمَكَ، وَتَعْفُو عَمَّنْ

(١) رواه البخاري (٤٨١)، ومسلم (٢٥٨٥) من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، دون لفظة: «المرصوص».

(٢) رواه البخاري (٦٠١١)، ومسلم (٢٥٨٦).

(٣) زيادة من الأصل.

(٤) رواه أحمد (٢٥٠/٢) (٧٣٩٦)، والترمذي (١١٦٢)، وأبو داود (٤٦٨٢)، والحاكم (٤٣/١). من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

والحديث قال عنه الترمذي: حسن صحيح. وقال الحاكم: هذا حديث صحيح لم يخرج في الصحيحين و هو صحيح على شرط مسلم بن الحجاج، وأورده الحافظ في «الفتح» (٤٥٨/١٠)، وعزه لأحمد والترمذي والحاكم وأبي يعلى وسكت عنه. وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٢٨٤).

وفي البخاري (٣٥٥٩) مرفوعًا: «إن من خياركم أحسنكم أخلاقًا».

ظَلَمَكَ.

وَيَأْمُرُونَ بِبِرِّ الْوَالِدَيْنِ، وَصِلَةِ الْأَرْحَامِ، وَحُسْنِ الْجَوَارِ، وَالْإِحْسَانِ
إِلَى الْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ، وَالرَّفْقِ بِالْمَمْلُوكِ.

وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْفَخْرِ، وَالْخِيَلَاءِ، وَالْبَغْيِ، وَالْاِسْتِطَالَةِ عَلَى الْخَلْقِ
بِحَقِّ أَوْ بغيرِ حَقِّ.

وَيَأْمُرُونَ بِمَعَالِي الْأَخْلَاقِ، وَيَنْهَوْنَ عَنِ سَفْسَافِهَا.

وَكُلُّ مَا يَقُولُونَهُ وَيَفْعَلُونَهُ مِنْ هَذَا وَغَيْرِهِ؛ فَإِنَّمَا هُمْ فِيهِ مُتَّبِعُونَ
لِلْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَطَرِيقَتُهُمْ هِيَ دِينُ الْإِسْلَامِ الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ بِهِ مُحَمَّدًا
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ).

قوله: ((ثُمَّ هُمْ مَعَ هَذِهِ الْأُصُولِ...)) إلخ؛ جمع المؤلف في هذا
الفصل جماع مكارم الأخلاق التي يتخلَّق بها أهل السُّنَّة والجماعة؛ من الأمر
بالمعروف؛ وهو ما عُرف حُسْنُهُ بالشرع والعقل، والنهي عن المنكر؛ وهو
كل قبيح عقلاً وشرعاً؛ على حسب ما توجيهه الشريعة من تلك الفريضة؛
كما يفهم من قوله عليه السلام: ((مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مَنْكَرًا؛ فليُغَيِّرْهُ بيده، فإنْ
لم يستطع؛ فبلسانه، فإنْ لم يستطع؛ فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان))^(١).

ومن شهود الجُمُوع والجماعات والحج والجهاد مع الأمراء أيًّا كانوا؛ لقوله

(١) رواه مسلم (٤٩)، والترمذي، وأبو داود، والنسائي، وابن ماجه.

عليه السلام: ((صلوا خلف كلِّ برٍّ وفاجرٍ))^(١).

ومن النصح لكل مسلم؛ لقوله عليه السلام: ((الدين النصيحة))^(٢).

ومن فهمٍ صحيحٍ لما توجهه الأخوة الإيمانية من تعاطفٍ وتوادٍّ وتناصرٍ؛ كما في هذه الأحاديث التي يشبّه فيها الرسول المؤمنين بالبنيان المرصوص المتماسك اللَّبنات، أو بالجسد المترابط الأعضاء من دعوة إلى الخير، وإلى مكارم الأخلاق، فهم يدعون إلى الصبر على المصائب، والشكر على النعماء، والرضا بقضاء الله وقدره.. إلى غير ذلك مما ذكره.

(لَكِنْ لَمَّا أَخْبَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ أُمَّتَهُ سَتَفْتَرِقُ عَلَيَّ ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً؛ كُلُّهَا فِي النَّارِ؛ إِلَّا وَاحِدَةً، وَهِيَ الْجَمَاعَةُ)^(٣). وَفِي حَدِيثٍ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: ((هُم مَن كَانَ عَلَيَّ مِثْلَ مَا أَنَا عَلَيْهِ الْيَوْمَ

[أهل السُّنَّة
والجماعة هم
الفرقة الناجية]

(١) (ضعيف). رواه الدارقطني (٥٧/٢)، والبيهقي (١٩/٤) (٦٦٢٣)، من طريق مكحول عن أبي هريرة، وقال الدارقطني: ((مكحول لم يسمع من أبي هريرة))، وقال النووي في ((المجموع)): ((إسناده صحيح إلى مكحول عن أبي هريرة))، وقال الذهبي في ((تنقيح التحقيق)) (٢٥٦/١): ((مكحول لم يدرك أبا هريرة))، وقد أعلَّه الحافظ ابن حجر في ((التلخيص الحبير)) (٣٥/٢)، والزيلعي في ((نصب الراية)) (٢٧/٢) بالانقطاع. ويغني عنه ما رواه البخاري (١٨٧/٢) عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: ((يصلون لكم - يعني: الأئمة الضلال - فإن أصابوا؛ فلكم ولهم، وأن أخطؤوا؛ فلكم وعليهم)).

(٢) رواه مسلم (٥٥)، وأبو داود والنسائي.

(٣) في الأصل: (وهي السُّنَّةُ وَالْجَمَاعَةُ).

وحديث الافتراق تقدم تخريجه (ص: ٨٩).

وَأَصْحَابِي))^(١)؛ صَارَ الْمَتَمَسِّكُونَ بِالْإِسْلَامِ الْمَخْضِ الْخَالِصِ عَنِ الشُّؤْبِ هُمْ أَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ.

وَفِيهِمُ الصِّدِّيقُونَ، وَالشُّهَدَاءُ، وَالصَّالِحُونَ، وَمِنْهُمْ أَعْلَامُ الْهُدَى، وَمَصَابِيحُ الدُّجَى، أُولُو الْمَنَاقِبِ الْمَأْتُورَةِ، وَالْفَضَائِلِ الْمَذْكُورَةِ، وَفِيهِمُ الْأَبْدَالُ، وَفِيهِمُ أَيْمَةُ الدِّينِ، الَّذِينَ أَجْمَعَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى هِدَايَتِهِمْ، وَهُمْ الطَّائِفَةُ الْمَنْصُورَةُ الَّذِينَ قَالَ فِيهِمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الْحَقِّ مَنْصُورَةً، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ، وَلَا مَنْ خَذَلَهُمْ؛ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ))^(٢).

نَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَنَا مِنْهُمْ وَأَنْ لَا يُزِيعَ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا، وَأَنْ يَهَبَ لَنَا مِنْ لَدُنْهُ رَحْمَةً إِنَّهُ هُوَ الْوَهَّابُ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا).

وَأَمَّا قَوْلُهُ: ((وَفِيهِمُ الصِّدِّيقُونَ...)) إِنْخ؛ فَالصِّدِّيقُ صِيغَةٌ مَبَالِغَةٌ مِنَ الصِّدْقِ، يَرَادُ بِهِ الْكَثِيرُ التَّصَدِّيقِ، وَأَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هُوَ الصِّدِّيقُ الْأَوَّلُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ.

وَأَمَّا الشُّهَدَاءُ؛ فَهُوَ جَمْعُ شَهِيدٍ، وَهُوَ مَنْ قَتَلَ فِي الْمَعْرَكَةِ.

(١) جزء من حديث الافتراق.

(٢) رواه البخاري ومسلم. وقد تقدم تخريجه (ص: ٨٩).

وأما الأبدال^(١)؛ فهم جمع بَدَل، وهم الذين يخلف بعضهم بعضاً في تجديد هذا الدين والدفاع عنه؛ كما في الحديث: ((يبعث الله لهذه الأمة على رأس كل مئة سنة من يجدد لها أمر دينها))^(٢).

والله أعلم، وصلى الله على محمدٍ وآله وصحبه وسلّم تسليمًا كثيرًا.



(١) قال الحافظ ابن القيم في «المنار المنيف» (ص: ١٣٦): «أحاديث الأبدال والأقطاب والأغوات والنباء والنجباء والأوتاد؛ كلها باطلة على رسول الله صلى الله عليه وسلم». يردُّ بهذا على الصوفية الذين يزعمون أن هناك أبدالاً سبعة يتحكّم كل واحد منهم في قارة من القارات السبع بأمر الغوث والنجباء، أما الأبدال الذين يعينهم شيخ الإسلام؛ فهم الذين عرّفهم الشارح.

(٢) رواه أبو داود (٤٢٩١)، والطبراني في «المعجم الأوسط» (٣٢٣/٦) (٦٥٢٧)، والحاكم (٥٦٧/٤)، والبيهقي في «معرفه السنن والآثار» (٢٠٨/١) (٤٢٢). من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وقوَّى إسناده ووثق رجاله الحافظ ابن حجر في «توالي التأسيس» (ص ٤٩)، وقال السخاوي في «المقاصد الحسنة» (١٤٩): إسناده صحيح ورجاله كلهم ثقات، وصححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود» (٤٢٩١).

✽ تم الفراغ منه في منتصف شعبان من عام (١٤١٠هـ)، وتم الانتهاء من مراجعة هذه الطبعة في شهر شوال من عام (١٤٣٣) من هجرة المصطفى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والحمد لله أولاً وآخراً.

ملحق

العقيدة الواسطية^س

بقلم

علوي بن عبد القادر السَّقَّاف^س

مقدمة الملحق

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فقد أشار عليّ بعض الإخوة الأفاضل أن أضرم مع هذا الشرح المبارك أهم مسائل العقيدة التي لم يتطرق لها شيخ الإسلام ابن تيمية في «العقيدة الواسطية»، وكذلك شارحها الشيخ محمد خليل هراس، وذلك تسهيلاً لمن يُدرّس أو يُدرّس هذه العقيدة.

وبعد تفكير طويل استجبت لرغبة الإخوة؛ بعد أن علمت أن كثيراً ممن يدرسون «العقيدة الواسطية» يضطرون إلى أن يفتشوا في غيرها من كتب العقيدة ليستخرجوا منها ما لم يذكره شيخ الإسلام من مسائل مهمّة في العقيدة، فأردت بهذه الزيادة (الملحق) إتمام أبواب العقيدة؛ بحيث يجد الباحث أو المدرس لهذه المادة جميع أبواب العقيدة التي يحسن دراستها وتدريسها للناس، وجعلتها في ملحق خاص آخر الكتاب.

عملي في الملحق:

نظرت في المطبوع من كتب العقيدة التي بين أيدينا، فوجدت أن مسائل العقيدة التي لم يذكرها شيخ الإسلام في «الواسطية»، لا تزيد عن تسع

مسائل؛ كلها ذكرها أبو جعفر الطحاوي رحمه الله في «متنه» المشهور، أو ذكرها شارحه ابن أبي العز، وهي كالتالي^(١):

- ١- الجماعة والفرقة.
 - ٢- الموالاة والمعاداة.
 - ٣- الحكم بغير ما أنزل الله.
 - ٤- عدم الخروج على الأئمة.
 - ٥- الميثاق.
 - ٦- الإسراء والمعراج.
 - ٧- أشراف الساعة.
 - ٨- الجنة والنار.
 - ٩- ذم الكلام ووجوب التسليم لنصوص الكتاب والسنة.
- ولما كانت هذه المسائل التسع أهم المسائل التي عدّها من كتب في العقيدة من أبواب العقيدة، ولما كانت كلها موجودة كما أسلفت في «شرح» ابن أبي العز لـ «العقيدة الطحاوية»؛ فقد سرتُ على طريقة تشبه طريقة شيخ الإسلام في «الواسطية» وشارحها الهراس؛ من حيث الاختصار والإيجاز، وذلك على النحو التالي:

(١) لم أذكر في هذا الملحق المسائل المتعلقة بالتوحيد وأقسامه، والشرك وأنواعه؛ لأن هذه المسائل مظانها كتب التوحيد وشروحها، وبذكرها يتضاعف الكتاب ويخرج عن أصله.

(أ) أذكر متن الطحاوي.

(ب) أذكر في الهامش الموضوع الذي ذكر فيه المتن من «شرح الطحاوية»؛ لابن أبي العز الحنفي (تحقيق الألباني، الطبعة الثامنة)، والموضوع الذي ذكر فيه شيخ الإسلام نحو كلام الطحاوي في أيّ من كتبه.

(ج) أذكر شرح ابن أبي العز لكلام الطحاوي مختصراً مع ذكر الصفحة.

(د) علقت تعليقات يسيرة، وخرّجت الأحاديث؛ متبعاً الطريقة نفسها في أصل الشرح.

(هـ) أدخلت الآيات والأحاديث والمراجع وغيرها في مواضعها من الفهارس العامة.

هذا؛ وأسأل الله عزّ وجلّ أن أكون قد وفقت في عملي هذا، وأن يكون هذا العمل نافعا ومفيدا للأساتذة والمرين الذين نذروا أنفسهم لتعليم الناس عقيدة السلف أهل السُنَّة والجماعة.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.



فصل في الجماعة والفرقة

قال الطحاوي رحمه الله تعالى:

(وَنَرَى الْجَمَاعَةَ حَقًّا وَصَوَابًا، وَالْفُرْقَةَ زَيْغًا وَعَدَابًا)^(١).

الشرح:

قال تعالى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٠٣].

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٠٥].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٩].

وقال تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ❖ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ﴾ [هود: ١١٨-١١٩]،
فجعل أهل الرحمة مستثنين من الاختلاف.

وقال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾ [البقرة: ١٧٦].

(١) انظر: «شرح العقيدة الطحاوية» (ص ٥١٢-٥١٧)، و«مجموع الفتاوى» (١/١٢-١٩).

قاعدة في الجماعة والفرقة وسبب ذلك ونتيجته).

وقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ أَهْلَ الْكُتَابِينَ افْتَرَقُوا فِي دِينِهِمْ عَلَى اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ مِلَّةً، وَإِنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ سَتَفْتَرِقُ عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ مِلَّةً (يعني: الأهواء)، كلها في النَّارِ؛ إِلَّا وَاحِدَةً، وَهِيَ الْجَمَاعَةُ»^(١). وفي رواية: قالوا: مَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قال: «مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي».

والأمور التي تتنازع فيها الأمة في الأصول والفروع، إذا لم تُردَّ إلى الله تعالى والرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ؛ لم يتبين فيها الحقُّ، بل يصير فيها المتنازعون على غير بيِّنة من أمرهم: فإنَّ رحمهم اللهُ؛ أقرَّ بعضهم بعضًا، ولم يبعِّضهم على بعضٍ؛ كما كان الصحابة في خلافة عمر وعثمان يتنازعون في بعض مسائل الاجتهاد، فيُقرُّ بعضهم بعضًا، ولا يعتدي، ولا يُعتدى عليه. وإنَّ لم يُرحموا؛ وقع بينهم الاختلاف المذموم، فبغى بعضهم على بعض: إمَّا بالقول؛ مثل تكفيره وتفسيقه، وإمَّا بالفعل؛ مثل حبسه وضربه وقتله.

فالناس إذا خفي عليهم بعض ما بعث الله به الرسول: إمَّا عادلون، وإمَّا ظالمون؛ فالعادل فيهم: الذي يعمل بما وصل إليه من آثار الأنبياء ولا يظلم غيره، والظالم: الذي يعتدي على غيره.

وأكثرهم إمَّا يظلمون، مع علمهم بأنهم يظلمون؛ كما قال تعالى:

﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ۗ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ

بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ﴾ [آل عمران: ١٩].

(١) تقدم تخريجه (ص: ٨٩).

وإلا؛ فلو سلكوا ما علموه من العدل؛ أقرَّ بعضهم بعضاً؛ كالمقلِّدين
لأئمة العلم، الذين يعرفون من أنفسهم أنَّهم عاجزون عن معرفة حكم الله
ورسوله في تلك المسائل، فجعلوا أئمتهم نواباً عن الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ
وآلِهِ وَسَلَّمَ، وقالوا: هذه غاية ما قدرنا عليه؛ فالعادل منهم لا يظلم الآخر
ولا يعتدي عليه بقولٍ ولا فعلٍ؛ مثل أن يدَّعي أن قول مقلِّده هو الصحيح
بلا حجة يبيدها، ويذم من خالفه مع أنه معذور. اهـ



فصل في الموالاة والمعاداة

قال الطحاوي رحمه الله تعالى:

(وَالْمُؤْمِنُونَ كُلُّهُمْ أَوْلِيَاءُ الرَّحْمَنِ، وَأَكْرَمُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَطْوَعُهُمْ وَأَتَّبَعُهُمْ
لِلْقُرْآنِ^(١)).

الشرح:

قال تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ❖
الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٦٢-٦٣].

الوليُّ: من الولاية - بفتح الواو - التي هي ضدُّ العداوة؛ فالمؤمنون أولياء
الله، والله تعالى وليُّهم:

قال الله تعالى: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ
وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاءُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ
﴾ [البقرة: ٢٥٧].

وقال تعالى: ﴿ذَلِكَ يَأْنَى اللَّهُ مَوْلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَأَنَّ الْكٰفِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ ❖
﴾ [محمد: ١١].

﴿وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ❖﴾ [التوبة: ٧١].

(١) انظر: «شرح العقيدة الطحاوية» (ص ٣٥٧-٣٦٢)، والفصل الأول من كتاب «الفرقان بين
أولياء الرحمن وأولياء الشيطان» لشيخ الإسلام ابن تيمية.

وقال تعالى: ﴿إِنَّهَا وَإِيَّكُمْ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ❖ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ❖﴾ [المائدة: ٥٥-٥٦].

فهذه النصوص كلها ثبت فيها موالاتة المؤمنين بعضهم لبعض، وأنهم أولياء الله، وأن الله وليهم ومولاهم.

فالله يتولى عباده المؤمنين؛ فيحبُّهم ويحبُّونه، ويرضى عنهم ويرضون عنه، ومن عادى له وليًّا؛ فقد بارزه بالمحاربة. وهذه الولاية من رحمته وإحسانه، ليست كولاية المخلوق للمخلوق لحاجة إليه.

قال تعالى: ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَخْذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمَلِكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وِليٌّ مِّنَ الدُّنْيِ وَكَبْرُهُ تَكْبِيرًا ❖﴾ [الإسراء: ١١١].

فالله تعالى ليس له وليٌّ من الدُّنْيِ، بل لله العزّة جميعًا؛ خلاف الملوك وغيرهم، ممَّن يتولّاه لذلّه وحاجته إلى وليٍّ ينصره.

والولاية أيضًا نظير الإيمان، وتكون كاملةً وناقصةً؛ فالكاملة تكون للمؤمنين المتقين؛ كما قال تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ❖ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ * لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ❖﴾ [يونس: ٦٢-٦٤].

فالولاية لمن كان من الذين آمنوا وكانوا يتقون، وهم أهل الوعد المذكور في الآيات الثلاث، وهي عبارة عن موافقة الولي الحميد في محاببه ومساخطه. فوليُّ الله: هو مَنْ والى الله بموافقته في محبوباته والتقرب إليه بمرضاته، وهؤلاء كما قال تعالى فيهم: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا * وَيرزقه من حيث لا يحتسب﴾ [الطلاق: ٢-٣]؛ فالتقون يجعلُ الله لهم مخرجًا مما ضاق على الناس، ويرزقهم من حيث لا يحتسبون، فيدفع الله عنهم المضارَّ، ويجلب لهم المنافع، ويُعطيهم الله أشياء يطولُ شرحها.

وقوله: «وأكرمهم عند الله أطوعهم وأتبعهم للقرآن»: أراد: أكرم المؤمنين هو الأطوعُ لله، والأتبع للقرآن، وهو الأتقى، والأتقى هو الأكرم.

قال تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْفَتَكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣].

وعن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «لا فضل لعربي على عجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا لأبيض على أسود، ولا لأسود على أبيض؛ إلا بالتقوى، الناس من آدم، وآدم من تراب»^(١).

فإنَّ التفضيل عند الله بالتقوى وحقائق الإيمان؛ لا بفقيرٍ ولا غنيٍّ.

(١) رواه أحمد في «المسند» (٤١١/٥)، والطبراني في «الأوسط» (٣٠٥/٥ رقم ٣١١٦)، والبخاري في «المسند» (٢٢٤/٢ رقم ١٧٤٥ مختصر الزوائد)، وصححه إسناده شيخ الإسلام ابن تيمية في «اقتضاء الصراط المستقيم» (٣٦٧/١)، وصححه الألباني في «شرح العقيدة الطحاوية» (ص ٣٦١).

وقال رحمه الله تعالى: (وَمُحِبُّ أَهْلِ الْعَدْلِ وَالْأَمَانَةِ، وَتُبْغِضُ أَهْلَ الْجَوْرِ وَالْحَيَانَةِ)^(١).

الشرح:

وهذا من كمال الإيمان، وتتمام العبودية؛ فإنَّ العبادة تتضمن كمال المحبة ونهايتها؛ فمحبة رسل الله وأنبيائه وعباده المؤمنين من محبة الله؛ فإنَّ المحب يُحِبُّ ما يُحِبُّ محبوبه، ويبغض ما يُبغض، ويرضى لرضائه، ويبغض لبعده.

والله تعالى يحبُّ المحسنين، ويحبُّ المتقين، ويحبُّ التوابين، ويحبُّ المتطهرين، ونحن نحبُّ من أحبه الله.

والله لا يحبُّ الخائنين، ولا يحبُّ المفسدين، ولا يحبُّ المستكبرين، ونحن لا نحبُّهم أيضاً، ونبغضهم؛ موافقةً له سبحانه وتعالى.

وفي ((الصحيحين)) عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: ((ثَلَاثٌ مِنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ: مَنْ كَانَ اللهُ وَرَسُولَهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَمَنْ كَانَ يَحِبُّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ، وَمَنْ كَانَ يَكْرَهُ أَنْ يَرْجِعَ فِي الْكُفْرِ بَعْدَ أَنْ أَنْقَذَهُ اللهُ مِنْهُ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ))^(٢).

فالمحبة التامة مستلزمة لموافقة المحبوب في محبوه ومكروهه، وولايته وعداوته.

(١) انظر: ((شرح العقيدة الطحاوية)) (ص ٣٨٣، ٣٨٤).

(٢) رواه البخاري (١٦)، ومسلم في (٤٣).

ومن المعلوم أنّ مَنْ أَحَبَّ اللَّهَ الْحَبَّةَ الْوَاجِبَةَ؛ فلا بدّ أن يُبْغِضَ أَعْدَاءَهُ،
ولا بدّ أن يُحِبَّ ما يُحِبُّهُ مِنْ جِهَادِهِمْ؛ كما قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ
الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنِينَ مَرَّضُونَ﴾ [الصف: ٤]،
والحب والبغض بحسب ما فيهم من خصال الخير والشر؛ فإنّ العبد يجتمع
فيه سبب الولاية وسبب العداوة، والحب والبغض، فيكون محبوباً من وجهه،
ومبغوضاً من وجهه، والحكم للغالب. اهـ



فصل في الحكم بغير ما أنزل الله

قال ابن أبي العز شراح الطحاوية^(١): «وهنا^(٢) أمر يجب أن يُتفطن له، وهو أنّ الحكم بغير ما أنزل الله قد يكون كفرًا ينقل عن الملة، وقد يكون معصيةً كبيرةً أو صغيرةً، ويكون كفرًا: إمّا مجازيًا، وإمّا كفرًا أصغر، على القولين المذكورين، وذلك بحسب حال الحكم: فإنّه إن اعتقد أنّ الحكم بما أنزل الله غير واجب، وأنّه مخيّر فيه، أو استهان به، مع تيقنه أنّه حكم الله؛ فهذا كفرٌ أكبر، وإن اعتقد وجوب الحكم بما أنزل الله، وعلمه في هذه الواقعة^(٣)، وعدل عنه، مع اعترافه بأنّه مستحقٌ للعقوبة؛ فهذا عاصٍ، ويسمى كافرًا كفرًا مجازيًا أو كفرًا أصغر، وإن جهل حكم الله فيها، مع بذل جهده واستفراغ وسعه في معرفة الحكم وأخطائه؛ فهذا مخطئ، له أجرٌ على اجتهاده، وخطؤه مغفور». ا.هـ

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في «الفتاوى»: «ليس لأحد أن يحكم بين أحد من خلق الله؛ لا بين المسلمين، ولا الكفار، ولا الفتيان، ولا رماة البندق، ولا الجيش، ولا الفقراء، ولا غير ذلك؛ إلا بحكم الله ورسوله، ومن ابتغى غير ذلك؛ تناوله قوله تعالى: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَهْلِیَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ

(١) انظر: «شرح العقيدة الطحاوية» (ص ٣٢٣).

(٢) ذكر الشارح هذا الكلام عند شرحه لقول الطحاوي: «ولا تكفر أحدًا من أهل القبلة بذنب

ما لم يستحلّه...». انظر: (ص ٢٦٧).

(٣) هو هنا رحمه الله يتحدث عن الوقائع والقضايا الحالة.

حُكْمًا لِقَوْمٍ يُؤْقِنُونَ ﴿٥٠﴾ [المائدة: ٥٠]، وقوله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥]؛ فيجب على المسلمين أن يحكِّموا الله ورسوله في كل ما شجر بينهم...»^(١).

وقال أيضًا: «(وولي الأمر إن عرف ما جاء به الكتاب والسنة؛ حكم بين الناس به، وإن لم يعرفه وأمكنه أن يعلم ما يقول هذا وما يقول هذا، حتى يعرف الحق؛ حكم به، وإن لم يمكنه لا هذا ولا هذا؛ ترك المسلمون على ما هم عليه، كل يعبد الله على حسب اجتهاده، وليس له أن يلزم أحدًا بقبول قول غيره، وإن كان حاكمًا.

وإذا خرج ولاة الأمور عن هذا؛ فقد حكموا بغير ما أنزل الله، ووقع بأسهم بينهم؛ قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ما حكم قوم بغير ما أنزل الله؛ إلا وقع بأسهم بينهم»^(٢).

(١) ((مجموع الفتاوى)) (٣٥/٤٠٧-٤٠٨).

(٢) رواد ابن ماجه (٤٠١٩)، بلفظ: ((وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله ويتخيروا مما أنزل الله؛ إلا جعل الله بأسهم بينهم))، وأوله: ((يا معشر المهاجرين))، ورواه أبو نعيم في ((الحلية)) (٣٣٣/٨)، وفي سندهما ابن أبي مالك، خالد بن يزيد، وهو ضعيف، ورواه الحاكم في ((المستدرک)) (٥٤٠/٤) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، وقال البوصيري في ((مصباح الزجاجة)) (١٨٥/٤-١٨٦): (هذا حديث صالح العمل به)، وحسنه الألباني في ((صحيح سنن ابن ماجه)) (٤٠١٩).

وهذا من أعظم أسباب تغير الدول؛ كما قد جرى مثل هذا مرة بعد مرة في زماننا وغير زماننا.

ومن أراد الله سعادته؛ جعله يعتبر بما أصاب غيره، فيسلك مسلك من أيده الله ونصره، ويجتنب مسلك من خذله الله وأهانته؛ فإنَّ الله يقول في كتابه: ﴿وَلْيَنْصُرِكَ اللَّهُ مَنْ يُنصُرُهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ۖ الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ الْأُمُورِ﴾ [الحج: ٤٠-٤١].

فقد وعد الله بنصر من ينصره، ونصره هو نصر كتابه ودينه ورسوله، لا نصر من يحكم بغير ما أنزل الله ويتكلم بما لا يعلم؛ فإنَّ الحاكم إذا كان دينًا، لكنه حكم بغير علم؛ كان من أهل النَّار، وإن كان عالمًا؛ لكنه حكم بخلاف الحق الذي يعلمه؛ كان من أهل النَّار، وإذا حكم بلا عدل ولا علم؛ كان أولى أن يكون من أهل النَّار.

وهذا إذا حكم في قضية معينة لشخص، وأما إذا حكم حكمًا عامًّا في دين المسلمين^(١)، فجعل الحق باطلًا والباطل حقًّا، والسنة بدعة والبدعة سنة، والمعروف منكرًا والمنكر معروفًا، ونهى عما أمر الله به ورسوله؛ فهذا

(١) شيخ الإسلام هنا يفرق بين الحكم في قضية معينة والحكم العام أو التشريع العام، واعلم أن الحكم في قضية أو قضايا معينة كفر وذنوب عظيم، وهو من باب كفر دون كفر، أمَّا التشريع العام فنصوص العلماء - قديمًا وحديثًا - الدالة على أنه كفر أكبر مخرج من الملة، كثيرة جدًا، ويمكن جمعها في كتاب، لكن سأكتفي هنا بنقل بعض منها، بل قد نقل ابن حزم وابن القيم وابن كثير الإجماع على ذلك.

لون آخر، يحكم فيه رب العالمين، وإله المرسلين، مالك يوم الدين، الذي ﴿لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَىٰ وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [القصص: ٧٠]، ﴿الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ [الفتح: ٢٨]»^(١).

أقوال العلماء في التشريع العام:

١ - قول العلامة ابن حزم الأندلسي:

«لا خلاف بين اثنين من المسلمين ... وأنَّ من حكم بحكم الإنجيل مما لم يأت بالنص عليه وحي في شريعة الإسلام فإنه كافر مشرك خارج عن الإسلام»^(٢).

٢ - قول شيخ الإسلام ابن تيمية:

«نُسِّخَ هذه التوراة مبدلة لا يجوز العمل بما فيها، ومن عمل اليوم بشرائعها المبدلة والمنسوخة فهو كافر»^(٣).

٣ - قول الحافظ ابن القيم:

«قالوا: وقد جاء القرآن وصحَّ الإجماع بأنَّ دين الإسلام نَسَخَ كل دين كان قبله، وأنَّ من التزم ما جاءت به التوراة والإنجيل ولم يتبع القرآن فإنه كافر، وقد أبطل الله كلَّ شريعة كانت في التوراة والإنجيل وسائر الملل،

(١) انظر: ((مجموع الفتاوى)) (٣٥/٣٨٧-٣٨٨).

(٢) ((الإحكام في أصول الأحكام)) (٥/١٧٣).

(٣) ((مجموع الفتاوى)) (٣٥/٢٠٠). يتصرف يسير.

وافترض على الجن والإنس شرائع الإسلام؛ فلا حرام إلا ما حرمه الإسلام، ولا فرض إلا ما أوجبه الإسلام»^(١).

٤ - قول الحافظ ابن كثير:

«من ترك الشرع المحكم المنزل على محمد خاتم الأنبياء عليه الصلاة والسلام، وتحاكم إلى غيره من الشرائع المنسوخة؛ كفر. فكيف بمن تحاكم إلى الياسق وقدمها عليه؟ من فعل ذلك كفر بإجماع المسلمين»^(٢).

وقال في تفسير سورة المائدة (الآية: ٥٠): «ينكر تعالى على من خرج عن حكم الله المحكم المشتمل على كل خير، الناهي عن كل شر، وعدل إلى ما سواه من الآراء والأهواء والاصطلاحات التي وضعها الرجال^(٣) بلا مستند من شريعة الله.. ومن فعل ذلك منهم فهو كافر يجب قتاله حتى يرجع إلى حكم الله ورسوله فلا يحكم سواه في قليل ولا كثير».



(١) أحكام أهل الذمة (٢٥٩/١).

قلت: إذا كان من اتبع التوراة أو الإنجيل وتحاكم إليهما عند ابن حزم وابن تيمية وابن القيم كافرًا؛ فكيف بمن اتبع القوانين الوضعية التي هي من صنع البشر وحثالة عقولهم؟!

(٢) البداية والنهاية (١١٩/١٣).

(٣) ليس هناك وصف للقوانين الوضعية أبلغ من هذا الوصف: ((آراء وأهواء واصطلاحات وضعها الرجال)).

فصل في عدم الخروج على الأئمة

قال الطحاوي رحمه الله:

(وَلَا نَرَى السَّيْفَ عَلَى أَحَدٍ مِنْ أُمَّةٍ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ؛ إِلَّا مَنْ وَجِبَ عَلَيْهِ السَّيْفُ. وَلَا نَرَى الْخُرُوجَ عَلَى أَيْمَانِنَا وَوَلَاةِ أُمُورِنَا، وَإِنْ جَازُوا^(١)، وَلَا نَدْعُو عَلَيْهِمْ، وَلَا نَنْزِعُ يَدًا مِنْ طَاعَتِهِمْ، وَنَرَى طَاعَتَهُمْ مِّنْ طَاعَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَرِيضَةً، مَا لَمْ يَأْمُرُوا بِمَعْصِيَةٍ، وَنَدْعُو لَهُمْ بِالصَّلَاحِ وَالْمُعَافَاةِ^(٢)).

الشرح:

«في الصحيح عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ؛ أَنَّهُ قَالَ: «لَا يَجِلُّ دَمٌ امْرِيٍّ مُسْلِمٍ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ؛ إِلَّا بِأَحَدِي ثَلَاثَ: الثَّيِّبِ الزَّانِي، وَالنَّفْسِ بِالنَّفْسِ، وَالتَّارِكِ لِدِينِهِ الْمَفَارِقِ لِلْجَمَاعَةِ»^(٣).

قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾^ط

[النساء: ٥٩].

(١) أئمة المسلمين وولاية أمورهم هم من أقاموا فيهم الصلاة وحكموهم بشرع الله، ولم يُظهروا الكفر البواح، وإن جاروا وظلموا، أمّا من لم يقيموا فيهم الصلاة ونبذوا شرع الله خلفهم وحكّموا فيهم غيره؛ فلا إمامة لهم ولا ولاية ولا كرامة.

(٢) انظر: ((شرح العقيدة الطحاوية)) (ص ٣٧٩-٣٨١)، و((مجموع الفتاوى)) لشيخ الإسلام (١٧٩/٢٩-١٨١)، و((السياسة الشرعية)) له أيضاً.

(٣) رواد البخاري (٦٨٧٨)، ومسلم (١٦٧٦) من حديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه.

وفي الصحيح عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ؛ أَنَّهُ قَالَ: «مَنْ أَطَاعَنِي؛ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ، وَمَنْ عَصَانِي؛ فَقَدْ عَصَى اللَّهَ، وَمَنْ يُطِيعِ الْأَمِيرَ؛ فَقَدْ أَطَاعَنِي، وَمَنْ يَعِصِ الْأَمِيرَ؛ فَقَدْ عَصَانِي»^(١).

وعن أبي ذرٍّ رضي الله عنه؛ قَالَ: «إِنَّ خَلِيلِي أَوْصَانِي أَنْ أَسْمَعَ وَأَطِيعَ، وَإِنْ كَانَ عَبْدًا حَبَشِيًّا مُجَدِّعَ الْأَطْرَافِ»^(٢).

وفي «الصحيحين» أيضًا: «على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحبَّ وكره؛ إِلَّا أَنْ يُؤْمَرَ بِمَعْصِيَةٍ، فَإِنْ أُمِرَ بِمَعْصِيَةٍ؛ فَلَا سَمْعَ وَلَا طَاعَةَ»^(٣).

وعن عوف بن مالك رضي الله عنه، عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ؛ قَالَ: «خِيَارَ أُمَّتِكُمُ الَّذِينَ تَحِبُّونَهُمْ وَيَحِبُّونَكُمْ، وَتَصَلُّونَ عَلَيْهِمْ وَيَصَلُّونَ عَلَيْكُمْ، وَشَرَّارَ أُمَّتِكُمُ الَّذِينَ تَبْغُضُونَهُمْ وَيَبْغُضُونَكُمْ، وَتَلْعَنُونَهُمْ وَيَلْعَنُونَكُمْ». فقلنا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَفَلَا نُنَابِذُهُمْ بِالسَّيْفِ عِنْدَ ذَلِكَ؟ قَالَ: «لَا؛ مَا أَقَامُوا فِيكُمْ الصَّلَاةَ. أَلَا مَنْ وُلِيَ عَلَيْهِ وَالٍ، فَرَأَاهُ يَأْتِي شَيْئًا مِنْ مَعْصِيَةِ اللَّهِ؛ فَلْيَكْرَهُ مَا يَأْتِي مِنْ مَعْصِيَةِ اللَّهِ، وَلَا يَنْزِعَنَّ يَدًا مِنْ طَاعَةٍ»^(٤).

فقد دلَّ الكتاب والسنة على وجوب طاعة أولي الأمر، ما لم يأمرُوا بِمَعْصِيَةٍ، فتأمل قوله تعالى: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾^(٥) [النساء: ٥٩]؛ كيف قال: ﴿وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ ولم يقل: وأطيعوا أولي الأمر

(١) رواه البخاري (٧١٣٧)، ومسلم (١٨٣٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) رواه مسلم (١٨٣٧).

(٣) رواه البخاري (٧١٤٤)، ومسلم (١٨٣٩) من حديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه.

(٤) رواه مسلم (١٨٥٥).

منكم؛ لأنَّ أُولي الأمر لا يُفَرِّدون بالطاعة؛ بل يُطاعون فيما هو طاعة لله ورسوله^(١).

وأما لزوم طاعتهم وإن جازوا؛ فلائنه يترتب على الخروج من طاعتهم من المفاسد أضعاف ما يحصل من جورهم، بل في الصبر على جورهم تكفير السيئات ومضاعفة الأجور؛ فإنَّ الله تعالى ما سلَّطهم علينا إلا لفساد أعمالنا، والجزاء من جنس العمل؛ فعلينا الاجتهاد في الاستغفار والتوبة وإصلاح العمل:

قال تعالى: ﴿ وَمَا أَصَابَكُمْ مِّنْ مُّصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ ﴾ [الشورى: ٣٠].

وقال تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ نُؤَيِّدُ بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ [الأنعام: ١٢٩].

فإذا أراد الرعيَّةُ أن يتخلصوا من ظلم الأمير الظالم؛ فليتركوا الظلم)). اهـ



(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية في ((مجموع الفتاوى)) (١٩٦/٢٩): ((الإمام العدل تجب طاعته فيما لم يُعلم أنه معصية، وغير العدل تجب طاعته فيما عُلم أنه طاعة)).

فصل في الميثاق

قال الطحاوي:

(وَالْمِيثَاقُ الَّذِي أَخَذَهُ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ آدَمَ وَذُرِّيَّتِهِ حَقًّا) ^(١).

الشرح:

قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٧٢].

أخبر سبحانه أنه استخرج ذرية بني آدم من أصلابهم؛ شاهدين على أنفسهم أن الله ربهم ومليكنهم، وأنه لا إله إلا هو.

وقد وردت أحاديث في أخذ الذرية من صلب آدم عليه السلام، وتمييزهم إلى أصحاب اليمين وإلى أصحاب الشمال، وفي بعضها الإشهاد عليهم بأن الله ربهم:

فمنها ما رواه الإمام أحمد عن ابن عباس عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ؛ قال: ((إِنَّ اللَّهَ أَخَذَ الْمِيثَاقَ مِنْ ظَهْرِ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِنِعْمَانٍ (يعني: عرفة)، فأخرج من صلبه كلَّ ذريرة ذراها، فنشرها بين يديه، ثمَّ كَلَّمَهُمْ قُبُلًا؛

(١) انظر: ((شرح العقيدة الطحاوية)) (ص ٢٤٠-٢٤٧)، و((مجموع الفتاوى)) (٨/٦٥).

قال: ألسْتُ برَبِّكُمْ؟ قالوا: بلى شهدنا...)) إلى آخر الآية^(١).

وروى الإمام أحمد أيضاً عن أنس بن مالك عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ؛ قال: ((يُقَالُ لِلرَّجُلِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: أَرَأَيْتَ لَوْ كَانَ لَكَ مَا عَلَى الْأَرْضِ مِنْ شَيْءٍ؛ أَكُنْتَ مُفْتَدِيًّا بِهِ؟ قال: فيقول: نعم. قال: فيقول: قد أردتُ منك أهونَ من ذلك، قد أخذت عليك في ظهر آدم أن لا تشرك بي شيئاً، فأبيتَ إلا أن تشرك بي شيئاً)).

وأخرجاه في ((الصحيحين)) أيضاً^(٢).

(١) رواه أحمد (٢٧٢/١) (٢٤٥٥) والنسائي في ((السنن الكبرى)) (٣٤٧/٦) (١١١٩١)، والحاكم (٨٠/١)، والبيهقي في ((الأسماء والصفات)) (ص٣٢٧). من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما.

قال الحاكم: صحيح الإسناد، وقال ابن كثير في ((البداية والنهاية)) (٨٣/١): إسناده جيد قوي على شرط مسلم، وقال الهيثمي في ((مجمع الزوائد)) (٢٨/٧): رجاله رجال الصحيح، وقال ابن حجر في ((تحفة النبلاء)) (١٣٤): وقفه أصح، وروي موقوفاً ومرفوعاً عن عبد الله ابن عمرو، وقال الشوكاني في ((فتح القدير)) (٣٧٠/٢): إسناده لا مطعن فيه، وصححه إسناده أحمد شاکر في ((تحقيق مسند أحمد)) (١٥١/٤)، وصححه الألباني في ((صحيح الجامع)) (١٧٠١).

(٢) رواه البخاري (٦٥٥٧)، ومسلم (٢٨٠٥).

- اعلم - وفقني الله وإياك - أن أخذ الميثاق والإشهاد عليه من أمور الغيب التي لا تتخيلها عقولنا القاصرة، ويجب علينا الإيمان بهما كسائر الغيبيات، ومن أحسن من رأيته أوضح مشكلها وأبانه الشيخ حافظ حكيمي في ((معارج القبول)) (٨٤/١-٩٤)، وللشيخ الألباني عند تخريج حديث عبد الله بن عباس -رضي الله عنهما- السابق في ((السلسلة الصحيحة)) كلام جيد؛ فراجعه إن شئت.

فصل في الإسراء والمعراج

قال الطحاوي رحمه الله:

(وَالْمِعْرَاجُ حَقٌّ، وَقَدْ أُسْرِيَ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وَعُرِجَ بِشَخْصِهِ فِي الْيَقْظَةِ إِلَى السَّمَاءِ، ثُمَّ إِلَى حَيْثُ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الْعَالَمِ، وَأَكْرَمَهُ اللَّهُ بِمَا شَاءَ، وَأَوْحَى إِلَيْهِ مَا أَوْحَى، مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى، فَصَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فِي الْآخِرَةِ وَالْأُولَى)^(١).

الشرح:

المعراج: من العروج؛ أي: الآلة التي يُعرج فيها؛ أي: يُصعد، وهو بمنزلة السلم، لكن لا يُعلم كيف هو، وحكمه كحكم غيره من المعيّيات؛ نُؤمن به، ولا نشغل بكيفيته.

وقد أسري بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَعُرِجَ بِشَخْصِهِ فِي الْيَقْظَةِ. وَإِنَّ الْإِسْرَاءَ كَانَ مَرَّةً وَاحِدَةً بِمَكَّةَ بَعْدَ الْبَعْثَةِ قَبْلَ الْمَهْجَرَةِ بِسَنَةٍ.

وكان من حديث الإسراء: أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أُسْرِيَ بِجَسَدِهِ فِي الْيَقْظَةِ عَلَى الصَّحِيحِ، مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى؛ رَاكِبًا عَلَى الْبِرَاقِ، صَحَبَهُ جِبْرَائِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَنَزَلَ هُنَاكَ، وَصَلَّى بِالْأَنْبِيَاءِ إِمَامًا، وَرَبَطَ الْبِرَاقَ بِحَلْقَةِ بَابِ الْمَسْجِدِ.

(١) انظر: شرح ((العقيدة الطحاوية)) (ص ٢٢٣-٢٢٦)، و((مجموع الفتاوى)) (٤/٣٢٨،

و(٢٥٦/٥)، و((درء تعارض العقل والنقل)) (٥/٣٥٤).

ثم عُرِّجَ به من بيت المقدس تلك الليلة إلى السماء الدنيا، ثمَّ عُرِّجَ به إلى السماء الثانية، ثمَّ إلى الثالثة والرابعة حتى السابعة، ورأى هناك عددًا من الأنبياء، ثمَّ رُفِعَ إلى سدرة المنتهى، ثمَّ رُفِعَ له البيت المعمور، فأوحى إلى عبده ما أوحى، وفرض الله عليه خمسين صلاةً، فرجع حتى مرَّ على موسى، فقال: بِمِ أُمِرْتُ؟ قال: بخمسين صلاة. فقال: إِنَّ أَمْتِكَ لَا تَطِيقُ ذَلِكَ؛ ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ؛ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ لِأَمْتِكَ. فوضع عنه عشرًا، ثمَّ نزل حتى أتى موسى، فأخبره، فقال: ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ؛ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ، فَلَمْ يَزَلْ يَتَرَدَّدُ بَيْنَ مُوسَى وَبَيْنَ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، حَتَّى جَعَلَهَا خَمْسًا، فَأَمَرَ مُوسَى بِالرُّجُوعِ، وَسُؤَالَ التَّخْفِيفِ، فَقَالَ: قَدْ اسْتَحْيَيْتُ مِنْ رَبِّي، وَلَكِنْ أَرْضَى وَأَسْلَمَ. فَلَمَّا نَفَذَ؛ نَادَى مُنَادٍ: قَدْ أَمْضَيْتَ فَرِيضَتِي، وَخَفَفْتُ عَنْ عِبَادِي^(١).

وفي رؤيته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ رَبَّهُ عَزَّ وَجَلَّ اِخْتِلَافًا، وَالصَّحِيحُ أَنَّهُ رَأَى بِقَلْبِهِ، وَلَمْ يَرَهُ بِعَيْنِ رَأْسِهِ.

ومما يدل على أَنَّ الإِسْرَاءَ بِجَسَدِهِ فِي الْيَقِظَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿سُبْحٰنَ

الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ، لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا﴾

[الإِسْرَاءُ: ١]، وَالْعَبْدُ عِبَارَةٌ عَنِ مَجْمُوعِ الْجَسَدِ وَالرُّوحِ؛ كَمَا أَنَّ الْإِنْسَانَ اسْمٌ لِمَجْمُوعِ الْجَسَدِ وَالرُّوحِ، هَذَا هُوَ الْمَعْرُوفُ عِنْدَ الْإِطْلَاقِ، وَهُوَ الصَّحِيحُ، فَيَكُونُ الْإِسْرَاءُ بِهَذَا الْمَجْمُوعِ، وَلَا يَمْتَنِعُ ذَلِكَ عَقْلًا، وَلَوْ جَازَ اسْتِبْعَادُ صَعُودِ

(١) جزء من حديث رواه البخاري (٣٨٨٧)، ومسلم (١٦٢).

البشر؛ لجاز استبعاد نزول الملائكة، وذلك يؤدي إلى إنكار النبوة، وهو كُفْر.

فإن قيل: فما الحكمة في الإسراء إلى بيت المقدس أولاً؟

فالجواب - والله أعلم -: أن ذلك كان إظهاراً لصدق دعوى الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المعراج حين سأَلَتْهُ قريشٌ عن نعت بيت المقدس، فنعتَه لهم، وأخبرهم عن غيرهم التي مر عليها في طريقه، ولو كان عروجه إلى السماء من مكة؛ لما حصل ذلك؛ إذ لا يمكن اطلاعهم على ما في السماء لو أخبرهم عنه، وقد اطلعوا على بيت المقدس، فأخبرهم بنعته.

وفي حديث المعراج دليل على ثبوت صفة العلوِّ لله تعالى من وجوه لمن تدبَّره، وبالله التوفيق. اهـ



فصل في أشراف الساعة

قال الطحاوي رحمه الله:

(وَنُؤْمِنُ بِأَشْرَاطِ السَّاعَةِ^(١)؛ مِنْ: خُرُوجِ الدَّجَالِ، وَنُزُولِ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنَ السَّمَاءِ، وَنُؤْمِنُ بِطُلُوعِ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَخُرُوجِ دَابَّةِ الْأَرْضِ مِنْ مَوْضِعِهَا)^(٢).

قال الشارح: عن حذيفة بن أسيد؛ قال: اطلع النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ علينا ونحن نتذاكر الساعة، فقال: «(ما تذاكرون)؟» قالوا: نذكر الساعة. فقال: «(إنَّهَا لَنْ تَقُومَ حَتَّى تَرَوْنَ قَبْلَهَا عَشْرَ آيَاتٍ، فَذَكَرَ: الدُّخَانُ، وَالدَّجَالُ، وَالدَّابَّةُ، وَطُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَنُزُولُ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ، وَيَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ، وَثَلَاثَةُ خَسُوفٍ: خَسْفٌ بِالْمَشْرِقِ، وَخَسْفٌ بِالْمَغْرِبِ، وَخَسْفٌ بِجَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَآخِرُ ذَلِكَ نَارٌ تَخْرُجُ مِنَ الْيَمَنِ؛ تَطْرُدُ النَّاسَ إِلَى مُحْشَرِهِمْ)». رواه مسلم^(٣).

(١) الشرط هو العلامة، والساعة القيامة، والمقصود بأشراط الساعة؛ أي: علامات القيامة التي تسبقها وتدل على قربها.

وقد قسم العلماء أشراف الساعة إلى صغرى وكبرى:

والصغرى: هي التي تتقدم الساعة بأزمان متطاولة؛ كبعثة النبي صلى الله عليه وسلم، وقبض العلم، والتطاول في البنين.

والكبرى: هي الأمور العظام التي تظهر قرب قيام الساعة، وهي المقصودة هنا.

(٢) انظر: ((شرح العقيدة الطحاوية)) (ص ٤٩٩-٥٠٢)، و((مجموع الفتاوى)) (٤٥/٣٦).

(٣) رواه مسلم (٢٩٠١).

وفي ((الصحيحين)) عن ابن عمر رضي الله عنهما؛ قال: ذُكِرَ الدجال عند النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فقال: ((إِنَّ اللهَ لَا يَخْفَى عَلَيْكُمْ، إِنَّ اللهَ لَيْسَ بِأَعْوَرٍ، وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى عَيْنِهِ، وَإِنَّ الْمَسِيحَ الدَّجَالَ أَعْوَرُ عَيْنَ الْيَمَنِ، كَأَنَّ عَيْنَهُ عَنَبَةٌ طَافِيَةٌ))^(١).

وروى البخاري وغيره عن أبي هريرة رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: ((والذي نفسي بيده؛ لِيُوشِكَنَّ أَنْ يَنْزَلَ فِيكُمْ ابْنُ مَرْيَمَ حَكَمًا عَدْلًا، فَيَكْسِرُ الصَّلِيبَ، وَيَقْتُلَ الْخَنزِيرَ، وَيَضَعُ الْجُزْيَةَ، وَيَفِيضُ الْمَالَ؛ حَتَّى لَا يَقْبَلَهُ أَحَدٌ، حَتَّى تَكُونَ السَّجْدَةُ خَيْرًا مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا)). ثُمَّ يَقُولُ أَبُو هُرَيْرَةَ: اقْرَأُوا إِنْ شِئْتُمْ: ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ ۗ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ [النساء: ١٥٩] ^(٢).

وأحاديث الدجال وعيسى ابن مريم عليه السلام ينزل من السماء ويقتله، ويخرج يأجوج ومأجوج في أيامه بعد قتله الدجال، فيهلكهم الله أجمعين في ليلة واحدة ببركة دعائه عليهم... يضيق هذا المختصر عن بسطها.

وأما خروج الدابة وطلوع الشمس من المغرب؛ فقال تعالى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾ [النمل: ٨٢].

(١) رواه البخاري (٣٤٣٩)، ومسلم (١٦٩).

(٢) رواه البخاري ومسلم، تقدم تخريجه (ص: ١٦٩).

وروى البخاري عن أبي هريرة؛ قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها؛ فإذا رآها الناس؛ آمن من عليها؛ فذلك حين لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل»^(١).

وروى مسلم عن عبد الله بن عمرو؛ قال: حفظت من رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ حديثاً لم أنسه بعد، سمعتُ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يقول: «إِنَّ أَوَّلَ الآيَاتِ خُرُوجًا طُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَخُرُوجَ الدَّابَّةِ عَلَى النَّاسِ ضَحَى، وَأَيُّهُمَا مَا كَانَتْ قَبْلَ صَاحِبَتِهَا؛ فَالْآخَرَى عَلَى إِثْرِهَا قَرِيبًا»^(٢)؛ أي: أَوَّلَ الآيَاتِ الَّتِي لَيْسَتْ مَأْلُوفَةً، وَإِنْ كَانَ الدَّجَالُ وَنَزُولُ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنَ السَّمَاءِ قَبْلَ ذَلِكَ، وَكَذَلِكَ خُرُوجُ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ، كُلُّ ذَلِكَ أُمُورٌ مَأْلُوفَةٌ؛ لِأَنَّهَا بَشَرٌ، مَشَاهِدَةٌ مِثْلَهُمْ مَأْلُوفَةٌ، وَأَمَّا خُرُوجُ الدَّابَّةِ بِشَكْلِ غَرِيبٍ غَيْرِ مَأْلُوفٍ، ثُمَّ مَخَاطَبَتِهَا النَّاسَ، وَوَسْمِهَا إِيَّاهُمْ بِالْإِيمَانِ أَوْ الْكُفْرِ؛ فَأَمْرٌ خَارِجٌ عَنِ مَجَارِي الْعَادَاتِ، وَذَلِكَ أَوَّلُ الآيَاتِ الْأَرْضِيَّةِ، كَمَا أَنَّ طُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا عَلَى خِلَافِ عَادَتِهَا الْمَأْلُوفَةِ أَوَّلُ الآيَاتِ السَّمَاوِيَّةِ. اهـ

(١) رواه البخاري (٤٦٣٥)، ومسلم (١٥٧).

(٢) رواه مسلم (٢٩٤١).

فصل في الجنة والنار

قال الطحاوي رحمه الله تعالى:

(وَالْجَنَّةُ وَالنَّارُ مَخْلُوقَتَانِ، لَا تَفْنِيَانِ أَبَدًا وَلَا تَبِيدَانِ؛ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَلَقَ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ قَبْلَ الْخَلْقِ، وَخَلَقَ لَهُمَا أَهْلًا، فَمَنْ شَاءَ مِنْهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ فَضَلًّا مِنْهُ، وَمَنْ شَاءَ مِنْهُمْ إِلَى النَّارِ عَدْلًا مِنْهُ، وَكُلٌّ يَعْمَلُ لِمَا قَدْ فُرِعَ لَهُ، وَصَائِرُ إِلَى مَا خُلِقَ لَهُ، وَالْخَيْرُ وَالشَّرُّ مُقَدَّرَانِ عَلَى الْعِبَادِ)^(١).

الشرح:

أما قوله: ((إِنَّ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ مَخْلُوقَتَانِ))؛ فاتفق أهل السنة على أن الجنة والنار مخلوقتان موجودتان الآن، ولم يزل أهل السنة على ذلك.

فمن نصوص الكتاب: قوله تعالى عن الجنة: ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣]، ﴿أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾ [الحديد: ٢١]، وعن النار: ﴿وَأَتَقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٣١]، ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ❖ لِلطَّالِعِينَ مَآبًا ❖ [النبا: ٢١-٢٢]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَى ❖ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى ❖ عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى﴾ [النجم: ١٣-١٥].

وقد رأى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ سِدْرَةَ الْمُنْتَهَى، ورأى عندها جنة المأوى؛ كما في ((الصحيحين)) من حديث أنس رضي الله عنه في قصة

(١) انظر ((شرح العقيدة الطحاوية)) (ص ٤٢٠-٤٣٢)، و((مجموع الفتاوى)) (١٨/٣٠٧).

الإسراء، وفي آخره: «ثم انطلق بي جبرائيل، حتى أتى سِدْرَةَ المنتهى، فغشيها ألوانٌ لا أدري ما هي». قال: «ثم دخلت الجنة؛ فإذا هي جنابُ اللؤلؤ، وإذا تراها المسك»^(١).

وقوله: «لا تفنيان أبداً ولا تبيدان»: هذا قول جمهور الأئمة من السلف والخلف.

فأما أبدية الجنة، وأنها لا تفنى ولا تبيد؛ فهذا مما يُعلم بالضرورة أنّ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أخبر به.

قال تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سَعِدُوا ففِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْدُوزٍ﴾ [هود: ١٠٨] أي: إلا مدة مقامهم في القبور والموقف.

وقال ابن جرير الطبري: إنّ الله تعالى لا يُخلف لوعده، وقد وصل الاستثناء بقوله: ﴿عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْدُوزٍ﴾؛ أي غير مقطوع، وعلى كل تقدير؛ فهذا الاستثناء من المتشابه، وقوله: ﴿عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْدُوزٍ﴾؛ محكم، فنأخذ بالمُحْكَم، وندع المتشابه إلى عالمه.

وقوله تعالى: ﴿أَكُلْهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا﴾ [الرعد: ٣٥].

وقوله تعالى: ﴿وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾ [الحجر: ٤٨].

(١) رواه البخاري (٣٣٤٢)، ومسلم (١٦٣).

وقد أكَّد الله خلود أهل الجنَّة بالتأييد في عدة مواضع من القرآن، وأخبر أنهم: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى﴾ [الدخان: ٥٦]، وهذا الاستثناء منقطع، وإذا ضممته إلى الاستثناء في قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾؛ تبيَّن أن المراد من الآيتين استثناء الوقت الذي لم يكونوا فيه في الجنَّة من مدَّة الخلود؛ كاستثناء الموتة الأولى من جملة الموت؛ فهذه موتة تقدمت على حياتهم الأبدية، وذلك مفارقة للجنة تقدمت على خلودهم فيها.

والأدلة من السنة على أبدية الجنَّة ودوامها كثيرة؛ كقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ يَنْعَمُ وَلَا يَبْأَسُ، وَيَخْلُدُ وَلَا يَمُوتُ»^(١)، وقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «يُنَادِ مُنَادٍ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ! إِنَّ لَكُمْ أَنْ تَصِحُّوا فَلَا تَسْقُمُوا أَبَدًا، وَأَنْ تَشْبُوا فَلَا تَهْرَمُوا أَبَدًا، وَأَنْ تَحْيُوا فَلَا تَمُوتُوا أَبَدًا»^(٢)، وفي حديث ذبح الموت بين الجنَّة والنَّار: «ويقال: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ! خَلُودٌ فَلَا مَوْتَ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ! خَلُودٌ فَلَا مَوْتَ»^(٣).

وأما أبدية النَّار ودوامها؛ فإنَّ الله تعالى يُخْرِجُ مِنْهَا مَنْ شَاءَ؛ كما ورد في السنة، ويُبْقِي فِيهَا الْكُفَّارَ بَقَاءً لَا انْقِضَاءَ لَهُ.

(١) رواه مسلم (٢٨٣٦)؛ بلفظ: ((من يدخل الجنَّة؛ ينعم ولا ييبأس؛ لا تبلى ثيابه، ولا يفنى شبابه)).

(٢) رواه مسلم (٢٨٣٧) بنحوه.

(٣) رواه البخاري (٤٧٣٠) ومسلم (٢٨٤٩).

ومن أدلة بقائها وعدم فنائها: قوله تعالى: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٧]، ﴿لَا يَفْتَرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْسُونَ﴾ [الزحرف: ٧٥]، ﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ [النساء: ١٦٩]، ﴿وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾ [البقرة: ١٦٧]، ﴿لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فِيمَوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا﴾ [فاطر: ٣٦].

وقد دلت السنة المستفيضة أنه يخرج من النار من قال: لا إله إلا الله، وأحاديث الشفاعة صريحة في خروج عصاة الموحدين من النار، وأن هذا حكمٌ مختصٌّ بهم؛ فلو خرج الكفار منها؛ لكانوا بمنزلتهم، ولم يختصَّ الخروج بأهل الإيمان. وبقاء الجنة والنار ليس لذاتهما؛ بل بإبقاء الله لهما.

وقوله: «(وخلق لهما أهلاً)»: قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾ [الأعراف: ١٧٩]، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «(إن الله خلق للجنة أهلاً، خلقهم لها وهم في أصلاب آبائهم، وخلق للنار أهلاً، خلقهم لها وهم في أصلاب آبائهم)»^(١)، رواه مسلم.

وقوله: «(فمن شاء منهم إلى الجنة فضلاً منه، ومن شاء منهم إلى النار عدلاً منه...)» إلى آخره: مما يجب أن يُعلم أن الله تعالى لا يمنع الثواب إلا إذا منع سببه، وهو العمل الصالح؛ فإنه: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا﴾ [طه: ١١٢]، كذلك لا يعاقب أحدًا

(١) رواه مسلم (٢٦٦٢) من حديث عائشة رضي الله عنها.

إلا بعد حصول سبب العقاب؛ فإنَّ الله تعالى يقول: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِّنْ مُّصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾ [الشورى: ٣٠]، وهو سبحانه المعطي المانع، لا مانع لما أعطى، ولا معطي لما منع، لكن إذا منَّ على الإنسان بالإيمان والعمل الصالح؛ فلا يمنعه موجب ذلك أصلاً؛ بل يُعطيه من الثواب والقرب ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، وحيث منعه ذلك؛ فلا نتفأء سببه، وهو العمل الصالح.

ولا ريب أنَّه يهدي من يشاء، ويضل من يشاء، لكن ذلك حكمة منه وعدل؛ فمنعه للأسباب التي هي الأعمال الصالحة من حكمته وعدله، وأما المسببات بعد وجود أسبابها؛ فلا يمنعها بحال، إذا لم تكن أسباباً غير صالحة: إمَّا لفساد في العمل، وإمَّا لسبب يعارض موجهه ومقتضاه، فيكون ذلك لعدم المقتضي، أو لوجود المانع.

وإذا كان منعه وعقوبته من عدم الإيمان والعمل الصالح، وهو لم يعطِ ذلك ابتلاءً وابتداءً إلا حكمة منه وعدلاً؛ فله الحمد في الحالين، وهو المحمود على كل حالٍ، كل عطاء منه فضل، وكل عقوبة منه عدل؛ فإنَّ الله تعالى حكيم، يضع الأشياء في مواضعها التي تصلح لها؛ كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ [الأنعام: ١٢٤]، وكما قال تعالى: ﴿وكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ﴾ [٥٣]، ونحو ذلك. اهـ

فصل في ذم الكلام

ووجوب التسليم لنصوص الكتاب والسنة

قال الطحاوي رحمه الله تعالى:

(وَلَا تَثْبُتُ قَدَمُ الْإِسْلَامِ إِلَّا عَلَى ظَهْرِ التَّسْلِيمِ وَالِاسْتِسْلَامِ)^(١).

الشرح:

أي: لا يثبت إسلام من لم يُسَلِّمْ لنصوص الوحيين، وينقاد إليها، ولا يعترض عليها ولا يعارضها برأيه ومعقوله وقياسه.

روى البخاري عن الإمام محمد بن شهاب الزهري رحمه الله؛ أنه قال: «من الله الرسالة، ومن الرسول البلاغ، وعلينا التسليم»^(٢).

وهذا كلامٌ جامعٌ نافعٌ.

وقال الطحاوي:

(فَمَنْ رَامَ عِلْمَ مَا حُظِرَ عَنْهُ عِلْمُهُ، وَلَمْ يَفْنَعْ بِالتَّسْلِيمِ فَهَمُّهُ؛ حَجَبَهُ مَرَامُهُ عَنِ خَالِصِ التَّوْحِيدِ وَصَانِي الْمَعْرِفَةِ وَصَحِيحِ الْإِيمَانِ)^(٣).

(١) انظر: ((شرح العقيدة الطحاوية)) (ص ٢٠١-٢٠٣).

(٢) رواه البخاري معلقاً بصيغة الجزم (١٥٤/٩)، ووصله ابن حجر العسقلاني في ((تغليق

التعليق)) (٣٦٥/٥).

(٣) انظر: ((شرح العقيدة الطحاوية)) (ص ٢٠٣-٢٠٨)، و((مجموع الفتاوى)) (٦٠/٣٦).

الشرح:

هذا تقريرٌ للكلام الأول، وزيادة تحذير أن يُتَكَلَّم في أصول الدِّين - بل وفي غيرها - بغير علم.

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ (٣٦) ﴿[الإسراء: ٣٦].

وقال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ﴾ ﴿ثَانِي عَطْفِهِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَنَذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ [الحج: ٨-٩].

وقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «ما ضلَّ قومٌ بعد هدى كانوا عليه؛ إلا أوتوا الجدل، (ثم تلا): ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا﴾ [الزخرف: ٥٨]». رواه الترمذي، وقال: حديث حسن^(١).

ولا شك أن من لم يسلم للرسول؛ نقص توحيده؛ فإنه يقول برأيه وهو، ويقلّد ذا رأي وهو بغير هدى من الله، فينقص من توحيده بقدر خروجه عما جاء به الرسول؛ فإنه قد اتّخذ في ذلك إلهًا غير الله.

(١) رواه أحمد (٢٥٢/٥) (٢٢٢١٨)، والترمذي (٣٢٥٣)، وابن ماجه (٤٥)، والطبراني (٢٧٧/٨) (٨٠٦٧)، والحاكم (٤٨٦/٢). من حديث أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه. قال الترمذي: (حسن صحيح إنما نعرفه من حديث حجاج بن دينار وحجاج ثقة مقارب الحديث)، وصحح إسناده الحاكم، والألباني في ((صحيح سنن ابن ماجه)) (٤٥).

قال تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ﴾ [الفرقان: ٤٣]؛ أي: عبد ما تهواه نفسه.

وإنما دخل الفساد في العالم من ثلاث فرق؛ كما قال عبد الله بن المبارك رحمة الله عليه:

رَأَيْتُ الدُّنُوبَ تُمِيتُ الْقُلُوبَ وَقَدْ يُورِثُ الذُّلَّ إِدْمَانُهَا
وَتَرَكْتُ الدُّنُوبَ حَيَاةَ الْقُلُوبِ وَخَيْرٌ لِنَفْسِكَ عَصْيَانُهَا
وَهَلْ أَفْسَدَ الدِّينَ إِلَّا الْمُلُوكُ وَأَحْبَارُ سُوءٍ وَرُهْبَانُهَا

فالمملوك الجائرة يعترضون على الشريعة بالسياسات الجائرة، ويعارضونها بها، ويقدمونها على حكم الله ورسوله.

وأحبار السوء، وهم العلماء الخارجون عن الشريعة، بأرائهم وأقيستهم الفاسدة المتضمنة تحليل ما حرم الله ورسوله، وتحريم ما أباحه، واعتبار ما ألغاه، وإلغاء ما اعتبره، وإطلاق ما قيده، وتقييد ما أطلقه... ونحو ذلك.

والرهبان، وهم جهَّال المتصوفة، المعترضون على حقائق الإيمان والشرع بالأذواق والمواجيد والخيالات والكشوفات الباطلة الشيطانية، المتضمنة شرع دين لم يأذن به الله، وإبطال دينه الذي شرعه على لسان نبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والتعويض عن حقائق الإيمان بخدع الشيطان وحظوظ النفس.

فقال الأولون: إذا تعارضت السياسة والشرع؛ قدمنا السياسة!

وقال الآخرون: إذا تعارض العقل والنقل؛ قدمنا العقل.

وقال أصحاب الذوق: إذا تعارض الذوق والكشف وظاهر الشرع؛
قدمنا الذوق والكشف.

ومن المحال أن لا يحصل الشفاء والهدى والعلم واليقين من كتاب الله
وكلام رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، ويحصل من كلام المتحيرين؛ بل
الواجب أن يجعل ما قاله الله ورسوله هو الأصل، ويتدبّر معناه ويعقله،
ويعرف برهانه ودليله العقلي والخبري السمعي، ويعرف دلالة على هذا
وهذا، ويجعل أقوال الناس التي توافقه وتخالفه متشابهة مجملة، فيقال
لأصحابها: هذه الألفاظ تحتل كذا وكذا، فإن أرادوا بها ما يوافق خبر
الرسول؛ قُبِلَ، وإن أرادوا بها ما يخالفه؛ رُدَّ.

وسبب الإضلال: الإعراض عن تدبّر كلام الله ورسوله، والاشتغال
بكلام اليونان والآراء المختلفة، وإنما سمي هؤلاء أهل الكلام؛ لأنهم لم يفيدوا
علمًا لم يكن معروفًا، وإنما أتوا بزيادة كلام قد لا يفيد. اهـ
وقال الطحاوي أيضًا:

(فَيَتَذَنَّبُ بَيْنَ الْكُفْرِ وَالْإِيمَانِ، وَالتَّصْدِيقِ وَالتَّكْذِيبِ، وَالْإِفْرَارِ وَالْإِنْكَارِ،
مُؤَسَّسًا تَائِيهَا، شَاكًا زَائِعًا؛ لَا مُؤْمِنًا مُصَدِّقًا، وَلَا جَاهِدًا مُكْذِبًا)^(١).

الشرح:

هذه الحالة حال كل من عدل عن الكتاب والسنة إلى علم الكلام
المذموم، أو أراد أن يجمع بينه وبين الكتاب والسنة، وعند التعارض يتأول

(١) انظر: ((شرح العقيدة الطحاوية)) (ص ٢٠٨-٢١٠).

النصَّ ويردُّه إلى الرأي والآراء المختلفة، فيؤول أمره إلى الحيرة والضلال والشك.

قال أبو عبد الله محمد بن عمر الرازي في كتابه الذي صنَّفه «أقسام اللذات»: «لقد تأملتُ الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية؛ فما رأيتها تشفي عيلاً، ولا تروي غليلاً، ورأيتُ أقرب الطرق طريقة القرآن، أقرأ في الإثبات: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥]، ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾ [فاطر: ١٠]، وأقرأ في النفي: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١]، ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾ [طه: ١١٠].»

ثم قال: «ومن جرَّب مثل تجربتي؛ عرف مثل معرفتي.»

وقال أبو المعالي الجويني: «يا أصحابنا! لا تشتغلوا بالكلام، فلو عرفت أنَّ الكلام يبلغ بي إلى ما بلغ؛ ما اشتغلت به.»

وقال عند موته: «لقد خضتُ البحر الخضم، وخليت أهل الإسلام وعلومهم، ودخلت في الذي نهوني عنه، والآن؛ فإن لم يتداركني ربي برحمته؛ فالويل لابن الجويني، وها أنا ذا أموتُ على عقيدة أُمِّي (أو قال: على عقيدة عجائز نيسابور).»

ومن يصل إلى مثل هذه الحالة، إن لم يتداركه الله برحمته، وإلا؛ تزندق.

قال الشافعي رحمه الله: «حكمي في أهل الكلام: أن يضربوا بالجريد والنعال، ويطاف بهم في القبائل والعشائر، ويقال: هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة وأقبل على الكلام.»

وقال: «لقد اطلعت من أهل الكلام على شيء ما ظننت مسلمًا يقوله، ولأن يبتلى العبد بكل ما نهى الله عنه - ما خلا الشرك بالله - خيرٌ له من أن يبتلى بالكلام». اهـ

وتجد أحد هؤلاء عند الموت يرجع إلى مذهب العجائز، فيقر بما أقرؤا، ويعرض عن تلك الدقائق المخالفة لذلك، التي كان يقطع بها، ثمَّ تبين له فسادها، أو لم يتبين له صحتها، فيكونون في نهاياتهم - إذا سلموا من العذاب - بمنزلة أتباع أهل العلم من الصبيان والنساء والأعراب. اهـ

((انتهى الملحق بحمد الله وتوفيقه))



ملخص العقيدة الواسطية^(١)

اعتقادُ الفِرْقَةِ النَّاجِيَةِ الْمَنْصُورَةِ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ هُوَ:

١- الإِيمَانُ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْبَعْثِ بَعْدَ الْمَوْتِ،
وَالِإِيمَانِ بِالْقَدْرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ.

٢- وَالِإِيمَانُ بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ فِي كِتَابِهِ، وَمَا وَصَفَهُ بِهِ رَسُولُهُ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ مِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ وَلَا تَعْطِيلٍ، وَمِنْ غَيْرِ تَكْيِيفٍ وَلَا تَمَثِيلٍ.

٣- فَهُمْ وَسَطٌ فِي بَابِ صِفَاتِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بَيْنَ أَهْلِ التَّعْطِيلِ
الْجُهْمِيَّةِ، وَبَيْنَ أَهْلِ التَّمَثِيلِ الْمُشَبَّهَةِ؛ وَهُمْ وَسَطٌ فِي بَابِ أَفْعَالِ اللَّهِ بَيْنَ
الْقَدَرِيَّةِ وَالْجَزَرِيَّةِ؛ وَفِي بَابِ وَعِيدِ اللَّهِ بَيْنَ الْمُرْجئةِ وَبَيْنَ الْوَعِيدِيَّةِ مِنَ الْقَدَرِيَّةِ
وَغَيْرِهِمْ؛ وَفِي بَابِ الْإِيمَانِ وَالِدِّينِ بَيْنَ الْحُرُورِيَّةِ وَالْمُعْتَرِلَةِ، وَبَيْنَ الْمُرْجئةِ
وَالْجُهْمِيَّةِ؛ وَفِي أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ الرَّوَافِضِ وَبَيْنَ
الْخَوَارِجِ.

٤- وَالِإِيمَانُ بِكُلِّ مَا أَخْبَرَ بِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِمَّا يَكُونُ بَعْدَ
الْمَوْتِ، فَيُؤْمِنُونَ بِفِتْنَةِ الْقَبْرِ، وَبِعَذَابِ الْقَبْرِ وَنَعِيمِهِ. ثُمَّ بَعْدَ هَذِهِ الْفِتْنَةِ تَقُومُ
الْقِيَامَةُ، وَتُنشَرُ الدَّوَابُّ، وَيُحَاسِبُ اللَّهُ الْخَلْقَ، وَفِي عَرَصَةِ الْقِيَامَةِ الْحَوْضُ
الْمَوْرُودُ لِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَالصِّرَاطُ مَنْصُوبٌ عَلَى مَنْنِ جَهَنَّمَ.

(١) هذا الملخص استلثته من متن العقيدة الواسطية بحروفه، ويشمل جميع مسائلها إجمالاً.

٥- وَأَوَّلُ مَنْ يَسْتَفْتِحُ بَابَ الْجَنَّةِ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنَ الْأُمَّمِ أُمَّتُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وَلَهُ فِي الْقِيَامَةِ ثَلَاثُ شَفَاعَاتٍ.

٦- وَمِنْ أَصُولِ الْفِرْقَةِ النَّاجِيَةِ أَنَّ الدِّينَ وَالْإِيمَانَ قَوْلٌ وَعَمَلٌ، قَوْلُ الْقَلْبِ وَاللِّسَانِ، وَعَمَلُ الْقَلْبِ وَاللِّسَانِ وَالْجَوَارِحِ. وَأَنَّ الْإِيمَانَ يَزِيدُ وَيَنْقُصُ، وَلَا يُكْفَرُونَ أَهْلَ الْقِبْلَةِ بِمُطْلَقِ الْمَعَاصِي وَالْكَبَائِرِ؛ كَمَا يَفْعَلُهُ الْخَوَارِجُ.

٧- وَمِنْ أَصُولِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ: سَلَامَةُ قُلُوبِهِمْ وَالسِّيَتِهِمْ لِأَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فَيَفْضَلُونَ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ عَلَى مَنْ أَنْفَقَ مِنْ بَعْدِهِ وَقَاتَلَ. وَيُقَدِّمُونَ الْمُهَاجِرِينَ عَلَى الْأَنْصَارِ. وَيَشْهَدُونَ بِالْجَنَّةِ لِمَنْ شَهِدَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وَأَنَّ خَيْرَ هَذِهِ الْأُمَّةِ بَعْدَ نَبِيِّهَا: أَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ عُمَرُ. وَيُتَلَّثَوْنَ بِعُثْمَانَ، وَيُرْبِعُونَ بِعَلِيٍّ.

٨- وَيُجِبُونَ أَهْلَ بَيْتِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَيَتَوَلَّوْنَهُمْ، وَيَتَوَلَّوْنَ أَزْوَاجَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ.

٩- ثُمَّ مِنْ طَرِيقِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ اتِّبَاعُ آثَارِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَاطِنًا وَظَاهِرًا، وَاتِّبَاعُ سَبِيلِ السَّابِقِينَ الْأَوَّلِينَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ.

١٠- ثُمَّ هُمْ مَعَ هَذِهِ الْأُصُولِ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ، وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَيَرُونَ إِقَامَةَ الْحُجِّ وَالْجِهَادِ وَالْجَمْعِ وَالْأَعْيَادِ مَعَ الْأَمْرَاءِ أَبْرَارًا كَانُوا أَوْ فُجَّارًا، وَيُحَافِظُونَ عَلَى الْجَمَاعَاتِ. وَيَدِينُونَ بِالنَّصِيحَةِ لِلْأُمَّةِ، وَيَأْمُرُونَ بِمَعَالِي الْأَخْلَاقِ، وَيَنْهَوْنَ عَنِ سَفْسَافِهَا.

الفهارس العامة

- فهرس الآيات القرآنية.
- فهرس الأحاديث والآثار.
- فهرس الفرق.
- فهرس الأعلام المترجم لهم.
- فهرس المفردات.
- قائمة المصادر والمراجع .
- فهرس الموضوعات.

فهرس الآيات القرآنية

رقم الآية	رقم الصفحة	طرف الآية
		سورة الفاتحة:
٤	٨١	مالك يوم الدين
٢	١٨٠ ، ١٠٥	الحمد لله رب العالمين
		سورة البقرة:
٢٢	١٥٥ ، ١٠٠	فلا تجعلوا لله أندادًا وأنتم تعلمون
٧٥	١٧٨	وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله
٩٥	١٨٣	ولن يتمنوه أبدًا
١٢٣	٢٣٩	ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة
١٢٩	١٨٧	ويعلمهم الكتاب والحكمة
١٤٣	٢٠٦	وكذلك جعلناكم أمةً وسطاً
١٤٤	٢١٩ ، ٢١٧	قد نرى تقلب وجهك في السماء
١٦٥	١٥٥	ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادًا
١٦٧	٣١٧	وما هم بخارجين من النار
١٧٤	١٩٧	ولا يكلمهم الله
١٧٦	٢٩٠	ذلك بأن الله نزل الكتاب بالحق

رقم الآية	رقم الصفحة	طرف الآية
١٧٨	٢٥٧	فمن عُفي له من أخيه شيءٌ فاتبع بالمعروف
١٨٥	١٢٧	يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر
١٨٦	٢١٩	وإذا سألك عبادي عني فإني قريب
١٩٥	١٢٨	وأحسنوا إن الله يحب المحسنين
٢١٠	٢٢٣ ، ١٣٨	هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام
٢٢٢	١٢٨	إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين
٢٤٩	١٧١	كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة
٢٥٣	١٢٥	ولو شاء الله ما اقتتلوا ولكن الله يفعل ما يريد
٢٥٣	١٧٤	منهم من كلم الله
٢٥٥	٢٣٨ ، ١١١	الله لا إله إلا هو الحي القيوم
٢٥٧	٣٩٣	الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات
سورة آل عمران:		
١٩	٢٩١	إنَّ الدِّينَ عند الله الإسلام
٣١	١٢٨	قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله
٣٣	٣١٤	أعدت للمتقين
٣٧	٢٧٦	أني لك هذا
٥٤	١٤٩	ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين

رقم الآية	رقم الصفحة	طرف الآية
٥٥	١٦٨	يا عيسى إني متوفيك ورافعك إلي
٧٧	١٩٧	ولا يكلمهم الله
١٠٣	٢٨٩	واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا
١٠٥	٢٩٠	ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا
١٣١	٣١٤	واتقوا النار التي أعدت للكافرين
١٨١	١٤٧	لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير
سورة النساء:		
١١٦ ، ٤٨	٢١٢ ، ١٣٧	إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن
٥٨	١٢٤	إن الله نعماً يعظكم به إن الله كان سميعاً بصيراً
٥٩	٥	فإن تنازعتم في شئ فردوه إلى الله والرسول
٥٩	٣٠٤ ، ٣٠٣	أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم
٦٥	٢٩٩	فلا وربك لا يؤمنون حتى
٨٧	١٧٣	ومن أصدق من الله حديثاً
٩٢	٢٥٩	فتحرير رقبة مؤمنة
٩٣	١٣٥	ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم
١١٣	١٨٧	وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة

رقم الآية	رقم الصفحة	طرف الآية
١٢٢	١٧٣	ومن أصدق من الله قيلاً
١٤٩	١٥١	إن تبدوا خيراً أو تخفوه أو تعفوا عن سوء
١٥٨	١٦٨	بل رفعه الله إليه
١٥٩	٣١٢	وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به
١٦٤	١٧٧، ١٧٤	وكلم الله موسى تكليماً
١٦٤	٩٢	ورسلاً قد قصصناهم عليك من قبل
١٦٩	٣١٧	خالدين فيها أبداً
سورة المائدة:		
١	١٢٦	أحلت لكم بهيمة الأنعام إلا ما يتلى عليكم
٣٧	٣١٧	ولهم عذاب مقيم
٥٠	٢٩٨	أفحکم الجاهلية ييغون
٥٤	١٢٨	فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه
٥٦، ٥٥	٢٩٤	إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا ...
٦٤	١٤٢	وقالت اليهود يد الله مغلولة
١١٦	١٧٣	وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم
١١٩	١٣٥	رضي الله عنهم ورضوا عنه
سورة الأنعام:		

رقم الآية	رقم الصفحة	طرف الآية
٥٣	٣١٩	وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا
٥٤	١٣٢، ١٣٤	كتب ربكم على نفسه الرحمة
٥٩	١١٨	وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو
٦٠	١٦٩	وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار
٨٣-٨٦	٩٢	وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه نرفع درجات
٩٢، ١٥٥	١٧٨	وهذا كتاب أنزلناه مبارك
١٠٣	١٨٢، ١٨١	لا تدركه الأبصار
١٠٨	٢٣٢	ثم إلى ربهم مرجعهم فينبئهم بما كانوا يعملون
١١٥	١٧٤	وتمت كلمة ربك صدقًا وعدلًا
١٢٤	٣١٩	وإذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن
١٢٥	١٢٦، ٨١	فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام
١٢٩	٣٠٥	وكذلك نولي بعض الظالمين بعضًا
١٥٣	٢٣٥، ١٠٦	وأن هذا صراطي مستقيمًا فاتبعوه
١٥٨	١٣٨	هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي ربك
١٥٩	٢٩٠	إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعًا
سورة الأعراف:		
٢٢	١٧٤	وناداهما ربهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة

رقم الآية	رقم الصفحة	طرف الآية
٣٣	١٥٦	قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن
٣٧	٢٣٢	أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب
٥٤	١٦٤	إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض
١٤٣	١٧٤	لن ترابي ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر
١٤٣	١٨١ ، ١٧٧	ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه
١٥٦	١٣٤	فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة
١٥٦	١٣٢	ورحمتي وسعت كل شيء
١٧٢	٣٠٤	وإذ أخذ ربك من بني آدم
١٧٩	٣١٥	ولقد ذرأنا لجهنم كثيرًا من الجن
سورة الأنفال:		
٢	٢٥٧	إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم
٤٦	١٧١	واصبروا إن الله مع الصابرين
سورة التوبة:		
٦	١٧٨	وإن أحد من المشركين استجارك فأجره
٧	١٢٨	فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم
٧١	٢٩١	والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض
٢٠	٢٦١	الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله

رقم الآية	رقم الصفحة	طرف الآية
٤٠	١٧١	لا تحزن إن الله معنا
٤٦	١٣٥	ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم
٧٢	١٣٦	ورضوان من الله أكبر
١٠٠	١٣٥	رضي الله عنهم ورضوا عنه
١٠٣	٨٦	وصل عليهم إن صلاتك سكن لهم
١٠٥	١٤٧	وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون
سورة يونس:		
٣	١٦٤	إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض
٢٦	١٨١	للذين أحسنوا الحسنى وزيادة
٦١	٢٠٢	وما تكون في شأن وما تتلوا منه من قرآن
٦٢-٦٤	٢٩٤، ٢٩٣	ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ...
١٠٧	١٣٢	وهو الغفور الرحيم
سورة هود:		
٤١	٧٤	باسم الله مجريها
١٠٨	٣١٥	وأما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين
١٠٢	١٥٠	إن أخذه أليم شديد
١١٨، ١١٩	٢٩٠	ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ...

رقم الآية	رقم الصفحة	طرف الآية
١١٩	١٩٦	لأملأن جهنم من الجنة والناس سورة يوسف:
٦٤	١٣٢	فالله خير حافظاً وهو أرحم الراحمين سورة الرعد:
٢	١٦٤	الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها وهو شديد المحال
١٣	١٤٩	أكلها دائم وظلها
٣٥	٣١٥	سورة إبراهيم:
٤	١٥٣	وهو العزيز الحكيم
١٨	٢٣٣	مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد سورة الحجر:
٤٨	٣١٥	وما هم منها بمخرجين
٥٦	١٩٥	ومن يقنط من رحمة ربه إلا الضالون سورة النحل:
٤٤	١٨٨	وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم
٦٠	١٠٥	ولله المثل الأعلى
٧٤	١٥٦	فلا تضربوا لله الأمثال إن الله يعلم وأنتم لا

رقم الآية	رقم الصفحة	طرف الآية
		تعلمون
١٠١ - ١٠٣	١٧٨	وإذا بدلنا آية مكان آية والله أعلم ...
١٢٨	١٧١	إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون
		سورة الإسراء:
١	٣٠٩	سبحن الذي أسرى بعبده ليلاً
٩	٨١	إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم
١٣ ، ١٤	٢٢٨	وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه ...
٤٤	١٥٩	وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون
٧٨	١٨٠	إن قرآن الفجر كان مشهوداً
٣٦	٣٢٠	ولا تقف ما ليس لك به علم
٧٩	٢٣٩	عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً
١١١	٢٩٤ ، ١٥٥	وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً
		سورة الكهف:
٢٧	١٧٨	واتل ما أوحى إليك من كتاب ربك
٣٩	١٢٥	ولولا إذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله
٤٩	٢٣١	ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين
		سورة مريم:

رقم الآية	رقم الصفحة	طرف الآية
٥٢	١٧٤	ونادينا من جنب الطور الأيمن وقربناه نجياً
٦٥	١٠٤	رب السموات ورب الأرض وما بينهما
٦٥	١٥٥	فاعبده واصطبر لعبادته هل تعلم له سمياً
٦٥	١٠٠	هل تعلم له سمياً
سورة طه:		
٥	١٦٤، ١٦٥، ٣٢٣	الرحمن على العرش استوى
١٢	١٧٧	إني أنا ربك
٣٩	١٤٥	وألقيت عليك محبة مني ولتصنع على عيني
٤٦	١٧١، ١٤٧	إني معكما أسمع وأرى
٧١	١٧١، ١٩٩	ولأصلبنيكم في جذوع النخل
١١٠	٣٢٣	ولا يحيطون به علماً
١١٢	٣١٧	ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن
سورة الأنبياء:		
٤٧	٢٣١	ونضع الموازين القسط ليوم القيامة
سورة الحج:		
٤٥	٩٥	وبئر معطلة

رقم الآية	رقم الصفحة	طرف الآية
٤١، ٤٠	٣٠٠	ولينصرن الله من ينصره ...
٩، ٨	٣٢٠	ومن الناس من يجادل في الله ...
٧٠	٢٤٣	ألم تعلموا أن الله يعلم ما في السموات والأرض
سورة المؤمنون:		
٩١	١٠٤	سبحان الله عما يصفون
٩٢، ٩١	١٥٦	ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله ...
١٠٣، ١٠٢	٢٢٨	فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ...
١١٥	٢٤١	أفحسبتم أنما خلقناكم عبثًا وأنكم إلينا لا ترجعون
سورة النور:		
٢٢	١٥١	وليعفوا وليصْفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم
سورة الفرقان:		
٤٣	٣٢١	أرأيت من اتخذ إلهه هواه
٢، ١	١٥٦	تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ...
٢٣	٢٣٣	وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباءً منثورًا
٢٥	١٣٩	ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلاً
٥٨	١١١	وتوكل على الحي الذي لا يموت
٥٩	١٦٥	ثم استوى على العرش الرحمن

رقم الآية	رقم الصفحة	طرف الآية
-----------	------------	-----------

سورة الشعراء:

١٧٤	١٠	وإذ نادى ربك موسى أن ائت القوم الظالمين
٢٣٩	١٠٠	فما لنا من شافعين
١٤٧	٢٢٠-٢١٨	الذي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين

سورة النمل:

٣١٢	٨٢	وإذا وقع القول عليهم أخرجنا
١٤٩	٥٠	ومكروا مكراً ومكرنا مكراً وهم لا يشعرون
١٧٨	٧٦	إن هذا القرآن يقص على بني إسرائيل

سورة القصص:

٨١	٥٦	إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء
١٧٤	٦٥	ويوم يناديهم فيقول ماذا أجبتم المرسلين
١٤٠	٨٨	كل شيء هالك إلا وجهه
٣٠١	٧٠	له الحمد في الأولى والآخرة

سورة لقمان:

١٢٠	٣٤	إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث
-----	----	-------------------------------------

سورة السجدة:

رقم الآية	رقم الصفحة	طرف الآية
٤	١٦٥	الله الذي خلق السموات والأرض وما بينهما سورة الأحزاب:
٧	٩٢	وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وكان الله قويًا عزيزًا
٢٥	١٥٣	وإذ أوحينا إليك الكتاب والحكمة وذكرنا ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة وكان بالمؤمنين رحيماً
٤٣	١٨٧، ١٣٢	سورة سبأ:
٢-١	١١٨	وهو الحكيم الخبير يعلم ما يلج في الأرض سورة فاطر:
١٠	٣٢٣، ١٦٨	إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه ثم أوردنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا لا يقضى عليهم فيموتوا
١١	١١٨	سورة يس:
٣٢	٢٥٤	قالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا هذا إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون
٣٦	٣١٧	سورة الصافات:
٥٢	٢٣٠	
٨٢	١٢٦	

رقم الآية	رقم الصفحة	طرف الآية
١٢	١٩٤	بل عجبت ويسخرون
٩٦	٢٤٨، ٢١٠	والله خلقكم وما تعملون
١٥٩	١٠٤	سبحان الله عما يصفون
١٨٠-١٨٢	١٠٣	سبحان ربك رب العزة عما يصفون ...
سورة ص:		
١٨-١٩	١٥٩	إنا سخرننا معه الجبال يسبحن بالعشي ...
٢٨	٢٤٢	أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين
٧٥	١٤٢	ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي
٨٣، ٨٢	١٥٤، ١٥٣	فبعزتك لأغوينهم أجمعين
سورة غافر:		
٧	١٣٢	ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلماً
٣٦-٣٧	١٦٨	يا هامان ابن لي صرحاً لعلي أبلغ الأسباب ...
٤٦	٢٢٧	النار يعرضون عليها غدوًّا وعشيًّا
سورة فصلت:		
١٧	٨١	وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى
٤٧	١١٨	وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه
سورة الشورى:		

رقم الآية	رقم الصفحة	طرف الآية
١١	٩٧، ١٠٤	ليس كمثلها شيء وهو السميع البصير
	١٢٤، ٣٢٣	
١٣	٩٢	شرع لكم من الدين ما وصى به نوحًا
٢٥	١٥٢	وهو الذي يقبل التوبة عن عباده
٣٠	٣٠٣، ٣١٨	وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم
٥٢	٨١	وإنك لتتهدي إلى صراط مستقيم
سورة الزخرف:		
٥٥	١٣٥	فلما آسفونا انتقمنا منهم
٧٥	٣١٧	لا يفتر عنهم وهم فيه مبلسون
٧٧	١٨٣	ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك
٨٠	١٤٧	أم يحسبون أنا لا نسمع سرهم ونجواهم
سورة الدخان:		
٥٦	٣١٦	لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى
سورة الأحقاف:		
٨	١٣٢	وهو الغفور الرحيم
٢٩	١٦٠	وإذ صرفنا إليك نفرًا من الجن يستمعون القرآن
سورة محمد:		

رقم الآية	رقم الصفحة	طرف الآية
١١	٣٩٣	ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا
٢٨	١٣٥	ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه
سورة الفتح:		
١٥	١٧٨	يريدون أن يبدلوا كلام الله قل لن تتبعوننا
١٨	٢٦٤	لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك
٢٨	٣٠١	هو الذي أرسل رسوله بالهدى
سورة الحجرات:		
٩	٢٥٦	وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا
٩	٢٥٧، ١٢٨	وأقسطوا إن الله يحب المقسطين
١٠	٢٥٧	إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم
١٣	٢٩٥	إن أكرمكم عند الله أتقاكم
١٤	٢٥٩	قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا
سورة ق:		
١٠	١٢٢	والنخل باسقات لها طلع نضيد رزقاً للعباد
١٦	٢٢٠	ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس
٣٥	١٨١	لهم ما يشاؤون فيها ولدينا مزيد
سورة الذاريات:		

رقم الآية	رقم الصفحة	طرف الآية
٢٢	١٢٢	وفي السماء رزقكم وما توعدون
٥٦	٨٥	وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون
٥٨	١٢٢	إن الله هو الرزاق ذو القوّة المتين
سورة الطور:		
٤٨	١٤٥	واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا
سورة النجم:		
١٥-١٣	٣١٤	ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى
٢٦	٢٣٩	وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم
سورة القمر:		
١٤، ١٣	١٤٥	وحملناه على ذات ألواح ودُسُر ...
سورة الرحمن:		
٢-١	٧٧	الرحمن علم القرآن
٢٧	١٤٠	ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام
٧٨	١٥٥	تبارك اسم ربك ذو الجلال والإكرام
سورة الواقعة:		
٧٨، ٧٧	١٨٠	إنه لقرآن كريم في كتاب مكنون
سورة الحديد:		

رقم الآية	رقم الصفحة	طرف الآية
٣	١١٥	هو الأول والآخر والظاهر والباطن
٤	١٦٥ ، ١٧١ ، ٢١٦	هو الذي خلق السموات والأرض
٢١	٣١٤	أعدت للذين آمنوا بالله ورسله
١٠	٢٦١	لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح
٢٢	٢٤٣ ، ٩٤	ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم
سورة المجادلة:		
١	١٤٦	قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها
٧	١٧١	ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم
٢٢	١٣٥	رضي الله عنهم ورضوا عنه
سورة الحشر:		
٧	١٨٧	وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا
٨	٢٦٣	للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم
١٠	٢٦٠	والذين جاؤوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا
٢١	١٧٨	لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعًا
سورة الممتحنة:		
١	٢٥٩	يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء

رقم الآية	رقم الصفحة	طرف الآية
-----------	------------	-----------

سورة الصف:

٣	١٣٥	كبر مقتًا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون
٤	٢٩٧، ١٢٨	إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً

سورة المنافقون:

١	٨٣	نشهد إنك لرسول الله
٨	١٥٣	ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين

سورة التغابن:

١	١٥٦	يسبح لله ما في السموات وما في الأرض
---	-----	-------------------------------------

سورة الطلاق:

١٢	١١٨	لتعلموا أن الله على كل شيء قدير
٣، ٢	٢٩٥	ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه

سورة التحريم:

٢	١١٨	وهو العليم الحكيم
٤	١٤٣	إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما

سورة الملك:

١٤	١٢١	ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير
----	-----	-----------------------------------

رقم الآية	رقم الصفحة	طرف الآية
١٧-١٦	١٦٨ ، ١٩٩	أأمتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض سورة نوح:
٢٥	٢٢٧	مما خطيئاتهم أغرقوا فأدخلوا نارًا سورة المدثر:
٤٨	٢٣٩	فما تنفعهم شفاعة الشافعين سورة القيامة:
٢٣ ، ٢٢	١٨١	وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة سورة الإنسان:
٣٦	٢٤١	أيحسب الإنسان أن يترك سدى سورة الإنسان:
٣	٨١	إنا هديناه السبيل إما شاكراً وإما كفوراً سورة النبأ:
٢٢ ، ٢١	٣١٤	إن جهنم كانت مرصاداً ... سورة عبس:
١٦-١٣	١٨٠	في صحف مكرمة ❖ مرفوعة مطهرة ❖ بأيدي سفرة سورة التكوير:
٢٩-٢٨	٢٤٩ ، ٢٤٨	لمن شاء منكم أن يستقيم ... سورة المطففين:

رقم الآية	رقم الصفحة	طرف الآية
١٥	١٨٢	كلا إنهم عن رهم يومئذ لمحبوبون
٢٣، ٣٥	١٨١	على الأرائك ينظرون سورة الانشقاق:
٨	٢٣٢	فسوف يحاسب حسابا يسيراً سورة البروج:
١٢	١٥٠	إن بطش ربك لشديد
١٤	١٣٢	وهو الغفور الودود
٢١-٢٢	١٨٠	بل هو قرآن مجيد ❖ في لوح محفوظ سورة الطارق:
١٥	١٤٩	إنهم يكيّدون كيّداً وأكيّد كيّداً سورة الأعلى:
١	٧٥	سبح اسم ربك الأعلى سورة الفجر:
٢١-٢٢	١٣٨	كلا إذا دكت الأرض دكّاً دكّاً سورة الشرح:
٤	٨٥	ورفعنا لك ذكرك سورة العلق:

رقم الآية	رقم الصفحة	طرف الآية
١	٧٤	اقرأ باسم ربك
٩-١٤	١٤٩	أرءيت الذي ينهى ...
١٤	١٤٧	ألم يعلم بأن الله يرى
		سورة البينة:
٨	١٣٥	رضي الله عنهم ورضوا عنه
		سورة الإخلاص:
١-٤	١٠٧	قل هو الله أحد
٣-٤	١١٠	لم يلد ولم يولد ...
٤	١٥٥، ١٠٠	ولم يكن له كفواً أحد



فهرس الأحاديث والآثار

رقم الصفحة	طرف الحديث أو الأثر
٢٣٧	آتي باب الجنة يوم القيامة
٢١٥	أتى علي بزنادقة فأحرقهم
١٥٠	إذا رأيت الله يعطي العبد
٢٠١	إذا قام أحدكم إلى الصلاة
٣٦	إذا لم تستحي فاصنع ما شئت
٢٦٧	أذكركم الله في أهل بيتي
١٠٦	أسألك بكل اسم هو لك
١٦٦ ، ٩٦	الاستواء معلوم والكيف مجهول (أم سلمة)، (مالك)
٢٦١	اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم
١٤٢	أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له
١٥٤	أعوذ بعزة الله وقدرته
٢٠١	أفضل الإيمان أن تعلم أن الله معك
١٢٣	أقرأني رسول الله: إني أنا الرزاق
١٥٣	أقسم ليخرجن رسول الله
٢٧٩	أكمل المؤمنين إيماناً
١٨٧	ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه

رقم الصفحة	طرف الحديث أو الأثر
١٩٨	ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء؟
٧٥	الله ذو الإلهية والعبودية (ابن عباس)
٢٠١ ، ١١٦	اللهم رب السموات السبع
٢٣٩	اللهم رب هذه الدعوة
٢٥٠	أما من كان من أهل السعادة
٨٣	أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا
٢٣٧	أنا أكثر الأنبياء تبعًا
٢٣٧	أنا سيد ولد آدم يوم القيامة
٢١٩	إن الذي تدعونه أقرب إلى أحدكم
١٣٠	إن الله إذا أحب عبدًا
٣٠٧	إن الله أخذ الميثاق من ظهر
٢٦٨	إن الله اصطفى بني إسماعيل
١٤٢	إن الله خلق ثلاثة أشياء بيده
٣١٧	إن الله خلق للجنة أهلاً
١٣٠	إن الله كتب الإحسان
٣١٢	إن الله لا يخفى عليكم
١٣٤	إن الله لما خلق الخلق كتب

رقم الصفحة	طرف الحديث أو الأثر
٦	إن الله نظر في قلوب العباد (ابن مسعود)
٢٩١	إن أهل الكتابين
٣١٣	إن أول الآيات خروجًا
٢٣٠	إن أول الخلائق يكسى يوم القيامة
٢٤٤	إن أول ما خلق الله القلم
٩٠	أن تؤمن بالله وملائكته (حديث جبريل الطويل)
١٧٣	أن تعبد الله كأنك تراه (حديث جبريل الطويل)
٢٤٦	إن خلق أحدكم يجمع
٣٠٤	إن خليلي أوصاني أن أسمع
١٢٥	إن ربنا سميع بصير
١٣٢	أن قومًا ادعوا أنهم يحبون الله
٢٣٤	إن لكل نبي حوضًا
٢٨٠	إن من خياركم أحسنكم خلقًا
١٣٨	إن هذه الآية من آخر ما نزل (ابن عباس)
١٤٤	إن يمين الله ملأى
٢٠٤	إنكم سترون ربكم
٢٦٨	أنهم لم يفارقوني في جاهلية ولا إسلام

رقم الصفحة	طرف الحديث أو الأثر
٩٣	أول ما خلق الله القلم
٢٥٦	الإيمان بضع وسبعون شعبة
١١١	أي آية في كتاب الله أعظم؟
١٩٩ ، ١٦٧	أين الله؟ قالت: في السماء
٢٠٢	أيها الناس أربعوا
٢٦٤	بل هو من أهل الجنة - يعني: ثابت بن قيس -
١٥٤	بينما أيوب عليه السلام يغتسل
١٠٨	تعديل ثلث القرآن
١٨٢	تفسير الزيادة بالنظر
١١٤	تفسير الكرسي بالعلم
١٢٣	تفسير المتين بالشديد
٢٩٦	ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان
٣١٥	ثم انطلق بي جبرائيل
٢٦٧	حتى يحبوكم الله ولقرايتي
١٤٢	حجابه النور أو النار لو كشفه
١٤٨	الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات
٣٠٤	خيار أئمتكم الذين تحبونهم

رقم الصفحة	طرف الحديث أو الأثر
٢٦٦	خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر
٢٨١	الدين النصيحة
١٩٨	ربنا الله الذي في السماء
١٠٧	سبب نزول سورة الإخلاص
١٠٦	سبحانك لا نحصي ثناء عليك
٢٦٤	سبقك بها عكاشة
٢٣٣	سترتها عليك في الدنيا
٨٩	ستفترق هذه الأمة
١٥٠	شديد الحول (ابن عباس)، شديد القوة (مجاهد)
٢٣٦	الصراط أدق من الشعرة وأحد من السيف
٨٦	صلاة الله على رسوله ثناؤه عليه (أبو العالية)
١٠٩	الصمد: السيد الذي كمل سؤدده (ابن عباس)
١١٠	الصمد: الذي لا خوف له (مجاهد والحسن والضحاك)
١١٠	الصمد: الذي تصمد إليه الخليفة (إبراهيم النخعي)
٢٨٢	صلوا خلف كل بر وفاجر
١٩٣	ضحك ربنا من قنوط عباده
١٩٤	عجب الله من قوم يدخلون الجنة

رقم الصفحة	طرف الحديث أو الأثر
١٩٣	عجب ربك من شاب ليس له
١٩٣	عجب ربنا من قنوط عباده
١٩٨	العرش فوق الماء والله فوق العرش (ابن مسعود)
٣٠٤	على المرء المسلم السمع والطاعة
٢٧٧	عليكم بسنتي وسنة الخلفاء
١٢٥	فوضع إبهامه على أذنه
٢٦٨	فضل عائشة على النساء كفضل
٢٢٨	القبر إما روضة من رياض الجنة
١٩٤	قد عجب الله من صنعكما
٢٤٤	قدر الله مقادير الخلائق
٢٥١	القدرية محوس هذه الأمة
١٦٩	فيعرج الذين باتوا فيكم
١٦٧	كان في عماء
٧٨	كل كلام لا يبدأ فيه بحمد الله
٨١	كما يدين الفتى يدان
٨٥	لا أذكر إلا ذكرت معي
١٧٢	لا تحزن إن الله معنا

رقم الصفحة	طرف الحديث أو الأثر
١٩٦	لا تزال جهنم يلقى فيها
٢٨٣ ، ٨٨	لا تزال طائفة من أمتي على الحق
٢٦٠	لا تسبوا أصحابي
٨٦	لا تطروني كما أطرت النصارى
٣١٣	لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس
٢٩٥	لا فضل لعربي على عجمي
٣٠٣	لا يحل دم امرئ مسلم
٢٦١	لا يدخل النار - إن شاء الله -
٢٥٨	لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن
٢٤٠	لعله تنفعه شفاعتي. يعني: أبا طالب
١٩٤	لقد عجب الله من فلان وفلانة
١٩١	لله أشد فرحًا بتوبة عبده
٢١٥	لما رأيت الأمر أمرًا منكرًا
٢١٥	لو كنت أنا لم أحرقهم (ابن عباس)
١١١	ليهنك العلم أبا المنذر
١٤٨	ما أراك إلا قد حرمت عليه
٣١١	ما تذاكرون؟

رقم الصفحة	طرف الحديث أو الأثر
٢٩٩	ما حكم قوم بغير ما أنزل الله
٢٦٥	ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
٢١٨	ما السموات السبع والأرضون
١٥٢ ، ١٢٦	ما شاء الله كان وما لم يشأ
٣٢٠	ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه
٢٦٦	ما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى علمنا
١٧٨	ما من عبد إلا سيكلمه الله
١٩٧	ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه
٢٧٩	مثل المؤمنين في توادهم
١٥٧	مثلاً أو شبيهاً
١٢٠	مفاتيح الغيب خمس
٣٠٤	من أطاعني فقد أطاع الله
٣١٩	من الله الرسالة ومن الرسول البلاغ
٢١٥	من بدّل دينه فاقتلوه
٢٨١	من رأى منكم منكراً فليغيره
٧	من كان مستنأً فليستن بمن قد مات (ابن عمر)
٢٢٩	من مات فقد قامت قيامته

رقم الصفحة	طرف الحديث أو الأثر
٢٣٢	من نوقش الحساب عذب
٣١٦	من يدخل الجنة ينعم ولا يبأس
١٩٥	من يكفر بالله يلقى الغيّر
٢٨٠	المؤمن للمؤمن كالبنيان
٢٦٣	نحن الأمراء وأنتم الوزراء (أبو بكر)
٢٦٣	نحن المهاجرون وأول الناس (أبو بكر).
١٤٩	نزلت في شأن أبي جهل
١٥١	نزلت في شأن عيسى عليه السلام
٢٨٢	هم من كان على مثل ما أنا عليه وأصحابي
٧٦	هما اسمان رقيقان . يعني: الرحمن والرحيم . (ابن عباس)
١٥٣	والله إني لأحب أن يغفر الله لي (أبو بكر)
١٤٨	والله يا أبا بكر ما بنا إلى الله من حاجة
١١٢	والذي نفسي بيده إن لها لساناً وشفقتين
١٠٨	والذي نفسي بيده؛ إنها لتعدل
٣١٢ ، ١٦٩	والذي نفسي بيده؛ ليوشكن أن ينزل
٢٦٧	والذي نفسي بيده؛ لا يدخل
٢٦٧	والذي نفسي بيده؛ لا يؤمنون حتى يجبوكم

رقم الصفحة	طرف الحديث أو الأثر
١٥٣	وعزتي وكبريائي وعظمتي
٢٦٣	وما يدريك يا عمر؟
٨٧	والملائكة يصلون على أحدكم ما دام
٣١٦	يا أهل الجنة خلود فلا موت
١٤٧	يا أيها الناس! أربعوا على أنفسكم
٢٨٤	يبعث الله لهذه الأمة
٢٠٥	يتعاقبون فيكم ملائكة
٢٤٠	يجمع الله الناس
٢٤١	يخرج قوم من النار
٢٢٢	يدرس الإسلام كما يدرس
٢٠٧	يدعى نوح يوم القيامة
٢٨٢	يصلون لكم فإن أصابوا فلكم
١٩٢	يضحك الله إلى رجلين يقتل أحدهما الآخر
٣٠٧	يقال للرجل من أهل النار
١٩٧	يقول الله تعالى: يا آدم! فيقول: لبيك وسعديك
٣١٦	ينادي منادٍ: يا أهل الجنة! إن لكم
١٨٩	ينزل ربنا إلى السماء الدنيا

فهرس الفرق

الصفحة	الفرقة	الصفحة	الفرقة
١٢٠	المعتزلة	١٢٥	الأشاعرة
٩٦	المفوضة	٢٠٨	الجبرية
٢٧٠	النواصب	٢٠٨	الجهمية
٢١١	الوعيدية	٢١٣	الحرورية
		٢١٩	الحلولية
		٢١٣	الخوارج = الحرورية
		٢١٥	الرافضة
		٢٧٢	الزيدية
		١٢١	الفلاسفة
		١٢٢	القدرية
		١٧٥	الكرامية
		١٧٤	الكألاية
		٢١١	المرجئة
		٢٥٤	مرجئة الفقهاء
		٢٠٨	المشبهة

فهرس الأعلام المترجم لهم

الصفحة	العلم
١٠٨	أبو العباس بن سريج
١٢١	بشر المريسي
١٨٨	الرازي - فخر الدين
٢٧٢	زيد بن علي
١٣٩	الزحشري . محمود بن عمر
١٢١	عبد العزيز المكي
١٨٨	الغزالي - أبو حامد
٢٤٦	غيلان الدمشقي
١٣٩	الكوثري - محمد زاهد
٢٤٦	معبد الجهني
٩٩	نعيم بن حماد



فهرس المفردات

الصفحة	الكلمة	الصفحة	الكلمة
٩٦	التمثيل و التكيف	٢٨٣	الأبدال
٩٠	الجماعة	-١٢٦	الإرادة الكونية والشرعية
٢٥٤	جنس العمل	٢١١	الإرجاء
٧٨	الحمد	١٣٠	الإحسان
٨	دروس	١٣٨	الأسف والانتقام
٩٧	الدستور	٢١٣	الأسماء والأحكام
٨٠	الرسول والنبي	٨٨	الاعتقاد
٨٧	الرسول	١٣١	الإقساط
١٥٦	السمي	٨٧	آل بيت النبي
٩٠	السُّنَّة	٩٨	الإلحاد
٢٣٨	الشفاعة	٢٥٣	الإيمان والإيمان المطلق
٧٩	الشكر	٧٤	البسملة
٨٣ ، ٨٢	الشهيد و الشهادة	٩٣	البعث
٨٧	الصحب	١٥٩	التبارك
١٥٦	صفات السلوب	٩٥ ، ٩٤	التحريف و التعطيل
١٨٥	الصفات الذاتية والفعلية	١٠٣	التسييح

الصفحة	الكلمة	الصفحة	الكلمة
٨٦	الصلاة	٩٥	التفويض
١١٤	الكرسي	١٠٩	الصمد
٣٢٢	الكشف و المكاشفة	٨٥	العبادة
١٠٠	لا سمي له	١٥٤	العزة
١٣٧	اللعن	١٥٢	العفو
٧٩	المدح	٢٥٣	عمل القلب
٢٢٨	المرزية	٢٣٠	الغرل
٢٥٩	مطلق الإيمان	٢٥٨	الفاسق المَلِيّ
٩١	الملائكة	٨٨	الفرقة
٩٨	المواضع	٢٧٦	الفلسفة
٣٠٧	الميثاق	١٠١	قاعدة الكمال
١٥٧	الند	٩٣	القدر
٢٠٧	الوسطية	٢٥٣	قول القلب
٢٧٥	الولي	١٠١	قياس الأولى والتمثيل
١٥٨	يجبونهم كحب الله	١١٢	القيوم
		٩١	الكتب
		٢٧٦	الكرامات

قائمة المصادر والمراجع

١. الإبانة

لعبد الرحمن بن بطة، تحقيق: رضا بن نعيان معطي، الناشر: دار الراجعة، الرياض،
١٤٠٩هـ

٢. الإبتقان في علوم القرآن.

لعبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، وبهامشه إعجاز القرآن للباقلاني، الناشر: مصطفى
الباي الحلبي، الطبعة: الرابعة، ١٣٩٨هـ.

٣. الأجوبة المرضية

لمحمد بن عبد الرحمن السخاوي، تحقيق: محمد إسحاق محمد إبراهيم، الناشر: دار
الراجعة، الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ.

٤. أحكام أهل الذمة

لمحمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، تحقيق: صبحي الصالح، الناشر: دار العلم للملايين،
بيروت، ١٩٨٣م

٥. أحكام القرآن.

لمحمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، الناشر: دار
الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٤هـ.

٦. الإحكام في أصول الأحكام.

لعلي بن أحمد بن حزم، تحقيق: أحمد محمد شاكر، الناشر: دار الآفاق الجديدة،
بيروت، الطبعة: بدون.

٧. الأذكار.

ليحيى بن شرف النووي، الناشر: مكتبة المؤيد، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ.

٨. الأسماء والصفات.

لأحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: زاهد الكوثري، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٥هـ.

٩. إعلام الموقعين.

لمحمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١١هـ، ١٩٩١م.

١٠. الأعلام.

لخير الدين الزركلي، الناشر: دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة: الخامسة، ١٩٨٠م.

١١. إغاثة اللهفان من مصادب الشيطان

لمحمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد عفيفي، الناشر: المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٧هـ.

١٢. اقتضاء الصراط المستقيم.

لأحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، تحقيق: ناصر العقل، الناشر: مكتبة الرشد، الطبعة: الثالثة، ١٤١٣هـ.

١٣. الأمالي المطلقة

لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، الناشر: المكتب الإسلامي، بيروت ١٤١٦هـ

١٤. الإيمان.

لمحمد بن إسحاق بن منده، تحقيق: علي بن محمد بن ناصر الفقيهي، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤٠٦هـ

١٥. البحر الزخار

لأحمد بن عمرو البزار، تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله، الناشر: مكتبة العلوم والحكم،

المدينة المنورة، ١٤١٥ هـ

١٦. بدائع الفوائد.

محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، الناشر: دار الفكر، بيروت.

١٧. البداية والنهاية.

إسماعيل بن عمر بن كثير، الناشر: مكتبة المعارف، بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٩٨٠ م.

١٨. البدور السافرة

لعبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق: أبو محمد المصري، الناشر: مؤسسة الكتب

الثقافية، بيروت، ١٤١١ هـ

١٩. البعث.

لأبي بكر عبد الله بن سليمان بن الأشعث السجستاني، تحقيق: أبي إسحاق الحويني

الأثري، دار الكتاب العربي، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨ هـ.

٢٠. التاريخ الأوسط.

لمحمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: محمود إبراهيم زايد، الناشر: دار الوعي، مكتبة دار

التراث، الطبعة: الأولى، ١٣٩٧ هـ، ١٩٧٧ م.

٢١. تاريخ دمشق.

لعلي بن الحسن بن هبة الله ابن عساكر، تحقيق: عمرو بن غرامة العمري، الناشر:

دار الفكر، ١٤١٥ هـ، ١٩٩٥ م.

٢٢. التاريخ الصغير

لمحمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: محمود إبراهيم زايد، الناشر: دار الوعي، حلب،

١٣٩٧ هـ

٢٣. تاريخ الطبري (تاريخ الرسل والملوك).

لمحمد بن جرير الطبري، الناشر: دار التراث، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٣٨٧ هـ.

٢٤. التاريخ الكبير.

لمحمد بن إسماعيل البخاري، الناشر: دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الدكن.

٢٥. تاريخ واسط.

لأسلم بن سهل الواسطي المعروف ببحشل، تحقيق كوركيس عواد، الناشر: عالم الكتب، الطبعة: الأولى.

٢٦. تحذير الساجد

لمحمد بن ناصر الدين الألباني، الناشر: المكتب الإسلامي، بيروت، ١٣٩٢ هـ

٢٧. تحفة الأنظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار (رحلة ابن بطوطة).

لمحمد بن عبد اللواتي المعروف بابن بطوطة، تحقيق الدكتور علي المنتصر الكتاني، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة: الرابعة، ١٤٠٥ هـ.

٢٨. تحفة النبلاء

لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق: غنيم عباس غنيم، الناشر: مكتبة الصحابة، ١٤١٩ هـ

٢٩. تخريج الكشاف

لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني، الناشر: دار إحياء التراث العربي، ١٤١٨ هـ

٣٠. التخويف من النار

لعبدالرحمن بن رجب الحنبلي، تحقيق: بشير محمد عيون، الناشر: مكتبة المؤيد، ١٤٠٩ هـ

٣١. تغليق التعليق على صحيح البخاري.

لأحمد بن حجر العسقلاني، تحقيق: سعيد عبد الرحمن القزقي، الناشر: المكتب الإسلامي، دار عمار، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٥ هـ.

٣٢. تفسير ابن عباس ومروياته في التفسير من كتب السنة.

لعبد العزيز بن عبدالله الحميدي، الناشر: جامعة أم القرى بمكة.

٣٣. تفسير القرآن العظيم.

لإسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق مقبل بن هادي الوادعي، الناشر: دار الأرقم، الكويت، المجلد الأول، الطبعة: الأولى، ١٤٠٥هـ.

٣٤. تفسير القرآن العظيم.

لإسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق: محمد إبراهيم البناء، وعبد العزيز غنيم، ومحمد أحمد عاشور، الناشر: دار الشعب، القاهرة.

٣٥. تفسير القرآن (ابن أبي حاتم)

لعبد الرحمن بن محمد بن أبي حاتم، تحقيق: أسعد محمد الطيب، الناشر: المكتبة العصرية، صيدا.

٣٦. تقريب التهذيب.

لأحمد بن حجر العسقلاني، تحقيق: محمد عوامة، الناشر: دار الرشيد، سوريا، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م.

٣٧. تلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير.

لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني، اعتناء عبد الله هاشم المدني، المدينة، ١٣٨٤هـ.

٣٨. التنبهات اللطيفة على العقيدة الواسطية.

لعبد الرحمن بن ناصر السعدي، إشراف: عبد الرحمن الرويد وسليمان بن حماد، الطبعة: الأولى.

٣٩. التنكيل بما في تأنيب الكوثري من الأباطيل.

لعبد الرحمن بن يحيى المعلمي، تخريج وتعليق: محمد ناصر الدين الألباني، وزهير الشاويش، وعبد الرزاق حمزة، الناشر: المكتب الإسلامي، الطبعة: الثانية، ١٤٠٦هـ،

١٩٨٦م.

٤٠. توالي التأسيس

لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق: عبدالله القاضي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٦هـ

٤١. التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل.

لمحمد بن إسحاق ابن خزيمة، تحقيق: عبد العزيز الشهوان، الناشر: دار الرشد بالرياض، الطبعة: الأولى.

٤٢. التوضيح لشرح الجامع الصحيح

لعمر بن علي ابن الملقن، تحقيق: خالد الرباط وجمعة فتحي، الناشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، ١٤٢٩هـ

٤٣. الثقات.

لمحمد بن حبان البستي، الناشر: دار الفكر، الطبعة: الأولى، ١٣٩٥هـ، ١٩٧٥م.

٤٤. جامع بيان العلم وفضله.

ليوسف بن عبد البر القرطبي، تحقيق: فواز أحمد زمرلي، الناشر: مؤسسة الريان، دار ابن حزم، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ.

٤٥. جامع البيان عن تأويل آي القرآن (تفسير الطبري).

لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، الناشر: دار الفكر، بيروت، ١٤٠٥هـ.

٤٦. جامع البيان عن تأويل القرآن.

لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، تحقيق: محمود محمد شاكر، وتخرّيج أحمد شاكر، مصر.

٤٧. جامع الترمذي.

لمحمد بن عيسى الترمذي، تصحيح عبد الوهّاب عبد اللطيف، الناشر: دار إحياء التراث، بيروت.

٤٨. الجامع لسيرة شيخ الإسلام ابن تيمية

محمد عزيز شمس وعلي بن محمد العمران، الناشر: دار عالم الفوائد، مكة المكرمة،
١٩٩٥م

٤٩. الجامع لشعب الإيمان.

لأحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: عبد العلي حامد، الناشر: الدار السلفية بالهند،
الطبعة: الأولى.

٥٠. جلاء العينين في محاكمة الأحمدين.

لنعمان الألوسي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت.

٥١. حادي الأرواح

لمحمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، تحقيق: الجميلي، الناشر: دار الكتاب العربي،
بيروت، ١٤١٠هـ

٥٢. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء.

لأبي نعيم أحمد الأصفهاني، الناشر: دار الفكر، بيروت.

٥٣. الحيدة

لعبد العزيز بن يحيى الكناي، الناشر: الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ١٤٠٥هـ

٥٤. درء تعارض العقل والنقل.

لأحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، تحقيق: محمد رشاد سالم، الناشر: جامعة الإمام محمد
بن سعود الإسلامية، الرياض، الطبعة: الثانية، ١٤١١هـ.

٥٥. الدر المنثور.

لعبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، الناشر: دار الفكر، بيروت، الطبعة: الثانية،
١٤٠٣هـ.

٥٦. الدرر الكامنة

لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني، الناشر: دار الجليل.

٥٧. الدعاء

لسليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق: محمد سعيد بن محمد حسن البخاري، الناشر: دار البشائر الإسلامية، بيروت، ١٤٠٧هـ.

٥٨. دقائق التفسير

لأحمد بن عبدالحليم ابن تيمية، تحقيق: محمد السيد الجليلد، الناشر: مؤسسة علوم القرآن، بيروت، ١٤٠٤هـ.

٥٩. دلائل النبوة.

لأحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: عبد المعطي قلعجي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م.

٦٠. الذيل على طبقات الحنابلة.

لعبد الرحمن بن أحمد بن رجب، الناشر: دار المعرفة، بيروت.

٦١. الرحلة رحلة ابن بطوطة المسماة (تحفة النظار في غرائب الأمصار)

لمحمد بن عبدالله اللواتي ابن بطوطة، تحقيق: علي المنتصر الكتاني، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٥هـ.

٦٢. الرد على الجهمية.

لعثمان بن سعيد الدارمي، تحقيق: بدر البدر، الناشر: الدار السلفية، الكويت، الطبعة: الأولى.

٦٣. الرد الوافر على من زعم بأن من سمي ابن تيمية (شيخ الإسلام) كافر.

لناصر الدين الدمشقي، تحقيق: زهير الشاويش، الناشر: المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة: الأولى.

٦٤. زاد المسير

لعبدالرحمن بن علي ابن الجوزي، الناشر: المكتب الإسلامي، بيروت، ١٣٨٤هـ

٦٥. سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها.

لمحمد ناصر الدين الألباني، الناشر: المكتب الإسلامي، بيروت.

٦٦. سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة.

لمحمد ناصر الدين الألباني، الناشر: دار المعارف، الرياض، الطبعة: الأولى.

٦٧. سنن أبي داود.

لأبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني، تحقيق: عزت الدعاس، الناشر: المكتبة

السلفية، الطبعة: الأولى، ١٣٨٨هـ.

٦٨. سنن الترمذي.

لمحمد بن عيسى الترمذي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، تحقيق: أحمد محمد شاكر

وآخرون.

٦٩. سنن الدارقطني (مع حاشية التعليق المغني).

لعلي بن عمر الدارقطني، الناشر: نشر السنة.

٧٠. سنن الدارمي.

لعثمان بن سعيد الدارمي، تحقيق: فواز أحمد زمرلي، خالد السبع العلمي، دار الكتاب

العربي، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٧هـ.

٧١. سنن ابن ماجه.

لمحمد بن يزيد القزويني، الناشر: المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ.

٧٢. السنن الكبرى.

لأحمد بن الحسين البيهقي، الناشر: مجلس دائرة المعارف النظامية الكائنة في الهند ببلدة

حيدر آباد، الطبعة: الأولى، ١٣٤٤هـ، مصدر الكتاب: موقع وزارة الأوقاف المصرية

وقد أشاروا إلى جمعية المكنز الإسلامي.

٧٣. السنن الكبرى.

لأحمد بن شعيب النسائي، تحقيق: عبد الغفار سليمان البنداري، سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١١هـ، ١٩٩١م.

٧٤. سنن النسائي (مع شرح الحافظ السيوطي).

لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي، اعتناء عبد الفتاح أبو غدة، الناشر: دار البشائر، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦هـ.

٧٥. السنة.

لابن أبي عاصم، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٠هـ.

٧٦. السنة.

لعبد الله بن أحمد بن حنبل، تحقيق: محمد بن سعيد القحطاني، الناشر: دار ابن القيم، الدمام، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م.

٧٧. السياسة الشرعية

لأحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، تحقيق: علي بن محمد المغربي، الناشر: دار الأرقم، الكويت، ١٤٠٦هـ

٧٨. شرح السنة.

لأبي محمد الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ومحمد زهير الشاويش، الناشر: المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة: الأولى.

٧٩. شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة.

لهبة الله بن الحسن اللالكائي، تحقيق: أحمد بن سعد الغامدي، الناشر: دار طيبة، السعودية، الطبعة: الثامنة، ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٣م.

٨٠. شرح العقيدة الطحاوية.

لعلي بن علي بن أبي العز الحنفي، تحقيق جماعة من العلماء، تخريج محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة: الثامنة، ١٤٠٤هـ.

٨١. شرح العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية.

لمحمد خليل هراس، تعليق إسماعيل الأنصاري، الناشر: الرئاسة العامة للإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض، ١٤٠٣هـ.

٨٢. شرح القصيدة النونية (أحمد بن إبراهيم بن عيسى)

لأحمد بن إبراهيم بن عيسى، الناشر: المكتب الإسلامي، بيروت، ١٣٩٢هـ.

٨٣. شرح القصيدة النونية (محمد خليل هراس)

لمحمد بن خليل هراس، الناشر: الفاروق الحديثة، القاهرة.

٨٤. الشريعة.

لمحمد بن الحسين بن عبد الله الآجزي، تحقيق: عبد الله بن عمر الدميحي، الناشر: دار الوطن، الرياض، الطبعة: الثانية، ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م.

٨٥. الشفاعة عند أهل السنة والرد على المخالفين فيها

ناصر بن عبدالرحمن الجديع، الناشر: دار أطلس، الرياض، ١٤١٧هـ.

٨٦. صحيح البخاري (مع شرحه فتح الباري لابن حجر العسقلاني).

لمحمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: عبد العزيز بن باز، وترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي، وإخراج: محب الدين الخطيب، الناشر: دار الفكر.

٨٧. صحيح ابن حبان.

محمد بن حبان البستي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤١٤هـ، ١٩٩٣م.

٨٨. صحيح الترغيب والترهيب للمنذري.

لمحمد ناصر الدين الألباني، الناشر: مكتبة المعارف، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ.

٨٩. صحيح الجامع الصغير وزيادته.

لمحمد ناصر الدين الألباني، الناشر: المكتب الإسلامي، الطبعة الثانية، ١٣٩٩هـ.

٩٠. صحيح سنن أبي داود.

لمحمد ناصر الدين الألباني، الناشر: مكتب التربية العربي لدول الخليج، الطبعة: الأولى، ١٤٠٩هـ.

٩١. صحيح سنن ابن ماجه.

لمحمد ناصر الدين الألباني، الناشر: مكتب التربية العربي لدول الخليج، الطبعة: الأولى.

٩٢. صحيح سنن الترمذي.

لمحمد ناصر الدين الألباني، الناشر: مكتب التربية العربي لدول الخليج، الطبعة: الأولى.

٩٣. صحيح سنن النسائي.

لمحمد ناصر الدين الألباني، الناشر: مكتب التربية العربي لدول الخليج، الطبعة: الأولى.

٩٤. الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين.

لمقبل بن هادي الوادعي، الناشر: مكتبة دار القدس، صنعاء، الطبعة: الأولى، ١٤١١هـ.

٩٥. صحيح مسلم (مع شرح النووي).

لمسلم بن الحجاج القشيري، مراجعة خليل الميس، الناشر: دار القلم، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٧هـ.

٩٦. الصفات.

لأبي الحسن علي بن عمر الدارقطني، تحقيق: علي بن محمد الفقيهي، الطبعة: الأولى، (١٤٠٣هـ).

٩٧. صفات الله الواردة في الكتاب والسنة

لعلوي بن عبدالقادر السقاف، الناشر: الدرر السنوية-الظهران، الطبعة: الرابعة، ١٤٣٣هـ.

٩٨. صفة الجنة

لعبدالله بن محمد بن أبي الدنيا، تحقيق: عمرو عبدالمنعم سليم، الناشر: مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ١٤١٧هـ

٩٩. الصواعق المرسله.

لمحمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، تحقيق: علي الدخيل الله، الناشر: دار العاصمة، الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ.

١٠٠. ضعيف الجامع الصغير وزيادته.

لمحمد ناصر الدين الألباني، تحقيق: زهير الشاويش، الناشر: المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٨هـ.

١٠١. ضعيف سنن أبي داود

لمحمد ناصر الدين الألباني، تحقيق: زهير بن سالم الشاويش، الناشر: المكتب الإسلامي، بيروت ١٤١٢هـ

١٠٢. ضعيف سنن ابن ماجه

لمحمد ناصر الدين الألباني، تحقيق: زهير بن سالم الشاويش، الناشر: المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٨هـ

١٠٣. ضعيف سنن الترمذي.

لمحمد ناصر الدين الألباني، تحقيق: زهير الشاويش، الناشر: المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١١هـ.

١٠٤. ضعيف سنن النسائي

لمحمد ناصر الدين الألباني، تحقيق: زهير بن سالم الشاويش، الناشر: المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤١١هـ

١٠٥. ظلال الجنة في تخريج السنة لابن أبي عاصم.

لمحمد ناصر الدين الألباني، الناشر: المكتب الإسلامي، الطبعة: الأولى، ١٤٠٠هـ.

١٠٦. عارضة الأحوذى بشرح صحيح الترمذي.

لمحمد بن عبد الله ابن العربي، تحقيق: صدقي جميل العطار، الناشر: دار الفكر، الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ.

١٠٧. عبد الله بن سبأ وأثره في إحداث الفتنة في صدر الإسلام.

لسليمان بن حمد العودة، الناشر: دار طيبة، الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٠٥هـ.

١٠٨. العرش

لمحمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق: محمد بن خليفة التميمي، الناشر: أضواء السلف، الرياض، ١٤٢٠هـ.

١٠٩. العظمة.

لأبي الشيخ الأصبهاني، تحقيق: رضاء الله بن محمد إدريس المباركفوري، الناشر: دار العاصمة، الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ.

١١٠. العقيدة الواسطية (لشيخ الإسلام ابن تيمية).

شرح صالح بن فوزان الفوزان، الناشر: مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة: الرابعة، ١٤٠٧هـ.

١١١. العقيدة الواسطية (لشيخ الإسلام ابن تيمية).

تعليق محمد بن عبد العزيز المانع، الناشر: مطبوعات سعد الراشد بالرياض.

١١٢. العقيدة الواسطية (لشيخ الإسلام ابن تيمية).

تحقيق: زهير الشاويش، الناشر: المكتب الإسلامي، الطبعة: الأولى، ١٤٠٥هـ.

١١٣. العقود الدرية في مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية.

لمحمد بن أحمد بن عبد الهادي، الناشر: مطبعة المدني، مصر.

١١٤. عمدة التفسير للحافظ ابن كثير.

لأحمد محمد شاكر، الناشر: دار المعارف، مصر، سنة ١٣٧٦هـ.

١١٥. عمل اليوم والليلة

لأحمد بن شعيب النسائي، تحقيق: فاروق حمادة، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت،
١٤٠٦هـ

١١٦. عمل اليوم والليلة

لأحمد بن محمد أبو بكر بن السني، تحقيق: بشير محمد عيون، الناشر: مكتبة دار
البيان، الكويت، ١٤٠٧هـ

١١٧. فتح الباري شرح صحيح البخاري.

لأحمد بن حجر العسقلاني، تحقيق: محب الدين الخطيب و تعليق: عبد العزيز بن عبد
الله بن باز، الناشر: دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ.

١١٨. فتح القدير.

لمحمد بن علي الشوكاني، الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، دمشق، بيروت،
الطبعة: الأولى، ١٤١٤هـ.

١١٩. الفتوحات الربانية على الأذكار النووية.

لمحمد بن علان الصديقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي.

١٢٠. الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان

لأحمد بن عبدالحليم ابن تيمية، تحقيق: عبدالرحمن بن عبدالكريم اليحيى، الناشر: دار
طويق، الرياض، ١٤١٤هـ

١٢١. الفروسية

لمحمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد نظام الدين الفتيح، الناشر: مكتبة دار
التراث، ١٤١٠هـ

١٢٢. فضائل الصحابة.

لأحمد بن حنبل الشيباني، تحقيق: وصي الله عباس، الناشر: جامعة أم القرى، الطبعة: الأولى، ١٤٠٣هـ.

١٢٣. فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم.

لمحمد بن إسماعيل بن إسحاق القاضي، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، طبعة المكتب الإسلامي، الطبعة: الثانية، ١٣٨٩هـ.

١٢٤. القدر وما ورد في ذلك من الآثار.

لعبد الله بن وهب بن مسلم القرشي المصري، تحقيق: عبدالعزيز عبدالرحمن محمد العثيم، الناشر: دار السلطان، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦هـ.

١٢٥. القواعد الفقهية

لعبدالرحمن بن رجب الحنبلي، الناشر: دار المعرفة، بيروت.

١٢٦. القيامة الكبرى

لعمر بن سليمان الأشقر، الناشر: مكتبة الفلاح، الكويت، ١٤٠٧هـ

١٢٧. الكامل في ضعفاء الرجال.

للأبي أحمد عبد الله بن عدي الجرجاني، الناشر: دار الفكر، الطبعة: الأولى، ١٤٠٤هـ.

١٢٨. كشف الخفاء

لإسماعيل بن محمد العجلوني، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٣٥١هـ

١٢٩. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد.

لعلي بن أبي بكر الهيثمي، تحقيق: حسام الدين القدسي، الناشر: مكتبة القدسي، القاهرة، ١٤١٤هـ، ١٩٩٤م.

١٣٠. مجموع الفتاوى.

لأحمد بن عبدالحليم ابن تيمية، جمع عبد الرحمن بن قاسم، تصوير الطبعة: الأولى.

١٣١. مجموع فتاوى ومقالات متنوعة.

لعبد العزيز بن عبد الله بن باز، الناشر: دار القاسم، الرياض، الطبعة: التاسعة عشرة.

١٣٢. المحلي بالآثار.

لعلي بن أحمد بن حزم، الناشر: دار الفكر، بيروت.

١٣٣. مختصر الصواعق المرسلّة

لمحمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، تحقيق: سيد إبراهيم، الناشر: دار الحديث،
(١٤٢٢هـ)

١٣٤. مختصر العلو.

لمحمد بن أحمد الذهبي، اختصار وتحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠١هـ.

١٣٥. مدارج السالكين.

لمحمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد حامد فقي، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت.

١٣٦. المستدرک علی الصحیحین.

للحاكم محمد بن عبد الله النيسابوري، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١١هـ، ١٩٩٠م.

١٣٧. مسند الإمام أحمد بن حنبل (بهامشه منتخب كنز العمال من سنن الأَقوال والأفعال).

الناشر: المكتب الإسلامي ودار الفكر، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٣٩٨هـ.

١٣٨. مسند أبي داود الطيالسي.

لسليمان بن داود الطيالسي، تحقيق: محمد بن عبد المحسن التركي، الناشر: دار هجر، مصر، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ.

١٣٩. مسند أبي يعلى الموصلي.

لأحمد بن علي بن المثنى التميمي، تحقيق: حسين سليم أسد، الناشر: دار المأمون للتراث الطبعة: الأولى، ١٤٠٤هـ.

١٤٠. مسند الشاميين.

لسليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٤م.

١٤١. مسند الشهاب

لمحمد بن سلامة القضاعي، تحقيق: حمدي بن عبدالمجيد السلفي، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٥هـ

١٤٢. مسند عبد بن حميد

لعبد بن حميد، تحقيق: مصطفى العدوي، الناشر: مكتبة ابن حجر، مكة المكرمة، ١٤٠٨هـ.

١٤٣. مسند الفردوس (الفردوس بمأثور الخطاب)

لشيرويه بن شهدار الديلمي، تحقيق: محمد السعيد بن بسيوني زغلول، الناشر: دار الكتب العلمية، ١٤٠٦هـ

١٤٤. مصباح الزجاجاة (زوائد ابن ماجه)

لأحمد بن أبي بكر البوصيري، تحقيق: محمد المنتقى الكشناوي، الناشر: دار العربية، ١٤٠٣هـ

١٤٥. معارج القبول شرح سلم الوصول إلى علم الأصول في التوحيد.

لحافظ بن أحمد حكيمي، الناشر: دار الإفتاء بالرياض.

١٤٦. المعجم الأوسط.

لسليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، الناشر: دار الحرمين، القاهرة، ١٤١٥هـ.

١٤٧. معجم الشيوخ.

لمحمد بن أحمد بن جميع الصيداوي، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٥هـ.

١٤٨. المعجم الكبير.

لسليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق: حمدي السلفي، مطبعة الأمة ببغداد، الطبعة: الأولى.

١٤٩. معرفة السنن والآثار.

لأحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: عبد المعطي أمين قلعجي، دار النشر: جامعة الدراسات الإسلامية، الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ، ١٩٩١م.

١٥٠. المغني عن حمل الأسفار في تخريج ما في الإحياء من الأخبار.

لعبد الرحيم بن الحسين العراقي، الناشر: دار صادر، الطبعة: الأولى، ٢٠٠٠م.

١٥١. المقاصد الحسنة

لمحمد بن عبدالرحمن السخاوي، تحقيق: عبدالله بن محمد الصديق، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ.

١٥٢. مقدمة ابن خلدون.

لعبد الرحمن بن محمد بن خلدون، تحقيق: علي عبد الواحد واقي، الناشر: دار نهضة مصر، القاهرة، الطبعة: الثالثة.

١٥٣. المنار المنيف في الصحيح والضعيف.

لمحمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، الناشر: مكتب المطبوعات الإسلامية، جمعية التعليم الشرعي، حلب، ١٤٠٢هـ.

١٥٤. منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية.

لأحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، تحقيق: محمد رشاد سالم، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م.

١٥٥. موطأ مالك.

لمالك بن أنس، تحقيق: محمد مصطفى الأعظمي، الناشر: مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٥هـ.

١٥٦. ميزان الاعتدال في نقد الرجال.

لمحمد بن أحمد الذهبي، تحقيق: علي محمد الجاوي، الناشر: دار المعرفة، بيروت.

١٥٧. نصب الراية لأحاديث الهداية.

لعبد الله بن يوسف الزيلعي، الناشر: المكتبة الإسلامية، الطبعة: الثانية، ١٣٩٣هـ.

١٥٨. نتائج الأفكار في تخريج أحاديث الأذكار.

لأحمد بن حجر العسقلاني، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، الناشر: دار ابن كثير، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ.

١٥٩. نقض الإمام أبي سعيد عثمان بن سعيد (الدارمي) على المريسي الجهمي

العنيد فيما افترى على الله عز وجل من التوحيد

لعثمان بن سعيد الدارمي، تحقيق: رشيد بن حسن الألمعي، الناشر: مكتبة الرشد، الرياض، ١٤١٨هـ.

١٦٠. نقض المنطق.

لأحمد بن عبدالحليم ابن تيمية، تحقيق: محمد بن عبد الرزاق حمزة، الناشر: مكتبة السنة المحمدية.

١٦١. نهاية البداية والنهاية

لإسماعيل بن عمر عماد الدين ابن كثير، تحقيق: محمد فهيم أبو عبيدة، الناشر: مكتبة النصر الحديثة، الرياض، ١٩٦٨م.

١٦٢. نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار.

لمحمد بن علي الشوكاني، الناشر: دار الفكر، الطبعة: الثانية، ١٤٠٣هـ.

فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
٥	المقدمة
٦	أهمية العقيدة السلفية بين العقائد الأخرى
٨	أهمية العقيدة الواسطية بين العقائد السلفية.
٨	لماذا سميت بالواسطية؟
٩	أهمية شرح الشيخ هراس ل(العقيدة الواسطية) بين شروحها
١٠	العقيدة الواسطية وشروحها.
١٧	وصف النسخة الخطية للمتن
١٧	عملي في الكتاب
٢٤	ترجمة موجزة لشيخ الإسلام ابن تيمية
٢٤	نسبه ومولده
٢٤	أسرته
٢٥	شيوخه
٢٥	تلاميذه
٢٦	مذهبه

الصفحة	الموضوع
٢٧	عقيدته
٢٨	مؤلفاته
٢٨	صفاته الخلقية والخلقية
٢٩	جهاده
٢٩	ثناء العلماء عليه
٣٥	الافتراءات عليه
٣٥	افتراءات ابن بطوطة
٣٨	محنته ووفاته
٣٩	تاريخ كتابة العقيدة الواسطية
٤١	مواطن ترجمته
٤٣	ترجمة موجزة للشيخ محمد خليل هراس
٤٥	متن العقيدة الواسطية
٧١	شرح العقيدة الواسطية
٧٣	مقدمة الشارح
٧٤	الكلام على البسملة والترجيح بين الخلافات فيها
٧٥	اسم الجلالة
٧٦	الرحمن الرحيم
٧٨	الفرق بين الحمد والشكر

الصفحة	الموضوع
٧٩	تفسير الحمد والمدح والفرق بينهما
٨٠	تحقيق القول في الفرق بين الرسول والنبي
٨١	الهدى؛ معناه، وما يوصف به الرسول صلى الله عليه وسلم، وما لا يوصف
٨٣	لا إله إلا الله؛ معناها، ومكانها في الدين
٨٣	معنى الشهادة
٨٥	معنى العبادة
٨٦	معنى الصلاة
٨٦	الصلاة على الرسول صلى الله عليه وسلم؛ معناها إذا كانت من الملائكة أو الآدميين
٨٧	معنى السلام
٨٨	معنى الاعتقاد
٨٨	تعريف الفرقة الناجية وأنها إلى يوم القيامة باقية
٨٩	الأشاعرة والماتريدية ليسوا من أهل السنة والجماعة
٨٩	أهل السنة والجماعة
٩٠	أركان الإيمان الستة
٩١	تفسير الإيمان بالملائكة والكتب والرسول
٩٣	تفسير الإيمان بالبعث والقدر
٩٤	معنى التحريف

الصفحة	الموضوع
٩٤	التحريف والتعطيل؛ معناهما وأنواعهما
٩٥	معنى التفويض
٩٦	معنى التمثيل والتكليف
٩٨	معنى الإلحاد في أسماء الله تعالى
٩٩	ترجمة نعيم بن حماد
١٠٠	معنى لا سمي له
١٠٠	لا يجوز قياس الله سبحانه بخلقه
١٠١	قياس التمثيل وقياس الشمول
١٠١	قياس الأولى
١٠١	قاعدة الكمال
١٠٢	دلالة الكلام على المعاني
١٠٣	معنى التسييح
١٠٤	النفي والإثبات في الأسماء والصفات مجمل ومفصل
١٠٤	الإجمال في النفي
١٠٥	التفصيل في النفي
١٠٥	الإجمال في الإثبات
١٠٥	التفصيل في الإثبات
١٠٦	معنى الصراط المستقيم

الصفحة	الموضوع
١٠٧	آيات الصفات
١٠٧	سورة الإخلاص تضمنت توحيد الأسماء والصفات
١٠٨	سورة الإخلاص تعدل ثلث القرآن
١٠٩	توحيد الإثبات
١٠٩	معنى الصمد
١١٠	توحيد التنزيه
١١١	تفسير آية الكرسي وإثباتها للصفات
١١٢	معنى القيوم
١١٣	الشفاعة الشرعية و الشفاعة الشركية
١١٤	معنى الكرسي
١١٥	أنواع العلو
١١٦	معنى الأول والآخر والظاهر والباطن
١١٨	إثبات اسم الحي
١١٨	العلم صفة له قائمة بذاته
١١٩	إثبات اسم الحكيم
١١٩	إثبات اسم الخبير
١٢٠	تعريف المعتزلة
١٢١	ترجمة عبد العزيز المكي وبشر المريسي

الصفحة	الموضوع
١٢٢	تعريف الفلاسفة
١٢٢	تعريف القدرية
١٢٢	من أسمائه تعالى: الرزاق
١٢٣	من أسمائه تعالى: القوي، المتين
١٢٤	معنى قوله تعالى: {ليس كمثله شيء وهو السميع البصير}
١٢٤	إثبات صفتي السمع والبصر لله تعالى، ومن أسمائه السميع والبصير
١٢٥	تعريف الأشاعرة
١٢٦	إثبات صفتي الإرادة والمشیئة
١٢٧	الإرادة الكونية والإرادة الشرعية
١٢٨	إثبات صفة المحبة لله وبيان ما يجب ومن يجب
١٣٠	معنى الإحسان والإقسط
١٣٢	شرط محبة الله اتباع نبيه صلى الله عليه وسلم.
١٣٢	من أسماء الله: الغفور والودود
١٣٣	إثبات صفتي الرحمة والعلم
١٣٤	من أسماء الله الحافظ والحفيظ
١٣٥	إثبات صفة الرضى والغضب واللعن والكره والسخط والمقت والأسف لله تعالى
١٣٦	معنى الرضا

الصفحة	الموضوع
١٣٦	الجواب عن آية: {ومن يقتل مؤمناً متعمداً}
١٣٧	معنى اللعن
١٣٨	معنى الأسف والانتقام
١٣٨	إثبات صفتي الإتيان والمجيء والرد على من زعم أنه من الجحاز
١٣٩	ترجمة محمد زاهد الكوثري
١٣٩	ترجمة الزمخشري
١٤٠	إثبات الوجه لله تعالى والرد على المنكرين
١٤٢	إثبات اليد لله تعالى والرد على المنكرين
١٤٥	إثبات العين لله تعالى والرد على المنكرين
١٤٧	إثبات صفات السمع والبصر والرؤية
١٤٩	إثبات صفتي المكر والكيد لله تعالى
١٥٠	معنى مكر الله
١٥٢	إثبات اسم العفو
١٥٢	معنى العفو
١٥٣	إثبات صفة العزة
١٥٤	معنى العزة
١٥٦	صفات السلوب
١٥٦	معنى السمي

الصفحة	الموضوع
١٥٧	معنى الند
١٥٨	معنى: {يُحِبُّوهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ}
١٥٩	كيفية تسبيح الجمادات
١٥٩	معنى التبارك
١٦١	توضيح دليل التمانع
١٦٢	قياس الأولى
١٦٣	القول على الله بغير علم
١٦٤	سبعة آيات في الاستواء على العرش والكلام عليها
١٦٦	قول مالك: الاستواء معلوم والكيف مجهول
١٦٦	إثبات أن الله في العلو
١٦٨	إثبات أن الله في السماء
١٦٨	إثبات صفة العلو لله تعالى
١٧١	إثبات صفة المعية لله تعالى
١٧٣	إثبات صفة الكلام لله تعالى والرد على المخالفين
١٧٤	تعريف الكُلَّابِيَّة
١٧٥	تعريف الكرامية
١٧٥	خلاصة مذهب أهل السنة والجماعة في مسألة كلام الله عزَّ وجلَّ
١٧٩	القرآن كلام الله

الصفحة	الموضوع
١٨١	رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة والرد على النفاة
١٨٤	مباحث عامة حول آيات الصفات
١٨٥	صفات الذات
١٨٥	صفات الفعل
١٨٧	السنة تؤيد القرآن في الصفات
١٨٨	منزلة السنة من القرآن
١٨٨	موقف أهل البدع من السنة
١٨٨	ترجمة أبي حامد الغزالي
١٨٨	ترجمة فخر الدين الرازي
١٨٩	أحاديث الصفات
١٨٩	إثبات صفة النزول لله عز وجل
١٩١	إثبات صفة الفرح لله تعالى
١٩٢	إثبات صفة الضحك لله تعالى
١٩٣	إثبات صفة العجب لله تعالى
١٩٦	إثبات صفة الرجل والقدم لله تعالى
١٩٧	إثبات صفة النداء لله تعالى
١٩٨	إثبات صفة العلو والفوقية لله تعالى
١٩٩	حديث الجارية وكون الله تعالى في السماء

الصفحة	الموضوع
٢٠٠	حديث: (العرش فوق الماء، والله فوق العرش)
٢٠١	إثبات صفة المعية لله تعالى
٢٠٥	رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة
٢٠٦	أهل السنة والجماعة وسط بين جميع الطوائف
٢٠٧	معنى الوسطية
٢٠٨	تعريف الجهمية
٢٠٨	تعريف المشبهة
٢٠٩	تعريف الجبرية
٢٠٩	أفعال العباد ومذهب أهل الحق فيها
٢١١	تعريف المرجئة
٢١١	تعريف الوعيدية
٢١١	معنى الإرجاء
٢١٢	أهل السنة والجماعة وسط بين الفرق في باب أسماء الإيمان
٢١٣	تعريف الحرورية
٢١٥	تعريف الرافضة
٢١٦	أهل السنة والجماعة وسط بين الفرق في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
٢١٧	بيان أن علوه تعالى لا ينافي معيته

الصفحة	الموضوع
٢١٧	صفة الاستواء على العرش
٢١٨	تعريف الحلولية
٢١٩	إثبات القرب والمعية لله تعالى
٢٢٠	القرآن كلام الله وليس حكاية عن كلام الله
٢٢٣	رؤية أهل الموقف بهم
٢٢٥	وجوب الإيمان بما أخبر به الرسول صلى الله عليه وسلم مما يكون بعد الموت
٢٢٥	وجوب الإيمان بفتنة القبر وعذابه
٢٢٧	فتنة القبر
٢٢٧	عذاب القبر
٢٢٨	الإيمان بقيام القيامة
٢٢٩	وجوب الإيمان بالنفخ في الصور
٢٣٠	وجوب الإيمان بالحشر
٢٣٠	وجوب الإيمان بالميزان
٢٣١	وجوب الإيمان بالحساب
٢٣٢	العرض
٢٣٣	وجوب الإيمان بالحوض والصراط
٢٣٣	صفة الحوض
٢٣٤	صفة الصراط

الصفحة	الموضوع
٢٣٦	أول الناس دخولاً الجنة
٢٣٧	لرسول صلى الله عليه وسلم ثلاث شفاعات وبيان أصحابها
٢٣٨	معنى الشفاعة
٢٣٩	الشفاعة الأولى
٢٣٩	الشفاعة الثانية
٢٤٠	الشفاعة الثالثة
٢٤٢	درجات الإيمان بالقدر خيره وشره وبيانها
٢٤٤	العرش والقلم أيهما خلق أولاً
٢٤٦	ترجمة معبد الجهني وغيلان الدمشقي
٢٤٨	كلام جيد في مسألة أفعال العبد مع القدر
٢٥٠	خلاصة مذهب أهل السنة والجماعة في القدر وأفعال العباد
٢٥٠	القدر وأفعال العباد
٢٥١	الضُّلال في القدر
٢٥١	طائفتان ضلنا في القدر: القدرية والجبرية
٢٥٣	الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص
٢٥٣	علامات أهل الإرجاء
٢٥٥	علامات أهل الغلو
٢٥٧	الفرق بين الإيمان والإسلام

الصفحة	الموضوع
٢٥٨	سلامة قلوب وألسنة أهل السنة والجماعة للصحابة جميعاً
٢٦٠	التفضيل بين الصحابة
٢٦١	المهاجرون والأنصار
٢٦٢	أهل بدر
٢٦٢	المبشرون بالجنة
٢٦٣	اعتقاد أهل السنة والجماعة في الخلافة
٢٦٣	الخلفاء الراشدون
٢٦٥	مسألة الخلافة
٢٦٦	أهل السنة يجبون آل البيت ويتبرؤون ممن يعاديهم
٢٦٧	أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم
٢٦٨	أهل السنة يتولون أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم أمهات المؤمنين
٢٦٩	موقف الروافض والنواصب من الصحابة
٢٦٩	تعريف النواصب
٢٦٩	الصحابة غير معصومين
٢٧٠	الصحابة خير القرون
٢٧١	إمساك أهل السنة عن الخوض فيما شجر بين الصحابة
٢٧٣	من أصول أهل السنة والجماعة تصديق كرامات الأولياء
٢٧٤	الفرق بين المعجزة والكرامة

الصفحة	الموضوع
٢٧٥	تعريف الفلسفة
٢٧٦	طريقة أهل السنة والجماعة: اتباع آثار النبي صلى الله عليه وسلم باطنًا وظاهرًا
٢٧٧	أصول أهل السنة والجماعة
٢٧٨	أهل السنة والجماعة يتخلقون بمكارم الأخلاق
٢٧٨	أهل السنة والجماعة يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر
٢٨١	افتراق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة
٢٨١	أهل السنة والجماعة هم الفرقة الناجية والطائفة المنصورة
٢٨٢	التجديد والمجددون
٢٨٣	ملحق العقيدة الواسطية
٢٨٥	مقدمة الملحق
٢٨٨	فصل في الجماعة والفرقة
٢٩١	فصل في الموالاتة والمعاداة
٢٩٦	فصل في الحكم بغير أنزل الله
٢٩٩	أقوال العلماء في التشريع العام
٣٠١	فصل في عدم الخروج على الأئمة
٣٠٤	فصل في الميثاق
٣٠٦	فصل في الإسراء والمعراج

الصفحة	الموضوع
٣٠٩	فصل في أشراف الساعة
٣١٢	فصل في الجنة والنار
٣١٨	فصل في ذم الكلام والتسليم لنصوص الكتاب والسنة
٣٢٣	ملخص العقيدة الواسطية
٣٢٧	الفهارس العامة
٣٢٩	فهرس الآيات القرآنية
٣٥١	فهرس الأحاديث والآثار
٣٦١	فهرس الفرق
٣٦٢	فهرس الأعلام المترجم لهم
٣٦٣	فهرس المفردات
٣٦٥	قائمة المصادر والمراجع
٣٨٥	فهرس الموضوعات



تم الصف والإخراج في

مؤسسة الدرر السنية

nashr@dorar.net

هاتف: ٠٣٨٦٨٠١٢٣

فاكس: ٠٣٨٦٨٢٨٤٨

جوال: ٠٥٥٦٩٨٠٢٨٠